

القديس يهاجم المانيا
www.ibtesamah.com/vb
مجلة الابتسامة
ahmad2006771
www.ibtesamah.com/vb
حصريات مجلة الإبتسامة

القديس يهاجم المافيا

تأليف : ليسلى تشارتريس

ترجمة : اسماعيل كامل

الفصـــل الاول

كان الوقت ظهرا وقد جلس تمبلار الى احدى الموائـــــد ينتظر طعام الغداء وهو يمنى نفسه بوجبـــه شهيـة من وجبات نـابولى الشـهيرة واخـذ يفكر فيما تشتهر به هذه المدينـة الى جانب الطعام ٠ وعلى حين فجأة قطـع عليـــه تأملاته صوت غاضب يقول :

ـ اغرب عن وجهى ٠٠ اننى لا اعرفك ٠٠

واستدار تمبلار قليلا لكى تتسنى له مراقبـــة المشهد بصورة أفضـل ٠

كان مصدر الصوت جالسا على بعـــد مائدتـين منـــه ، وهو رجل فى أواخر العقد السادس وقـــد ارتـدى حــلة رمادية فاخرة وقميصـــا أبيض من اجـود الاقمشة ورباط عنق تحليه ماسة حقيقية بينما كانت ازرار قميصـــــه من العقيق الحر ٠ وفى أحد أصـابع يديه المطليـــة بالمانيكـير كان صاحب الصوت يتحلى بخاتم ذهبـى كبـير فى حجـم بيضة الحمامة ٠ بيد انه على الرغم مـن كـل هـذه الفخامة كان يتمتع بوجـه منفر ٠٠ فكل قسماته مشوهة اللهم الا فمـه الذى يشبه شقا لا تحيطـه شفاه وبضع شـعرات قليلة قد صففت بعناية حول رأسه الاصلع ٠

وكان يجلس الى نفس المائدة شاب يصـــغره بعشرين عاما يرتدى ملابس فقيرة ويتميز بمنكبين عريضين وشعر اسود مجعد ٠ وكان يبدو أنه لا توجد بينهما أيـــة رابطـة

ذهنية فقد جلسا وقتا طويلا لم يتبادلا فيه سوى بضع كلمات قليلة ٠ وكانا قد انتهيا من تناول غداءهما حينما ظهر ثالثهم على خشبة المسرح ٠

كان هذا الثالث رجلا انجليزيا يرتدى بنطلونا من قماش الفانلة وجاكته من الصوف الجيد ٠ وكان ارتداء مثل هذه الملابس فى نابولى فى منتصف الصيف يدل على ان صاحبها معتاد على اجواء اكثر بردا ورطوبة ٠ وكانت طريقة ملبسه وحذاءه اللامع تدل على ان الرجل يتمتع بيسر فى الدخل وذوق رفيع فى انتقاء ملابسه ٠ ومع كل ذلك فقد كان هذا هو الرجل الذى ارتكب غلطة التحدث الى شخص لا يعرفه مطلقا ٠

كان هذا الرجل يسير لفترة خارج الفراندة يدقق النظر فيما حوله شأنه شأن اى سائح فى بلاد أجنبية ، عندما توقف واستدار على عقبيه ثم دقق النظر وتردد قليلا واخيرا اتجه صوب الرجلين الجالسين الى المائدة وتوجه بالحديث الى اكبرهما سنا فجاءته الاجابة التى سمعها القديس ٠

وتعلثم السائح وقد بدا محرجا غاية الاحراج وتضرجت وجنتاه بحمرة الخجل ثم قال :

ـ ولكن يادينو ٠٠ انا أعلم انك لم ترنى منذ وقت طويل ، ولكن هل حقا لا تذكرنى ٠٠

وجاءه الرد بلكنة ايطاليا تشوبها مسحة من الطريقة الامريكية ٠

ـ من هو هذا الدينو ٠٠ انا لا اعرف شخصا بهذا الاسم ٠٠ فهيا أغرب عن وجهى ٠

ولكن السائح الانجليزى لم يتزحزح وواصل حديثه قائلا :

- اننى جيمى بوستون ٠٠ هـــل نسيت بالرمو ٠٠ والبنك ٠٠ وتلـك النـدبة التى على ذقنك و ٠٠٠

وتحركت يـد الرجل الجالس بحركة لا اراديـة تتحسس نـدبة على جانب فكـه ثم قال :

- لا شك أن الحر قـد ذهب بعقلك ، فهيـا اذهب من هنـا قبـل أن افقـد صوابى ٠٠

- أسمع يـا دينو ٠٠

وأشار الرجل اشارة خفيفة بأصعبه وحرك رأسه نحـو الرجل الانجليزى ، ولكن هـذه الاشارة كانت كافيـة لان يقف الشاب ويمسك بالرجل الانجليزى من ذراعـه ، ثـم حـدث بعـد ذلك مـا لـم يكن ليلاحظـه شخص آخر غير تمبـلار ٠

فقـد فغر يوستون فمه دون أن يحـدث صـوتا وأبيض وجهـه الاحمر ومـال جسمه الى الامـام ٠ وأدرك تمبـلار على الفور مـا حـدث ، فقـد تستر الشاب ذو الشعر المجعد بجسم الضحية وجسمه هـو ووجـه ضربة قاسية الى معدة الرجـل الانجليزى ٠

ولم يكن الامر سيتوقف عنـد هـذا الحـد فقـد ارجـع الشاب ذراعـه الى الخلف فبـدت تحت ملابسه الرخيصـة كتلة من العضلات القوية ٠ وهمت ذراع الشاب أن تنطـلق مرة أخـرى الى حيث تكسر احـد ضلوع الرجـل الانجليزى ٠

وفى هـذه اللحظـة توقفت ذراع الشـاب فى منتصـف الطريق كمـا لـو كانت قـد واجهت عامـودا من الفـولاذ وباندهاش شديد استـدار الشباب فاغرا فـاه نحو الاصابع الفولاذية التى أطبقت على ذراعـه فمنعتـه من الحركة ٠ وتفرست عينـاه فى الصـدر العريض والرقبـة القـوية حتى

استقرت على وجـــه تمبلار وقــد ارتسمت عليه نظرة قاسية رغم الابتسامة الباردة التى لم تفارقه ٠

وقال القــديس : أظن أن هــذا تصرف لا يليق ٠

ولولا توتر الموقف لبــدا الامر كمــا لو انهم ثلاثة من الاصدقاء وقــد تشابكت اذرعهم واوشكوا أن ينطلقوا فى اغنية مرحة ٠ ولكن التعبير المرتسم على وجــه الشـــاب المجعــد الشعر جعل القــديس يبتسم ابتسامته الشيطانيــة المعهودة ، ثــم قال :

ـ حاول أن تجرب الامر معى ايهــا الوغد ٠ حـــاول أن تفعل شيئا ـ وانــا اعــدك الا تفيق الى نفســـك الا فى المستشفى ٠

وصاح الرجل الــذى كان ينكر انــه دينو قائلا : يا لك من وغــد ٠٠ لابــد انهم من نفس البيئة ٠ هيا بنا من هنــا ٠

وفى لحظة هــدأ الموقف المتفجر واطلق الشـــاب ذراع يوستون ، ثــم استــدار لكى يفسح طريقــا لسيده ٠ وتركه تمبلار ينصرف على مضض ثــم هز كتفيــه ونظر الى مستر يوستون مرة اخرى فرأى وجهــه لا يزال شاحبا وقـــــد تناثرت فوقــه حبات العرق من اثر الضربة الوحشــية التى نالها وقال له القــديس وهو يقوده فى اتجاه مائدته ٠

ـ تناول جرعة من النبيــذ ٠٠ لقــد كانت ضربة قذرة تلك التى أصــابتك ٠

ـ شكرا لك ٠٠ سوف اتحسن فى الحال ٠

وبــدأ الــدم يعود ببطء الى وجــه مستر يوستون وقــال وهو يحس بحرج شــديد ٠

ـ اسمى يوستون ، لقــد كان جميلا منك أن تهب لنجــدتى يــا مستر ٠٠٠

وتـــدافعت الى ذهن القــديس ردود متعــددة ، ودون أن يبــدو عليه تردد ، اسرع يقول :

ـ نومز ٠٠ اسمى تومز ، سباستيان تومز ٠٠ لاشكر على واجب ، ولكنى انصحك اذا اخطأت فى التعرف على شخص ما فى المستقبل الا تصر على رأيك ٠

ـ ولكننى لم اخطىء ٠٠ اقسم انه دينو كاريتللى وقد عملت معه فى صقلية قبل الحرب اذ كنت اقضى فترة تمرين فى القسم الخارجى من بنك سيتى كوتنتال وكان جزء من البرنامج ان اقضى عاما فى فرع البنك فى بالرمو ٠٠ وكان دينو يعمل تحت رئاستى وكنا صديقين حميمين اللهم الا فى الفترة التى اصيب فيها بتلك الندبة ٠٠٠

ـ كيف حدث ذلك ؟ ٠٠٠

ـ لقد كنت انا سببها ، فقد اختلفت آراءنا حول احدى الفتيات فاستل سكينا فى وجهى فاضطررت الى ضربه ٠٠٠ ولم اكن بطلا فى ذلك الوقت ولكن الخاتم الذى كان فى اصبعى هو الذى سبب هذه الندبة ٠

وارتسمت على وجه القديس ابتسامة خبيثة ثم قال :

ـ حسنا ٠٠ ربما كان ذلك هو السبب فى انه لم يكن مشتاقا اليك ٠

ـ ابدا ٠٠ ليس الامر كذلك ٠٠ فقد هربت الفتاة مع شخص آخر وتركتنا نحس بالخجل من انفسنا فاعتذر كل منا للاخر وعادت المياه الى مجاريها بيننا ٠ وبعد فترة من الوقت نقلت الى مكان آخر ٠٠ ومع ذلك فانه الان لا يتظاهر بأنه لا يعرفنى فحسب بل إنه ـ او صديقه ـ يتصرف كأى بلطجى ٠

وسأله القديس : هل انت متأكد تماما انك لم تخطىء ؟

ـ نعم ٠٠ تماما ٠

ـ بعد كل هذه السنوات ، حتى هذه الندبة قد ٠٠

ـ اننى متأكـد من انه كارتيللى ، وقد ازددت تاكدا من ذلك بعد سماع صوته فكثيرا مـا كنت أتهكم عليه بسـبب صوته الذى يشبه صوت الضفدعة ٠

وفى هذه الاثناء وصل الطعام الذى كان تمبلار ينتظره يحف بـه رتـل من الجرسونات وتسبقه رائحته الفاتحـة للشهية ، فالتفت الى مستر يوستون وقال لـه :

ـ هل تسمح بمشاركتى ٠٠ بوسعنا أن نقتسم هـذه الوجبـة الى أن يأتونا بأخرى ٠

بيـد أن مستر يوستون كان يحس بأنه قـد تطفل أكثر مما يجب على شخص لا يعرفه ومن ثم فقـد نهض واقفـا وهـو يقول :

ـ أنه لكرم شديد منك يا مستر تومز ، ولكننى قـد أثقلت عليك ، بالاضافة الى أننى لا أظننى استطيـع أن اتنـاول طعاما لفترة من الوقت ٠

ثـم أخرج محفظته وتناول منها بطاقة قدمها الى تمبـلار وقال لـه :

ـ اذا حدث وزرت لنـدن فى يوم مـا وكنت فى حاجة الى شىء فأرجوك أن تتصل بى ٠٠ ومرة أخرى اشـكرك على مساعـدتك لى ٠٠٠

وشـد الرجل على يـد القـديس بحرارة وانصرف ٠ وبهزة من كتفيه صرف تمبـلار الموضوع ٠ من ذهنـه كليـة وانهمك فى تناول طعامه وقـد تصور الموضوع بأسره خطـأ من الاخطاء المعتـادة ٠ وظـل الامر كذلك الى أن كان الصباح التـالى ٠٠

كان تمبلار يتناول افطاره فى حجرته وهو يحـاول قراءة صحيفة ايطالية لكى يصرف انتباهـه عن طعم القهوة الردىء حتى وقعت عينـاه على خبر صـغير فى اسـفل الصفحة الثانية تحت عنوان مصرع سائح انجليزى ٠

واندفعت الافكار سريعـــــة الى ذهنــه مطلقة عـــدا من اجراس الانـــذار حتى قبــل ان يصــل الى الفقرة الثانيـــة حيث جاء اسم السائح جيمس يوستن ، من لنـــدن ٠

- ٢ -

لم يكن جيمس يوستون صديقا لتمبلار ومع ذلك فقــد احس بنوع من الذنب فى مصرعه ٠٠ ذلك انه لم يأخـــذ رواية الرجل على رواية الجــد ٠٠ ولكنـــه أحس بســـــخط هائل على أولئك الــذين استفادوا من قتله وعلى الاخـــص ذلك الرجل الــذى لابــد انه كان دينو كارتيللى ٠

فعلى ضوء ما شهده القديس فى اليوم السابق ، بـــــدا كما لو أن أجازة جيمس يوستون قــد انتهت هــذه النهـــاية المفجعة لانـــه تعرف على كارتيلـــــلى ٠٠ فلـــو أن جيمس يوستون كان مخطئا أو التبس عليه الامر لــا كان قد قتل ولقــد عزت الصحف بالطبع سبب الجريمة الى السرقة فقـــد عثر على جثـــة يوستون فى احـــدى الشوارع الضيقة عــلى بعد خطوات من فندقه وقد قلبت جيوب سترته ٠

واخــذ القديس حمامــا وارتــدى ملابسه ، وعنــدما خرج الى حر نابولى اللافحلــم يكن يبغى مجرد التنزه وانمـــــا كان قــد بيت أمرا ٠٠

كان الوقت لا يزال مبكرا على تنـــــاول الغـــداء ، وهى وجبـــة لا تبـــدأ فى ايطاليا قبل الساعة الواحدة ٠٠ وعنــدما وصل القـــديس الى مطعـــــم الامس كان بعض الجرسونات يقوموا بالتنظيف والترتيب داخــــل المطعم استعـــــدادا للنشـــاط الــذى يصاحب وجبـــة الغداء ٠ وتقدم القديس الى أحدهم وطلب اليـــه استدعاء رئيس الخــدم ٠٠

وجاء الرجل مرتديا قميصا قذرا وقد شمرت اكمامه وطال شعر لحيته وتقدم من تمبلار فصافح اليد التى مدها اليه ولم يتغير وجهه عندما احس بالورقة المالية التى دسها تمبلار فى يده ولكنه امال راسه ناحية تمبلار منتظرا ان يعرف الخدمة التى يطلبها منه ·

وبدا القديس الحديث لابد انك تذكر اننى تناولت الغذاء هنا بالامس ·

ـ نعم اذكر ذلك :

ـ وفى نفس الوقت كان هناك رجل يدعى دينو كارتيللى ·

ـ اهو الرجل الذى جلس معك لبضع دقائق ··· لقد اعتقدت انه انجليزى ···

ـ انه انجليزى بالفعل ولكننى اتحدث عن شخص آخر ···

وبدا التفكير على وجه رئيس الخدم ثم قال

ـ كارتيللى ·· اننى لا اعرف هذا الاسم ···

رما لم يكن الرجل ممثلا بارعا ، فقد كان يقول الحقيقة ·

وقال تمبلار : انه ايطالى بدين اصلع كان يرتدى حلة رمادية وله صوت خشن عميق ·· وكان يجلس مع شاب على تلك المائدة هناك ·

ولم يكن القديس هذه المرة محتاجا لجهاز كشف الكذب ، حيث تحركت عينا الرجل صوب المائدة التى اشارت اليها ثم استردهما بسرعة وركز بصره على وجه القديس ·

ـ اننى لا اذكر مثل هذا الشخص يا سنيور ·· فأنت تعلم ان نابولى مدينة كبيرة كما ان هذا المطعم غاص بالرواد ومن المستحيل ان اعرف كل من يتردد عليه ···

وسار مع القديس حتى باب المطعم وهو يكرر اعتذاراته ولكنه لم يقدم طبعا على رد النقود التى استقرت فى جيبه ٠

وفى خارج المطعم كان البواب متدثرا فى معطفه وهو يزيل اثر ما تراكم على الرصيف من نفايات الليلة السابقة واقترب منه تمبلار ثم قال :
ـ هل تذكر رجلا كان هنا بالامس ـ اصلع ، يميل الى البدانة ، ذا صوت خشن ويرتدى حلة رمادية ٠

واستعد الرجل لالتقاط النقود التى طواها تمبلار بين أصابعه قبل ان يستوعب السؤال تماما ٠ ولكنه بعد أن وعى السؤال استرد يده بسرعة كما لو كانت قد مست حديدا ساخنا ٠ ونظر الرجل خلفه فى خوف ثم ارتسمت على وجهه نظرة متجمدة ٠
وتلعثم الرجل قائلا : لا يا سيدى ، ان لدينا عملاء كثيرين ، وانا لا اذكر احدا منهم ٠٠
ونظر القديس الى حيث اتجهت عينا الرجل فراى رئيس الخدم واقفا هناك فى مدخل الباب ٠٠ وهز القديس كتفيه ثم استدار وانصرف ٠
سار القديس ببطء حتى وصل الى المنعطف ثم اتسعت خطاه وسار بسرعة لكى يصل الى المطعم من الجانب الاخر ٠ وفى وقت قصير كان قد اكمل دورته حول المبنى ووقف هناك مستندا الى جدار المبنى المجاور بعيدا عن أعين من يكون واقفا بمدخل المطعم ٠ وما هى الا عنيهة حتى كان البواب قد وصل الى تلك النقطة ٠
وفجأة برز له القديس وقال له بصوت هادىء الا تريد ان تجرب ذاكرتك مرة أخرى يا صديقى ٠
وأحدثت المفاجأة شللا مؤقتا فى حركة البواب ٠

وببطء شديد بدأت عيناه تتفحص تمبلار من أخمص قدمه حتى قمة رأسه .

وقال القديس يستحثه : لا تخشى شيئا يا صديقى فما من احد بالداخل يستطيع أن يرانى ... ثم أنهم لا يعلمون انى هنا .. وما عليك الا ان تعصر ذهنك قليلا وتدلنى على اسم الرجل الذى اسأل عنه .

وقال البواب بجفاء : اننى لا افهم ما تعنى .

ثم استأنف عمله وكأن شيئا لم يكن .

ان المثل القائل بأن النقود تتحدث ليس صحيحا على اطلاقه ، ومع ذلك فقد أحس تمبلار أنه أمام رجل لن يستطيع الصمود طويلا امام اغراء المال .. واخرج من جيبه ورقة من فئة العشرة آلاف ليرة وطواها بين يديه ثم اسقطها على الارض فتبعتها عينا البواب فى نهم .

وسأله القديس هل تفهم هذا .. ما عليك الا ان تكنسها .

وجاء رد البواب بصورة ميكانيكية : لا

ولكن تصميمه تراخى .

- تستطيع على الاقل ان تدلنى اين اسأل عنه . او ربما الفندق الذى يقيم فيه .. او سائق التاكسى الذى اقلهم من هنا ... ولن يعرف أحد انك انت الذى اخبرتنى .. وتدفقت حبات العرق على وجه الرجل بينما يصطرع الخوف فى داخله مع الجشع .. وهنا أخرج تمبلار من جيبه ورقة أخرى من ذات الفئة وطواها بعناية كسابقتها .

ولهثت انفاس الرجل وهو يقول : اكسلسيور .

وحملق تمبلار فى وجهه بشدة حتى تحقق من ان الرجل انما ذكر له اسم افخر فنادق نابولى ..

وشكره القـــديس بالايطالية واسقط من يـده ورقـــه النقود الثانية ثم انصرف دون أن ينتظر ليرقب البـــواب وهو يكنس ورقتى العملة أمامه ٠

وهــكذا وفر القديس على نفسه مشقة البحث فى فنــادق نابولى وبانسيوناتها وهو أمر كان من الممكن الا يوصـــله الى نتيجة مــا اذا كان كارتيللى ينزل فى شقة له بالمـدينة ٠

واستقل القديس تاكسيا من تاكسيات نـابولى ولــم يفته بالطبع أن يلفت نظر السائق الى أن العـداد كان قـد سجل ثلاثمائة ليرة قبـل أن يتحرك خطوة واحـدة ٠٠ واوقـــف القديس التاكسى أمــام حانوت صغير يقع على مســـافة صغيرة من فنـدق اكسلسيور ٠ وهنـاك ابتاع علبة سجـائر جلـدية ، واتجـه الى حانوت لبيع السيجار حيث اشترى سيجارين فاخرين وضعهما فى العلبة واحتفظ بهـا فى يـــده وهــو يـدخل من بــاب الفنـدق الفخم متجها الى مكتـــب البـــواب ٠

قال القديس : اعتقـد أن هـذه العلبة تخص واحـــدا من النزلاء هنـــا ٠٠ فهل تتكرم بتوصيلها له ٠

وتفحص الرجل العلبة ، التى وضعها تمبلار أمــامه ، بتعال شديد يتناسب مع مركزه ، وهو المركز الـذى يعتقد جميع البوابين انه يلى مباشرة مركز المـدير ٠

والتفت البواب الى تمبلار وقال لـه فى ترفع : هـــــل تعرف من صاحبها ٠٠ ؟

وهز القديس رأسه نفيــا ثــم قال : لا اظننى اعرفه ، فقـد رايته يستقل تاكسيا وسمعته يقول للسائق ان يأتى به الى هنــا ثــم رايت هـذه العلبة على الارض فالتقطتها وحاولت ان انادى عليه ولكن التاكسى كان قـد تحرك ولــم يسمعنى ٠

ـ ومــاذا كان شكل الرجل ٠

ـ بدين نوعا ـ فى حوالى الستين من عمره ـ شعره ضارب الى البياض ولكنه يكاد يكون أصلع الراس ـ يرتدى حلة رمادية من الحرير الفاخر ـ يحلى رباط عنقه بدبوس من الماس ـ وأزرار قميصه من العقيق ـ ويضع فى أصبعه خاتما كبيرا من الذهب ٠

وظل الرجل ينصت الى تمبلار وهو يدلى له بهذه الاوصاف وتعبيرات وجهه تتغير حتى بدأ عليه فى النهاية انه قد عرف الرجل ثم قال :

ـ آه ، فعم ٠٠ انه السينيور ديستاميو على ما اظن ٠

وتردد تمبلار للحظة قصيرة ثم قال :

ـ لا اظنك تقصد كارلو ديستاميو ٠٠

ـ لا ٠٠ ان اسمه اليساندرو ديستاميو ٠ سوف اوصلها له ٠٠ واختفت العلبة تحت البنك ٠٠

وقال القديس متخابثا : لحظة من فضلك ، لماذا لا تتصل بحجرته وتسأله اذا كان قد فقد علبة سجائره ٠٠٠ اننى فى الواقع لم ارها وهى تسقط منه وربما كانت لشخص آخر ٠٠

ـ ليس بوسعى ان افعل ذلك يا سيدى فقد خرج السنيور ديستاميو بعد ظهر أمس ٠

ـ أوه ٠٠ ياله من امر مؤسف ٠٠ لقد وجدت هذه العلبة بالامس فعلا ولكننى كنت مشغولا فلم استطع الحضور قبل الان ٠٠٠ ترى أين ذهب ٠٠

ـ لم يقل لى يا سيدى ٠٠

ـ اذن ٠٠ كيف بالله ستسأله ٠

كان من الواضح أن البواب لم يكن معتادا على مثل هذا الاستجواب ، فقد تجهم وجهه ولكنه اسرع يخفى تبرمه وراء ابتسامة كالحة ٠

ـ سوف اسأله عندما يعـود يـا سيدى · انه ليس سائحا فهو يحتفظ بغرفة دائمة لـه هنا ·· واذا كنـت تريـد ان تترك اسمك وعنوانك فسوف أعيـد لـك العلبـة اذا اتضح انهـا لا تخصه ··

وبـدا ان الرجل كان يريـد أن يقول انه اذا كانت هنـاك ثمة مكافأة فسوف يعمل على ان تصله ··
وقال القـديس باستخفاف لا عليك يـا صديقى ··· اذا اتضح ان العلبـة ليست له ، فاحتفظ بها ·

وهكذا لم يخرج القـديس من هـذه الرحلة صفر اليـدين بـل لقـد عاد بكل مـا كان يتوقع الحصول عليه ان لـم يكن اكثر ·· لقـد عـاد باسم اليساندرو ديستاميو ·

ـ ٣ ـ

كان اسم اليساندرو ديستاميو معروفا على نطـاق واسع فقـد غـدا اسما مألوفا من كثرة مـا كتب عنـه فى الصحف ومـا تردد عنـه فى نشرات الاخبار ، حتى بالنسبة لاولئك الذين لم تكن لـديهم فكرة واضحة عما يفعله ··· فقـد كان آل ديستاميو عضوا فى « النقابة » وهى تنظيـم غامض كان يسيطر على معظم الصحف فى الولايات المتحـدة وعلى عـدد هائل من السياسيين فيهـا ·· ولـم يـكن ديستاميو واحـدا من مديريها الاساسيين ، ولكنه كان على الاقـل واحـدا من قادتها ··
واخـذ القديس يتذكر المـاضى ·· لقد كان آل ديستاميو واحـدا من التعساء قبل بضع سنوات الامر الـذى اضـطر سلطات الولايات المتحـدة الى ترحيله الى موطنـه الاصلى · وعنـدما عاد الى وطنه تألق نجمه واصبح اسمه

يبعث الرعب او الولاء بين موظفى المطاعم والفنادق ..

وعند هذه النقطة حس تمبلار انه ربما كان من الاجدى ان يقوم ببعض التحريات علـه يكشف بعض الغوامض .. ولكنه لسوء الحظ لم يعثر فى مفكرته على أحد يعرفه فى هذه المدينة .. ثم تذكر ان صديقه الحميم جيليو ترابانى يحتفظ بفيللا فى سورنتو التى لا يستغرق الوصول اليها اكثر من ساعتين وعلى الفور ركب تمبلار سيارته واتجه نحو سورنتو .. ولم يجد مشقة فى الاهتداء الى الفيلا ولكن صاحبها لم يكن موجودا بها .. وهكذا تناول القديس غداءه فى أحد المطاعم ... ومن حسن حظه انه كان قد حجز له مكانا فى أحد الفنادق المتواضعة .. وعلى الرغم من أن الفندق كان اكثر تواضعا مما اعتاد تمبلار ان ينزل فيه فى هذه الفترة من حياته الا أن الوقت كان متأخرا وكانت غرفته تبدو نظيفة ومريحة ولم يجد تمبلار حاجة لان يكلف نفسه مشقة البحث عن فندق آخر سيما وانه لم يكن ينوى ان يقضى بالمدينة أكثر من يومين او ثلاثة ..

أخذ القديس مفتاح حجرته واستقل المصعد نحو الطابق الذى تقع فيه الغرفة وما أن خطا خارج المصعد حتى رأى رجلا يعدو بسرعة جنونية فى الممر لكى يلحق بالمصعد قبل أن يهبط مرة أخرى ، وأدار تمبلار رأسه يرقب الرجل باستغراب شديد .

ورغم ان الامر لم يستغرق اكثر من ثوان معدودات الا ان ذاكرة تمبلار الجبارة استطاعت أن تعى أوصاف الرجل من الاوصاف البسيطة التى لا يلحظها الرجل العادى ولكنها لا تغيب عن ذهن القديس واختفى الرجل داخل المصعد ثم غاب عن الانظار .. وعندما وصل القديس الى غرفته ، لم يكن بحاجة الى مزيد من التخمين .

لم يكن باب الغرفة مغلقا تماما ، حتى ان القديس لم يستخدم المفتاح الا لكى يدفع الباب فينفتح ٠

كانت الغرفة مقلوبة راسا على عقب ، ولم يعد لدى تمبلار أى شك فى ان الرجل الذى يشبه وجهه وجه الفأر هو الذى قام بهذا العمل ٠ ولم يكتف الرجل بقلب محتويات كل الادرج أو الحقائب وانما مزق ايضا عددا من افضل حلل تمبلار كما مزق بطانات الحقائب بل ونعال الاحذية ومراتب السرير ٠

وبهدوءه المعتاد أخذ تمبلار يتأمل الحطام وينفض رماد سيجارته فوق الكومة التى تجمعت فى منتصف الغرفة ٠

وسمع تمبلار صوتا وراءه يقول « ما هذا الذى حدث ؟ » وعندما التفت وجد أحدى خادمات الفندق تحملق مشدوهة فى المنظر الذى امامها ٠

وقال القديس ببرود : لو أن احدا كان قائما بالعمل فى البولبة لما حدث هذا ٠٠ على اى الاحوال أرجو أن تنظفى الغرفة ٠٠ واذا كان فى الملابس ما يمكن اصلاحه فاعطه لزوجك أو حبيبك أما اذا كان لدى صاحب الفندق ما يود قوله فسوف يجدنى فى البار ٠

ورغم كل شىء فقد كان لما حدث جانب ايجابى اذ تأكد تمبلار ان وفاة يوستون لا يمكن أن تكون قد حدثت بمحض الصدفة ٠٠ وهو احتمال كان لا يزال قائما ، وان كارتيللى أو ديستاميو كان مهتما بالبحث الدقيق عما قد يكون كامنا وراء شخصية تمبلار ٠٠ ولقد كان أشد ما اثار دهشة تمبلار هو السرعة والبساطة التى تم التعرف عليه بهما الامر الذى اكد وجود منظمة كبيرة وعلى مستوى عال من الكفاءة ٠٠ وهكذا ازداد الامر تشويقا واثارة بالنسبة لتمبلار ٠

وأخيرا ظهر صاحب الفندق وأخذ يفرك يـديه أسفـا على مـا حـدث ثـم قال :

ـ لا شك انك قلق بشأن مـا حدث للفراش ٠٠ لا تقلق بهـذا الخصوص فقـد وضعت لـك فراشا جديدا ٠٠ كل مـا هنـاك اننـا سنضف حساب ذلك على الفاتورة ٠

ـ ياه لمـاذا كان هـذا الكرم ٠٠٠ صدقنى انـا لا اريـد أن أبـدو ناكرا للجميل ، ولكننى فى الواقع كنت أكثر قلقـا بالنسبة لمـا حدث لملابسي ومتعلقاتى ، وهـو أمر لـم يكن ليحدث لولا انـكم تتهاونون فتجعلون من السـهل على اللصوص ان يدخلوا غرف النزلاء ٠

ـ ولكننى يا سيدى لست مسئولا اذا كان لـك اصـدقاء يفعلون هـذا على سبيل المزاح الثقيل معك ٠

ـ عندك حق فى هـذا ٠٠ ولكننى فى هـذه الحـالة انصحك الا ترسل لى فاتورة على الاطلاق فقـد يضايقنى هـذا فارسل بعض أصدقائى العابثـين لكى يفعلـوا نفس الشىء بجميع غرف الفنـدق ٠

وأحس تمبلار بالراحة بقيـة الليـل ولو انه حرص على أن يتناول عشاؤه على مائـدة فى احـد الاركان ٠٠٠ ورغـم انـه كان يعلم ان السم ليس هو الوسيلة التى تستخدمهـا الجماعة التى يشكل آل ديستاميو واحـدا من أعضائهـا البارزين الا أنه حرص مع ذلك ان يفحص زجـاجة النبيـذ جيدا قبل فتحها ٠٠ وكثيرا ما كان تمبلار يتساءل لمـاذا لا تلجـأ هـذه الجماعة للسم مع انه وسيلة أيسر من استخدام المسدس ٠٠ ترى أكان هـذا فروسية منهـم ٠٠ أم ترى أن السـبب هـو أن المسـدس أكثر من السم انزالا للرعب في قلوب الاخرين ٠

ولـم يقع مـا يعكر صفوه فى ذلـك المسـاء غـير أن الصباح التالى جـاءه بشىء يختلف تماما عن كل مـا

توقعه ٠

فعندما نزل فى الصباح وسلم مفتاحه عند البوابة تقدم منه رجل كان ينتظر هناك وهو يلبس ملابس السائقين وانحنى له انحناءة خفيفة ٠ ثم قال فى انجليزية سليمة :

ـ معذرة يا سيدى ، ان مستر ديستاميو يرغب فى مقابلتك وقد ارسلنى لهذا الغرض بسيارته ٠٠ وهو لم يرغب فى ازعاجك بالتليفون لذلك امرنى بأن انتظرك هنا حتى تنزل ٠

وتطلع اليه القديس وقد خلا وجهه من اى تعبير وقال:

ـ واذا فرض وكانت عندى خطط أخرى كأن اذهب لشراء ملابس مثلا ٠٠

ـ ان مستر ديستاميو يود لو تقابله قبل أن تقدم على اى شيء آخر ٠

ولقد امرنى ان اخبرك بأنك لن تأسف على هذا اللقاء ٠٠ ان السيارة بالخارج ، فهل ستأتى معى ٠٠

وأشار السائق بيده مكررا دعوته ومشيرا الى السيارة ومع ذلك لم يكن فى لهجته اى ظل من التهديد ، وبعد ان انتهى من رسالته ، ظل واقفا دون تَململ ينتظر قرار تمبلار ٠

ووجد القديس فى ذلك فرصة مناسبة للتعرف على مستر ديستاميو عن قرب ومن ثم وافق على الذهاب ٠٠ ولم تكن هناك حاجة للتلفت على السيارة فقد كانت الكاديلاك السوداء الفارهة رابضة فى الطريق امام الفندق ٠٠ وانحنى السائق يفتح له باب السيارة وعندما دخل القديس لم يدهش اذ وجد نفسه وحيدا داخلها ٠٠ فمهما يكن فى ذهن ديستاميو من خطط للمستقبل فلا شك انه ليس من البله بحيث يقدم على قتل تمبلار داخل سيارته فى قلب نابولى ٠٠

كانت النوافذ مغلقة وجهاز التكييف يئز ازيزا خفيفا واستلقى تمبلار فى المقعد الخلفى الوثير واعد نفسه للاستمتاع بالرحلة ٠

ـ ٤ ـ

لم تكن الرحلة طويلة ، ولكنها كانت فاخرة ٠٠٠ فقد كان السائق ماهرا بحيث انسابت السيارة فى يسر ٠٠ ومن كل الجوانب كانت تندفع قوافل من السيارات الصغيرة بين حشود المارة والاطفال الصغار والحيوانات ٠٠ ولم يشعر تمبلار بكل الضجيج المحيط به حيث حجبه عنه زجاج السيارة السميك بينما كان الهواء الرطب يلفح وجهه ويذرو دخان سيجارته ٠٠

وصلت السيارة الى الميناء ٠٠ وبلا ابطاء مرت من بواباته والحرس يحيونها فى احترام حتى وصلت الى المرفأ فتوقفت وخرج تمبلار يسأل السائق ٠٠

ـ الى أين ياترى ٠٠ اسخيا ام كابرى ٠٠

ـ كابرى يا سيدى ٠ من هنا من فضلك ٠

كانت جزيرتا اللهو والشمس الساطعة تقعان على مسافة ثمانية عشر ميلا من المدينة ٠٠ وكان الوصول اليها يتم اما باليخوت أو القوارب فى مرحلة تستغرق بين ساعة وأربع ساعات ٠٠ أما ذوى الثراء فكانوا يصلونها بطائرات الهليوكوبتر التى تقطع نفس المسافة فى بضع دقائق ٠٠ وكانت هناك احدى الطائرات بدا انها تنتظر القديس وما ان وصل القديس الى سطحها حتى اغلق الباب وارتفعت به تحلق فى الجو فوق منظر ساحر خلاب ٠٠ وعندما هبطت الطائرة فى كابرى كان تمبلار

يتساءل فى نفسه : ترى مـا هى وسيلة الانتقـال الاخرى التى سيقطع بهـا باقي الرحلة ·· ولـم يكن لـديه شك فى أنهـا لن تقـل فخـامة عما استخدمه ··

ورأى تمبلار أمامه سربا من الغيد الحسان وهن يخطرن فى ملابس لا تكاد تغطى شيئـا من أجسادهن المشـوقة التى لوحتها شمس الجزيرة ·· واخـذ يرقب واحـدة منهن ذات ساقين طويلتين وشـعر ذهبى وعى تخطر نحوه وتخاطبه بصوت يشع منـه الدفء والدلال :

ـ مستر تمبلار ···

ـ نعم ·· ولكن كيف عرفتنى من كل هـذا الحشد ·

وتجاهلت الفتاة سؤاله ومـا بـدا على جهه من سعـادة ثـم اشارت له نحو سيارة صغيرة ولكنها فى نفس الوقـت فاخـرة ·

وانطلقت الفتاة بالسيارة فى سرعة هائلة وبـين الحـين والحين كان تمبلار يختلس اليها نظرات متلصصة ولـكن شفتيها كانتا كثيفتى الطلاء لا تتحرك بينما كان الجزء الاعلى من وجهـا مختفيـا وراء نظارات كبيرة مزينـة بالزهور · وكانت عينـاها ومـا يرتسم فيهما من تعبيرات مختفيـة عنـه تماما ·· وبـدا انتباهها مركزا على الطريق فوجـد تمبلار من اللائق الا يسترعى انتباههـا اليـه خصوصـا وان السيارة كانت تهبط مرتفعات عمودية شاهقة حتى أن القوارب بـدت من هـذا الارتفـاع وكأنهـا لعب أطفـال فوق بركة مـاء ·

واخيرا وصلت السيارة الى غايتها ·· فيللا تطـل على خلجـان مارينـا بيكولا ··

واتجهت الفتاة الى البـاب وضغطت زر الجرس وعنـدما فتح البـاب برز منـه كرش السنيور ديستاميو مرتـديا

قميصا خفيفا وبنطلونا قصيرا لا يتناسب بأى حال من الاحوال مع الملابس التى رآه فيها تمبلار لاول مرة ٠

وصاح ديستاميو مرحبا بصوته المألوف :

ـ حسنا ، يا مستر تمبلار اشكرك على تلبية دعوتى ومد يده وجذب القديس الى داخل المنزل ثم قال :

ـ اننى ارغب فى التحدث اليك ٠٠ ولقد تصورت ان هذا المكان مناسب لحديثنا ٠ بل ربما كان افضل من غيره ، اليس كذلك ؟

وقال القديس فى حذر :

ـ ربما ٠٠

كان تمبلار فى هذه الاثناء يدرس كل اركان القاعة وزواياها دون أن يبدو عليه انه يفعل ذلك ٠٠

ـ هيا بنا نجلس فى الشرفة حتى تحضر لنا ليلى بعض الشراب ثم تختفى ٠٠

جلس تمبلار وديستاميو الى منضدة من الزجاج والحديد المطروق حتى قدمت لهم ليلى عربة عليها زجاجات الشراب ثم انصرفت ٠٠ وسمع تمبلار بابا يصفق داخل المنزل ٠

قال ديستاميو : تناول شيئا من الشراب وصب لى من فضلك كأسا من البراندى ٠

وحرص تمبلار على أن يصب الكأسين من زجاجة واحدة كان الكونياك فاخرا ولكن تمبلار لم يكن يفضل ان يتناوله قبل الغداء ٠

ـ هل تعمل الان مع اولئك الملاعين فى مكتب الدخل الدولى يا تمبلار ؟

جاء هذا السؤال من ديستاميو دون اى تغير فى لجهة حديثه ٠٠ وثبت نظره على القديس وهو يلقى

بالسؤال ٠٠ ورغم ما بـدا على وجهه من خلو من اى تعبير الا ان لهجتـه كانت تخفى شيئا من التهـديد الكامن فى اغوار عينيه ٠٠

ورشف تمبـلار كأسه وبدا هادئا اشد الهـدوء ٠٠ بينما كان عقلـه يعمل بسرعة شديدة ثم قال بلهجة حالمـة :
ـ جوفر ٠٠ جوفر ديستاميو ـ اليس هـذا هو الاسـم الذى يطلقونه عليك ٠
ـ ان اصدقائى يسموننى آل ٠٠ وهـذا هو ما اريـد أن اعرفه عنك : فى اى جانب انت ؟
ـ وهل لابـد لى ان اكون فى جانب دون الاخر ٠٠ اننى ابغض دفع الضرائب شـأنى فى ذلك شأن اى شخص آخـر ومن هنا فأنا لا أخفى تعاطفى مع من كان مثلك واقعـا فى مشاكل مع مكتب الـدخل الـدولى ٠٠ ولـكن التهرب من الضرائب ليست هى اسوأ ما اتهمت بـه من جرائم ، اليس كـذلك ؟
ـ لقـد سمعت عنى كل شىء اذن ٠٠

واخرج ديستاميو من جيبـه علبة سيجار قـدم منهـا واحـدة لتمبلار الـذى اعتـذر عن قبولها بأدب ٠٠ واشعل ديستاميو سيجارة قبل ان يستأنف حـديثه من جديد ٠
ـ ان الجميع يصـدقون كل مـا تنشره الصحف من أكاذيب ويعتقدون اننى لا أملك من الحقوق اكثر مما يملكـه كلب مسعور ٠٠ اما انـا فاننى رجل مسالم وكل ما أريـده ان اترك لشـأنى ٠٠
ـ لا ظن احـدا من اعضاء « النقابة » الاخرين يرغـب فى اكثر من ذلـك ٠
وصاح ديستاميو دون أن يظهر حماسا كبيرا :
ـ اكاذيب ، كل هـذه اكاذيب ٠٠

وبدأ ديستاميو يتحدث كما لو كان يردد قصة رواها من قبل عشرات المرات لمحررى الصحف وضباط البوليس وقضاة التحقيق قال : « لقد ذهبت من ايطاليا الى الولايات المتحدة ومعى بضع دراهم استثمرتها فى مجال النقل وحققت من وراء ذلك بعض المكسب ٠٠ ولما كنت اهوى المراهنة على الخيل فقد حالفنى حسن الحظ وحققت بعض الارباح ٠٠ صحيح اننى قد اكون اخطأت اذ لم أبلغ عن بعض مكاسبى ٠٠ ولكنهم يتخذون من ذلك ذريعة لاتهامى بأننى أملك من النقود أكثر مما استطيع ان أثبت مصدرها ٠٠ أنه مجرد تمييز ٠ نعم ٠ أفلاننى ايطالى وبعض من يعملون فى التهريب ايطاليون يسموننى مهربا ٠٠ اننى احب أمريكا ، ولكنهم هناك أساءوا معاملتى » ٠٠

وتوقف الحديث وكان ديستاميو قد جرع قدرا كبيرا من الشراب ٠٠

وتذكر تمبلار بقية القصة بما فى ذلك بعض التفصيلات التى تجاهل جوفر ديستاميو ان يضمنها حديثه ٠ فقد كان تاريخه المبكر غامضا ، ولكنه تضمن القبض عليه مرتين أو ثلاث مرات بتهم صغيرة وقضى فترة قصيرة فى السجن لاعتدائه بالضرب بسلاح قاتل على احد الناس قبل ان يرتقى ديستاميو الى المراكز العليا فى « النقابة » ٠ وبعد ذلك ورد اسمه ضمن من يحضرون اجتماعات غامضة فى كهوف الجبال المنعزلة ، وبالتدريج بدأ اسمه يتردد فى مقالات الصحف عن ارستقراطية العالم الخفى ٠ ورغم انه لم يرفع ضد كاتبى هذه المقالات دعاوى بالقذف فى حقه الا ان احدا لم يستطع ان يثبت ضده شيئا حتى استطاع محاسبو وزارة العدل ان يعثروا على مخالفات مالية فأقاموا ضده دعوى ٠

وكانت المبـــارزات القانونيـــة التى تلت ذلك باهظـة التكاليف بالنسبة لجوفر والحكومـــة علىحـــد ســـواء ٠ وكما هى العادة لم يستفـــــد من الامر سوى المحامين ٠٠ وانتهت القضـــايا فى النهاية بأن عجزت الحكومـــة عن أن تضع يـدها على أكثر من عشر المبالغ التى حـكم لهـا بهـا ولكنها رحلته الى ايطاليا كشخص غير مرغوب فيـــه ٠

قال ديستاميو : وهكـذا فأنت تعرف عنى كل شيء ٠٠ كما اننى أعرف عنك الكثير ولكن الامر الـذى لا أعرفه هو لـماذا بـدأت تهتم بى هكذا فجـأة ٠٠ لـماذا ٠٠

وبـدا لتمبلار ان أشياء كثيرة تتوقف على اجابته ، من بينها استمرار حيـاته هـو نفسه ٠

ومع ذلك بـدأ تمبلار أقـل اكتراثا من مضيفه ، وكانت يـده التى تمسك بالسيجارة ثابتة حتى أن الـدخان تصاعد منها فى عامود لا يهتز ٠٠ ولقـد اجابه بصدق موقنـا بأن ذلك هـو أيسر السبل واكثرها فاعلية ٠٠ كذلك كان تمبلار يريد أن يعرف رد فعل ديستاميو عنـدما يذكر اسم معـين مرة أخرى ٠

قال القـديس : اننى لا زلت اتساءل ماذا حـدث لـدينو كارتيللى ٠

الفصـل الثـانى

ـ ١ ـ

لم يبـد على وجه ديستاميو اى اثر ٠٠ امـا لان الاسم لم يكن يعنى شيئا بالنسبة له ٠٠ او لانه كان يتوقع السؤال مقدما ومن ثـم أعـد نفسه لمواجهته ٠٠ قال :

ـ كارتيللى .. لا اعرفه لماذا تسألنى عنه .. وما الذى يجعلك مهتما بأمرى . لقد تلقيت عدة تقارير تفيد كلها بانك دائب السؤال عنى . ولا يخفى عليك ان رجلا فى مثل مركزى لا يحب ذلك .. ان هناك كثيرين يودودن لو رأونى اقع فى مشاكل ، ومن واجبى ان اتخذ حيطتى لمثل هذه الامور .

ـ كأن تدفع بمن يمزق ملابسى مثلا ..

رزمجر ديستاميو قائلا : ربمايندفع بعض الاولاد الى ما هو اسوأ من تمزيق الملابس .. ولكنك لم تجب على سؤالى : لماذا تعتقد اننى اعرف شيئا عن كارتيللى هذا ..

ـ لان هذا هو الاسم الذى ناداك به شخص فى المطعم فى تلك الليلة .. ولقد بدا متأكدا من انك انت هو دينو كارتيللى ..

وانقضت برهة من الصمت صاح على اثرها ديستاميو قائلا :

ـ اهذا كل ما يدور بذهنك .. لقد كان الرجل كاذبا والدنيا كلها مليئة بالكذابين .. آه ـ لقد تذكرت الان .. الم تكن انت ذلك الشخص الذى كان يجلس الى المائدة المجاورة والذى لوى ذراعى روكو . اننى لم اعرفك الا الان .. لقد انسحبت وقتها لاننى اريد ان أتجنب المشاكل فلدى ما يكفينى منها .. هل تقسم ان هذا هو كل مصدر اهتمامك بشئونى .. اتهتم بى كل هذا الاهتمام لان شخصا مأفونا نادانى بغير اسمى .

وقال القديس بهدوء : نعم ، هذاكل ما هنالك .. لان ذلك المأفون ـ كما تطلق عليه ـ قتل الليلة الماضية .. ولابد انه كان يعرف عنك ما كان كفيلا بايقاعك فى كثير من المتاعب ..

وسادت لحظة صمت طويلة ظل دبستاميو يقلب سيجاره فيها بين اصابعه وهو يحملق فى برود فى وجه تمبلار ثم قال :
ـ وانت تعتقد اننى قتلته لاسكته ٠

ونفض رماد سيجاره ثم ضحك فجأة واستطرد :
ـ يا للغرابة ٠٠ انت تعلم يا تمبلار اننى اصدقك ٠٠ قد اكون مغفلا ولكننى اصدقك ٠٠ انك تعتقد اذن أن من واجبك ان تقتص لهذا المسكين ٠٠ ما هو اسمك الاول يا تمبلار ـ سيمون ـ نادنى اذن باسم آل ياسيمون أن كل أصدقائى ينادوننى بهذا الاسم ٠

واسترخى ديستاميو فى مقعده وعندئذ قال تميلار :
ـ اذن فلم يكن اسمك فى يوم من الايام دينو كارتيللى
ـ لم يكن ولن يكون فى يوم من الايام ٠٠ كما اننى لم اقتل ذلك المغفل ٠٠ انك تسمح لمصادفة محضة أن تجعل منك هزاة ٠٠ والان دعنى اطلعك على شىء ٠

ونهض ديستاميو يتثاقل ثم اتجه نحو حجرة الجلوس وأشار الى لوحه معلقة فوق الحائط وقال :
ـ ان الكثيرين يذهبون الى الولايات المتحدة ويغيرون اسماءهم دون ان يعنى ذلك شيئا بالنسبة لهم ٠٠ اما أنا فاننى اليساندور ليوناردو ديستاميو وأنا فخور به ٠ والان انظر لتتأكد بنفسك ٠
وادرك تمبلار ان اللوحة لم تكن سوى شجرة عائلة يحمل فرعها الاخير اسم لورنزو ميشيل ديستاميو ٠
واستطر ديستاميو قائلا :
ـ كان هذا ابى ٠٠ وقد كان فخورا دائما بعائلته ٠٠ واليك شهادة ميلادى ٠

وقدم له ديستاميو وثيقة رسمية تعلن ان ابن لورنزو ميشيل ديستاميو اسمه اليساندرو ليوناردو · وكانت الوثيقة تبدو سليمة لا تشوبها شائبة ·

وقال تمبلار : ولكن اليست لديك اية فكرة عن السبب الذى من أجله قتل هذا الرجل المدعو وليام تشارنج كروسى ··

وأجاب ديستاميو بهدوء :

ـ مطلقا فأنا لم اره من قبل ولم اكن لاعرف اسمه لولا انك اخبرتنى به · ولكن اذا كان الامر يعنيك حقا فبوسعى ان أسأل لك عنه لاعرف ما اذا كان أحد يعرف شيئا عن الموضوع ·· وتأكد اننى لن ادخر وسعا فى سبيل مرضاتك ··

وتوقف عن الكلام ثم بدا كما لو كان قد تذكر فجأة وقال :

ـ يا لله ·· لقد كدت انسى ما سببه لك الاولاد من مضايقة ·· سوف أعود حالا ·

واتجه ديستاميو الى غرفة مجاورة وان هى الا لحظات ثم سمع تميلار صوت باب احدى الخزائن وهو يقفل وعاد ديستاميو يحمل فى يده رزمة كبيرة من الاوراق المالية وقال وهو يقدمها لتمبلار :

ـ خذ ·· ان بعض الاولاد هنا متحمسون أكثر مما يجب ولم يكن كل ما فعلوه بامتعتك من رايى ·· ولذلك فأننى أقدم اليك هذا المبلغ على سبيل التعويض واذا لم يكن كافيا فأرجو أن تخطرنى ··

وتناول تمبلار الرزمة فوجدها من فئة المائة دولار فوضعها ببساطة فى جيب سترته دون أن يبدو عليه أى اثر للخجل ·· وابتسم ديستاميو ابتسامة المحسن الكبير ثم قال :

ـ دعنا نتناول الان شيئا من الطعام ·· ونتجـــاذب أطراف الحديث : ان المرء ليكاد يجن هنـا لانـه لا يجـد من يتحـدث اليـه ·

وضغط ديستاميو على زر أحـد الاجراس وبـدأت صحاف الطعام تترى حتى قبـل ان تنضم اليهم ليلى الحسنـاء لتشاركهم طعامهم ·

وأثناء الطعام كان ديستاميو هـو المتحـدث الوحيـد تقريبـا بينما قنع تمبلار بـدور المستمع وقد انصرف بكليته الى التهام الطعام الشهى الـذى قـدم لهم ·

وكان موضوع الحديث كله يدور حول عدم دقـة وزارة العـدل الامريكيـة وتعقبها للمهاجرين الابريـاء الـذين استطاعوا بعرقهم أن يحققوا لانفسهم مركزا ممتازا ··· ولـم يكن مطلوبا من تمبلار طوال ذلك كلـه الا ان يأكـل ويصـدر بين الان والاخر أصواتا تـدل على انه يتـابع الحديث ·· بينما كان يحاول الاهتـداء فى كلام الرجل الى مـا يمكن ان يـدله على مفتـاح لبعض الغـاز اليومـين السابقين دون أن يصـل الى بغيته ·

وعنـدما انتهى الطعام وقدمت القهوة تثاءب ديستاميو وتجشـأ وكان هـذا نـذير بأنه يريد ان ينـام ·· وتذرع تمبلار بهـذا فاستأذن مضـيفه فى الانصراف فوافق على الفور ·

قال ديستاميو وهـو يصافح تمبلار بحرارة السـياسى المحترف :

ـ لقـد اسعدنى أن اتعرف اليـك يـا تمبـلار ··· فاذا صادفتك اية مشاكل فأرجو ان تلجـأ الى ولا تتصـور انـك تستطيع تحقيق كل شىء بمفردك ·

وقامت ليلى مرة أخرى بـدور السائق وقـد ارتدت هـذه

المرة بلوفرا من الكشمير وبنطلونا ضيقا شديد الضيق ٠

وأثناء الطريق أحس تمبلار بأن عليه أن يقوم بمحاولة أخيرة علـه يستدرج الفتاة الى الحديث ٠٠ قال :

ـ هل تعيشين هنا أم أنك مجرد زائرة ؟

ـ نعم ٠٠٠

وتطلع اليها مليا ولكنه لم يستطع ان يستدل فيما بدا من وجهها على شيء فقرر ان يعاود المحاولة ٠

ـ هل تخرجين ٠٠

ـ أحيانا ٠٠٠

ـ آمل أن اراك مرة اخرى ٠

ـ لماذا ٠٠٠

ـ اود أن أعرف شكلك ٠٠ ترى هل استطيع التعرف عليك لو انني رايتك بلا نظارات ٠٠

ـ لا ٠٠٠

ـ هل آل من النوع الغيور ٠

ـ لا أعرف ٠٠٠

وتنهد القديس ٠٠ وادرك ان هناك من النساء من يستطعن مقاومة جاذبيته ٠٠ ولكنه احس بأنه يجب عليه ان يواصل الحديث فقال :

ـ هل تعرفين لماذا اطلقوا عليه اسم جوفر ٠٠

ـ لا ٠٠٠

ـ حسنا ٠٠ سوف لا اثقل عليك بذلك ٠٠ وانما اطلب اليك عندما تعودين ان تبلغيه انني أعرف ، فهل ستفعلين ذلك ٠٠٠

ـ نعم ٠

ووصلا الى المطار وكانت هناك طائرة على وشك الاقلاع ولكن القديس اراد ان يتاكد ان رسالته ستبلغ ٠٠ وعندما رفع نفسه من فوق مقعد السيارة توقف وقد أبقى

بابها مفتوحا ثم اخرج رزمة الاوراق المالية من جيبه وقال :

ـ أخبريه اننى احب هذه العينات وان اعتراضى الوحيد عليها هو أنه لم يكن هناك الكثير منها ٠٠ واخبريه كذلك ان الامر سيكلفه الكثير الان بسبب موضوع جوفر هذا ٠٠ هل تعتقدين انك فهمت الان ٠٠

وأومأت برأسها فقال تمبلار :

ـ لك تهانئى ٠٠

وأغلق باب السيارة ثم انحنى فوقها ٠٠ كانت هناك لمسة أخيرة لا يستطيع أن يغفلها مهما بدا من عمقها وقال :

ـ واذا اردت ان تعرفى ما اذا كان غيورا أم لا ، فأخبريه اننى فعلت هذا وانحنى الى الامام وطبع على شفتيها قبلة ٠٠ وأحس بطعم الطلاء الدافىء ٠٠

ـ ٢ ـ

وحلقت الطائرة الهليكوبتر ومع تحليقها ارتفعت معنويات القديس ٠٠ فقد بدأت المغامرة تروق له وتنبىء بتطورات مثيرة ٠ فكلمة جوفر تعنى باللغة الامريكية الدارجة نوعا من انواع الحيوانات ولكنها بلغة العالم السفلى كانت تعنى ايضا احد أولئك الذين تخصصوا فى فتح الخزائن لكى يستولوا على ما بها من نفائس ٠

وعندما هبطت الطائرة فى نابولى ، ظل تمبلار قابعا فى مقعده حتى جاء الطيار وقال له احترام :

ـ هنا تنتهى تذكرتك يا سنيور ٠

ـ لقد قررت الذهاب الى كابوشينو ٠

ـ لابد اذن من مبلغ آخر ٠

ـ كـم تريـد ··

كان تمبـلار لا يريـد التعرض هكذا سريعـا لاعـوان ديستاميو ·· فان الوقت الـذى استغرقته رحلـة الطـائرة كان كافيـا لان تعود ليلى الى الفيلا ، وان يتصل ديستاميو باتباعه فى نابولى فينتظرون تمبلار فى المطار · كمـا أن وصول تمبـلار الى كابوتشينو يمكن أن يؤدى الى اشاعـة الارتبـاك فى صفوف خصومه ·

ومـا ان قرر تميلار هـذا التغيير ، فقد أدرك انه لن يكون محتاجا للعودة الى نابولى مرة أخرى فـلم يعد فيهـا أيـة قيمـة ·

وفى كابوتشينو ابتـاع تمبلار كتـابا عن أمجاد صقلية ثـم لحق بطائرة المساء الى بالرمو ·

وكانت بالرمو أشد حرارة من نابولى ، ولـم تكن هنـاك غرف مكيفة الهواء فى فنادق صقلية برغم الحاجة المـاسة اليها ·· ومع ذلك وفق تمبلار بحكم تصميمه وحسن حظـه والرشوة الكبيرة التى قدمهـا فى الحصول على غرفـة مكيفة الهواء · وقضى تمبلار ليلته الاولى فى هـدوء تحت اسـم مستعـار ·

وفى الصباح تناول تمبلار افطاره وحلق ذقنه ثم اتجـه سيرا على قدميه نحو المكتب المحلى لبنك سيتى وكونتننتال (القسم الخارجى) · كان المبنى متواضعا وقـد اقيـم خصيصا لخـدمة العملاء من السياح ·

واستقبلته فتـاة داكنـة الشعر ذات عينين نجـلاوين تجلس خلف حاجز قرب المـدخل وسألته ان كان هنـاك من خـدمة يمكنها أن تؤديها له ·· وفكر تمبلار قليـلا قبل ان يجبهـا قائلا :

ـ اننى أحاول ان اتصل بواحد من موظفيكم ، لقـد كان يعمل هنـا منـذ عـدة سنوات ، وربما يكون قد نقل ·

ـ ما اسمه ٠٠٠
ـ دينو كارتيللى ٠
وفغرت الفتاة فاها وقد زاغت عيناها وامتقع وجهها ثم قالت : يا الهى ٠٠ لحظة من فضلك ٠٠

وانتقلت من مكانها وتحدثت الى رجل كان يجلس الى مكتب آخر ، وسقط القلم من يده دون ان يلحظ حتى بقعة الحبر التى وقعت على أوراقه ٠٠ ونظر الى تمبلار نظرة ملؤها الشك ثم اسرع خلف حاجز فى مؤخرة المكتب وان هى الا لحظة حتى عاد الى تمبلار وقال له :
ـ هل تحب ان تقابل المدير ياسيدى ٠٠

ولم يكن تبملار يريد أكثر من ذلك فتبع الموظف الى حيث وقف يكرر سؤاله ، وقد بدا كذلك الرجل ، فى القصة الباريسية ، الذى كان يحمل فى يده مذكرة مكتوبة بالفرنسية دون أن يجد من يقرأها له ٠ وفى هذه المرة كان رد الفعل اقل قوة ٠٠ قال المدير :
ـ هل كنت تعرف دينو جيدا يا سيدى ٠
ـ اننى لم أقابله فى حياتى ٠٠ كل ما هنالك ان صديقا من اصدقائه ، هو جيمس يوستون ، الذى قد تعرفه ، اوصانى ان أزوره اذا جرت الى صقلية ٠
ـ نعم ، نعم ، مستر يوستون ، ربما كان فى ذلك تفسير للموضوع ٠
وحملق المدير طويلا فى يديه المضمومتين فوق المكتب ٠٠٠ كان المدير رجلا كبيرا ، ذو شعر رمادى ثم قال :
ـ لقد كان ذلك منذ وقت طويل ٠٠ ولابد أنه لم يعرف
ـ من الذى لم يعرف ماذا ٠٠
وقال المدير بصوت أجش هامس أشبه بصوت الحانوتى :

– لقـد مات دينو يارتيللى ٠٠ مات ميتة بطوليـــة ٠
– وكيف فعل ذلك ٠
– لقـد حدث ذلك ذات مساء من شتاء سنة ١٩٤٩ ٠٠٠

كانت ليلة مشئومة لن أنساها ما حييت ٠ كان دينو ليلتهـا يعمل بمفرده فى البنك حتى ساعة متأخرة لـكى ينظـم دفاتره استعدادا لليوم التـالى ٠٠ حيث كان البنك يتوقع زيارة بعض المفتشين ٠ ولقـد كان دينو شـابا رؤوبا ٠٠٠ مات من أجل البنك ، برغم ان ذلك لم يجدى ٠٠
– هل تعنى أنه مات من كثرة الاجهاد ٠
– لا ٠٠ لا ٠٠ لقـد قتل ٠
– هل تتفضل بأن تقول لى كيف وقع الحادث بالضبط ؟
واحنى المـدير راسه ٠ وسادت فترة صمت ٠٠ ثم قال :
« لن يعرف أحـد ما حدث بالضبط ٠٠ فقـد كان مقتولا عنـدما عثرت عليه فى الصباح وقـد اصيب وجهه ويـــداه بجراح بالغة ٠٠ كان منظرا بشعا لن يبرح مخيلتى ٠٠٠ وكانت الخزانة مفتوحة وقـد اختفى منها كل مـا له قيمة ٠ ووفقا لاستنتـاج البوليس فلابـد أن اللصوص باغتوا دينـو الـذى كان يعرف سر فتح الخزانة ولكنه لم يبح لهم به ٠٠ وبدلا من ذلك حاول أن يختطف منهم البندقية ٠٠ وعنـــد ذلك مزقت يـداه ٠٠ ولكن حتى هـذا لم يقعـد دينو المسكين ٠٠٠ ولابـد انه واصل النضال ضدهم ٠ حتى اطلقوا عليـه الرصاص فى وجهـه ومات ٠٠
– وكم اخـذوا ٠٠٠
– ليرات جـديدة ومستعملة قيمتها حوالى مائة الـــف جنيه وبعض الكمبيالات واشياء أخرى ٠ ومن المؤسف ان المجرمين لم يقبض عليهم ٠٠

وسأل تمبلار بضعة اسئلة اخرى ولكنه لم يصـل الى

شيء هام ... وما أن وجد أنه قد استنفد كل المعلومات وعندئذ قال له المدير .

ـ ارجو ان تبلغ يوستون تحياتى .. لابد انه سيصدم لدى سماعه القصة فقد كان هو ودينو صديقين حميمين ..

ـ هذا اذا لم يكن دينو قد اخبره بالقصة بنفسه .. اننى لا اعرف تماما كيف سأنقل اليه النبأ ..

وبدا الذهول على وجه المدير ولم يجر جوابا فاستطرد تمبلار :

ـ لقد مات يوستون ايضا .. لقد قتل فى نابولى الليلة الماضية ..

وصاح المدير : يا للـه .. يا لها من مصادفة مؤسفة ، اظن انه لا توجد صلة بين الحادثين .

وقال تمبلار وقد ادرك الا جدوى هناك من اضاعة وقته فى مناقشة شكوكه مع المدير : طبعا ، ليست هناك ثمة صلة ..

وفى الخارج كان الجو شديد الحرارة ولكن القديس لم يحس به فقد كان ذهنه مشغولا بذلك الخيط الجديد الذى اضيف الى النسيج المعقد .. وراح يسائل نفسه اذا لم يكن ديستاميو هو كارتيللى ، فما هو وضعه من الصورة .

وعند منعطف من الطريق أوقف رجل نحيل تمبلار وقد امسك فى يده بسيجارة غير مشتعلة يسأله عودا من الثقاب .. وكانت يد الرجل الاخرى داخل سترته وهو ينحنى بأدب أمام تمبلار ومن حولهما كان الشارع يموج بالضجيج عندما أخرج القديس ولاعته وقال :

ـ هل تنفع هذه .

واشعل الولاعة وادناها من الرجل وقد شرد ذهنه مشغولا بأمور أخرى ... وانحنى الرجل الى الامام وسيجارتهفى فمه .. وفى نفس الوقت أخرج يده الاخرى تحمل سكينا وجهها مباشرة نحو بطن تمبلار .

كان هذا على الاقل ما انتواه الرجل .. ولو كان هناك شخص آخر غير تمبلار لمات وقد غاب فى معدته نصل معدنى طوله ست بوصات .. ولكن شرود تمبلار لم يطل طويلا . بينما لمع فى ذهنه مغزى اختفاء يد الرجل الاخرى داخل سترته فتحرك فى اللحظة المناسبة لكى يتفادى النصل القاتل .. ومع ذلك فقد كان النصل قريبا منه الى حد انه أصاب سترته فأحدث فيها شقا طويلا .. وهكذا فقد تمبلار آخر سترة لديه .. واهاجه ذلك بالاضافة الى نفوره الطبيعى من أولئك الغرباء الذين يحاولون استغلال نزعاته الانسانية فى محاولة قتله ... وكانت هذه هى القشة التى قصمت ظهر البعير .

ولكن بدلا من أن يعمه الغضب ، فقد جعل تصرفاته اكثر دقة وتحديدا ..

قبض تمبلار على الرسغ المسك بالسكين ولوى ذراع الرجل تحت ذراعه وظل على هذا الوضع فترة كانت كافية لان يتجمع عدد من المارة ويشهدوا الوضع ويسجلوا من الذى كان ممسكا بالسكين ومن الذى كان يحاول استخلاصها .. ثم قام بحركة سريعة حادة نتج عنها صوت انكسار عظام وصرخة قصيرة انبعثت من فم ضحيته . وسقطت السكين على الارض ..

ودون أن يرخى تمبلار قبضته الممسكة برسغ الرجل ، حرر يده الاخرى ، وحدد هدفه بدقة ، ثم وضع كل قوته الجبارة فى لكمة فولاذية وجهها الى انف الرجل ووجهه .

ولم يستغرق المشهد كله سوى بضع ثوان ٠٠ وعندما تلفت تمبلار حوله مستعدا لمواجهة أى هجوم آخر ، رأى سيارة صغيرة تقف عند نهاية الشارع وقد فتح باب المؤخرة بينما جلس الى عجلة القيادة رجل ذو ذقن أزرق وكان يحملق ببصره نحو تمبلار وقد فغر فاه ذهولا ٠٠٠ ولكنه سرعان ما عاد الى الحياة فأغلق باب السيارة وانطلق بها بسرعة جنونية ٠

والتقط القديس السكين متجاهلا ذلك الحشد الكبير من الناس الذى تجمع حوله ٠٠ واخيرا وصل احد رجال البوليس وهو يشق طريقه بصعوبة بالغة خلال الحشد وقد وضع احدى يديه على مسدسه ٠٠ وقدم له تمبلار ببرود مقبض السكين الذى كان فى يده وقال :

ـ هذا هو ما هوجمت به ٠٠ لقد رآنى كل هؤلاء الناس وانا انتزع السلاح من يد الرجل ولكم يسعدنى أن اعاونك فى اقتياده الى مركز البوليس حيث أوقع على محضر اتهامه ٠

ـ ٣ ـ

وادار رجل البوليس عينيه بين جموع المحتشدين ٠٠٠ وعلى الفور لاحظ حركة تراجع سريعة ٠٠ كل منهم يبغى الفرار ٠٠ وقبل أن يتفرق الحشد اسرع يمسك باثنين منهم وكان الشيء المشترك بينهما أنهما شاهدا الحادث ولكنهما رفضا أن يبوحا بشيء لرجل البوليس ٠٠ ومع ذلك استطاع الكونستابل أن ينتزع منهما اعترافا على مضض بأنهما شهدا بعض الاحداث التى وقعت ٠٠ وهنا أخذ رجل البوليس بطاقة تحقيق الشخصية الخاصة بكل منهما لكى يضمن حضورهما الى مركز البوليس للادلاء بأقوالهما ثم التفت بعد ذلك الى القديس وسأله قائلا :

- لماذا قتلته ٠٠٠
- اننى لم اقتله ٠ لقد حاول هو ان يقتلنى ولكننى لم امكنه من ذلك فنزعت سلاحه ثم طرحته ارضا ٠٠ اما السكين الذى تمسك به فهو له وليس لى ٠

واعاد رجل البوليس فحص السلاح من جديد وهو يفتحه ويقفله ٠٠ ومن خلفه ظهر ضابطان آخران من ضباط البوليس وهنا فقد الجمهور كل حماس له لمتابعة القضية فتفرق افراده ٠٠ وادى رجل البوليس التحية للضابطين وشرع لهم ما حدث ٠٠ وينظر رئيسه الى تمبلار فى تجهم ولكنه امسك عن مناقشة الجريمة على قارعة الطريق ٠٠ واستقل الجميع سيارة البوليس ٠

وفى مركز البوليس بدات الاجراءات الروتينية تجرى فى صمت ٠٠ وعندما قدم تمبلار جواز سفره للفحص بدأ على الجميع ان شهرته قد وصلتهم ٠

وعندما ادخل الرجل الذى حاول الاعتداء على تمبلار لاحظ الاخير ان جروحه قد ضمدت ٠ فقد كان احدى ذراعيه معلقا فى جبيرة بينما غطت أنفه ضمادة كبيرة استطاع تمبلار أن يرى من خلفها عينين تقدحان شررا وتفيضان حقدا عليه ، ورد تمبلار على هذه النظرة بابتسامة خفيفة ٠

وبعد أن انتهت الاجراءات الاولية فتح باب آخر ودلف منه مأمور القسم ٠ ونظر الرجل فى برود الى تمبلار ثم أدار عينيه صوب الرجل الآخر وقال فى جفاء :

- حسنا يانتونيو ٠٠ لقد عدت الى ارتكاب جرائمك من جديد ٠
- اننى لم أفعل شيئا ياحضرة المأمور ٠٠ اقسم بقبر أمى ان هذا الرجل هو الذى كان سبب المتاعب ٠٠ أنه ربما يكون مجنونا ، فقد التقى بى فى الشارع واذا به

يسبنى ثم يستل سكينا لمهاجمتى ٠٠ بينما لم افعل انـــا شيئا ٠٠

وجرى المـأمور ببصره على الاوراق التى كانت قـد كتبت ثـم التفت بنظرته المتعالية صوب تمبلار وقال :
ـ هل لديك ما ترد بـه على هـذا الكلام ٠٠ ؟
ـ لا شيء سوى أن تونيو لا يحترم أمه ٠

قال القديس ذلك فى هـدوء شديد ثـم استطرد :
ـ لقد كان هناك عـدد كبير من الناس عندما هاجمنى بسكينه وقـد راونى جميعا وانـا انتزع السلاح من يـده ٠ وربما يكون بعضهم قد لاحظ شريكه الـذى كان ينتظره على مقربة من مسرح الحادث داخل سيارة ٠٠ فاذا لم يكن كـل هـذا كافيا فليس أمامك الا أن تسأله كيف اذن تمزقـت سترتى اذا كنت انـا الـذى حاولت الاعتداء عليه أو لمـاذا لم استخدم السكين فى ضربه بـدلا من يدى ٠٠ وبعـد ذلـك ارجو ان تسأله عمن استأجره لقتلى ٠
استمع المـأمور لهـذه الكلمات وقد قلب شفتيه وبـدأ غير آبـه بما يروى على مسامعه ثم دقق النظر فى جواز سـفر تمبلار الموضوع على المكتب أمامه وقال :
ـ اننا هنا لانحب المجرمين الـدوليين الـذين يأتون فى مظهر السياح البسطاء ثـم يهاجمون الناس ٠
واتسعت حدقتا القديس دهشة فور سماعه هـذا الكلام ثـم بـدأ يزوى مـا بين حاجبيه وقـد تحفز للهجوم وقـال ببرود :
ـ هل تتصور أن هناك ذرة من الصـدق فى قصـة هـذا المخلوق ، او ان هنـاك ذرة من دليـل تؤيدها ٠
وتحت ضغط هـذا التحدى لانت أسارير المـأمور قليـلا ثـم انزوى داخل سترته وقال :

ـ ليست هـذه هى النقطة ٠٠ الـذى اقصـده اننـا فى تحقيق ومن واجبنـا أن نضع فى اعتبارنا كافة الاحتمالات فهنـاك بعض التضارب بين الشهود حـول حقيقة مـا حـدث بالضبط ٠٠٠٠ كما يجب ان تعترف يا سنيور تمبلار ان سمعتك ليست خالية من الشوائب ٠٠

ورغم ان تمبلار لم يكن يثق فى نزاهة البوليس ٠٠٠ الا ان الامر بـدا أكثر من مجرد شك فى امانته أو نواياه ٠٠٠ وأحس تمبلار بجسمه يتصبب عرقا باردا عنـدما بـدأ يتصور أن هـذه العداوة يمكن أن تخفى خلفها شيئا أخطـر مما حـدث ٠٠

وعندئذ دخل شخص آخر ٠٠ ورغم انـه كان يرتـدى ملابس مدنيـة الا انـه كان واضحا انـه ذو سلطـة كبيرة ربما فاقت سلطة المـأمور ٠٠ وعندئذ بـدأ التوتر الـذى سيطر على الجو يختفى كما لو كان وهما ٠٠

كان الرجل متوسط البنيـة ٠ ذا عينين رماديتين وشعر أشقر مجعـد وهى سمات لا توجـد الا فى شمال ايطاليـا ٠ وكان يبـدو صغير السن للوهلة الاولى حتى يدقق المرء النظر فى التجاعيد الدقيقة التى تجمعت حول عينيه لـكى يدرك انـه أكبر مما يبـدو بعشرين سـنة على الاقل ٠ ولكنـه كان يسير بمشية رياضية تنم عن قوة واعتـداد بالنفس ٠

وقف الرجل أمـام تونيو وهو يتفحصه بعناية ثـم قال :

ـ لكم انا سعيد اذ ارى وجهك القبيح وقد نالته هـذه الضربات ايهـا القـذر ٠٠

وانهال على تونو بسيل من السباب لم يجب عليهـا الاخير وانما ظـل صامتا لا يتكلم وقـد خفض بصره الى الارض ٠٠

وظل الصمت مطبقا على الجميع بينما اتجه الوافـد الجديد نحو مكتب المـأمور واخـذ يقلب الاوراق وبعد قليل

رفع رأسه وهو يضحك قائلا : سيمون تمبلار يبدو اننــا قد وقعنــا على صيــد ثمين هــذه المرة ..
واتجــه نحو تمبلار وقــد مد لــه يده قائلا :
ـ دعنى أقدم لك نفسى يا سنيور تمبلار : اننى ماركـــو بونتى .. وانــا مفتش المباحث هنا ، واظنك تعرف كل شيء عنى الان حيث انك تعرف كل شيء عن مفتشى المباحث وانــا بدورى أعرفك بعض الشيء . وحيث انك هنـــا . فان من واجبى ان أسألك ما الــذى جــاء بك الى صقلية ..

وأجاب تمبلار وقــد بــدأ توتره يتلاشى تدريجيا :
ـ انها نفس المبــاهج التى تجتذب الى هنا آلاف السياح الاخرين وليس من بينها بالطبع هــذه المحاولة التى جــرت لاغتيــالى ..
ـ يا لايطاليا المسكينة ـ ويــا لصقلية البائسة .. ان الحاجــة هنــا تدفع الكثيرين الى الجريمة لكى يحصـــلوا على قوت يومهم .. ولو أن هذا ليس عذرا بأى حــال ... ثق أن العدالة ستأخذ مجراها .. ولسنا نطلب منك الا ان تكون قريبا اذا ما دعت الحاجة لاخذ أقوالك .
ـ بكل سرور .. ولكن يبدو ان هناك ثمة صعوبة .
ـ وارتفع حاجبا بونتى فى دهشة ثم عـــاد الى المكتب واخــذ يقلب الاوراق من جــديد وقال :
ـ صعوبة .. ان كل شيء يبــدو على مــا يرام ـ اليس الامر كذلك يــا حضرة المــأمور ..

وهز الضابط كتفيه .. واستطرد قائلا :
ـ ليست هناك صعوبات .. لقد كنت أســـأله بعض الاسئلة فقط ..
ـ حسنا أننى اقترح اذن ياسنيور تمبلار ان تعطينـــا اسم الفندق الذى تنزل فيه ـ ولكننى ارى أنك فعلت ذلك.

هذا هو كل ما نحتاجه منك الآن ، وسوف نخطرك عندما تحول الاوراق الى القاضى ٠٠ هذا اذا لم يكن لدى المأمور ما يريد السؤال عنه ٠٠

وكان المأمور قد فقد كل اهتمام بالموضوع فهز كتفيه ولوح بيديه كأنما لايريد الان يتفوه مشقة الكلام واستطرد بونتى قائلا :

ـ وأنت يا سنيور تمبلار ، هل لديك ما تريد قوله هنا ؟

وركز بونتى عينيه مباشرة فى عينى تمبلار وقد بدت فيهما نظرة صارمة ٠٠

ـ لا ٠٠ لم يعد لدى ما اريد اضافته ٠٠

فهم تمبلار أن مفتش المباحث لا يريده أن يزيد شيئا فانصاع لرغبته بالغريزة ٠ فلقد وضع وصول بونتى الامور فى نصابها بعد أن كانت تسير فى اتجاه خاطىء ولم يكن تمبلار من النوع الذى يرفض يدا تمتد له ما لم يثبت له أنها غادرة ٠ وبالاضافة الى ذلك فقد أحس تمبلار الفارق الهائل بين تحذير بونتى له وذلك التهديد الذى وجهه له المأمور من قبل ٠ وهكذا قنع تمبلار بمغادرة قسم البوليس فى الوقت الراهن ٠ وابتسم بونتى وهو يمد يده الى تمبلار بجواز سفره وقال :

ـ اننى آسف اذ احتجرناك هنا هذه المدة الطويلة ولابد أن موعد غداءك قد فات ٠٠ كل ما آمله أن يزيد ذلك من شهيتك لتناول طعام صقلية ٠٠

ـ وأين توصيتى بتجربة هذا الطعام ٠٠

ـ ان مطعم كابريس قريب من هنا ، وهو يقدم أفخر أطعمة الموسم ولا يجب أن تغادر بالرمو قبل أن تذوق طعامه وتتناول نبيذه ٠

وتصافحا ٠٠ وتقدم أحد الجنود يفتح الباب لتمبلار ٠ كان مطعم كابريس الذى وصله القديس دون كبير

مشقة رطب الهـــواء بالمقارنة بالجـــو الخـانق الحرارة خارجة ٠٠ ونفذ تمبلار الى آخر المطعم وقـد اختار لنفسه مائدة يقـع خلفهـا جـدار بينما المنظر أمامها لا يعوقـــه عـــائق ٠

وتقدم منـه الجرسون وسأله :

ـ هل يطلب السنيور شيئا على سبيل المشهيات ٠٠

ـ نعم ٠٠ ويسكى بالصودا مع كثير من الثلج ٠

ـ ومـاذا بعد ذلك ٠٠

ـ سوف أطلب ما أريـد بعد ذلك لاننى انتظر صديقا ٠

كان تمبلار متأكدا من ذلك تأكده من أى شىء فهو لـــم يتصور أن المفتش ماركو بونتى قـد أوصاه بهذا المطعم لا لسبب الا جودة طعامه ٠ وبينما كان يرشف شرابـــه كان يأمل أن يلقى هـذا اللقاء بعض الضوء على حادث الهجوم عليه والعداوة الخاصة التى أبـداها المـأمور ٠

وان هى الا بضع دقائق حتى انفتح الباب مرة أخر ى ٠ ولكن المفتش لـم يكن هـو الـذى دخـــل ٠٠ ومع ذلـك لم يحس تمبلار بأى خيبـة أمـل ٠٠ فقـد كان الـــداخل فتـــاة ٠٠

ويبـــدو أن الطبيعة فى ايطاليا تقوم بنوع من التوازن اذ تغدق على الفتيات من الشباب والحيوية والجمـــال مـــا يعوضهن عن الاضمحلال الذى تعانى منــه معظم النســـاء الايطاليات عنـدما يتقدم بهن العمر ٠٠

كان شعر الفتاة فاحم السواد يحيط بوجـــه بيضـــاوى رقيق ذو شفتان ممتلئتان سوداوان واسعتان ٠٠ وكـــان ردائها الحريرى البسيط يبرز تفاصيل الجسد الذى يغطيه ولكنه لا يحتويه ٠٠ وكـان من الواضـــح أن الفتـــاة لا تستعمل ملابس خاصة لكى تبرز استدارة نهديها وأردافها

بينها يفصل بين هذه وتلك خصر نحيل بديـــع ٠٠ ولكـــى يمتع تمبلار نفسه سمح لعينيه ان تنزلقا على الســـاقين الطويلتين الرشيقتين حتى قدميها الصغيرتين ثم تعـــود! ادراجهما من جديد الى أعلى ٠

وعند هذا الحد رمقته الفتاة بنظرة احتقار ساحقـــة ٠٠ غير ان ايمان تمبلار بأنــــه لـم يكن مغرضا فى اعجابه هـــو الذى مكنه من ان يقابل هذه النظرة بابتسامة جعلتها هـــى التى تشيح ببصرها ٠

وتبادلت الفتاة بضع كلمات مع احد موظفى المطعم ثـــم تناولت التليفون ٠٠ وأدرك القديس فى أسف ان الفتاة لـــم تدخل المطعم لتتناول الطعام وانما لتطلب تاكسيا ٠

وبعد كلمة شكر للموظف غادرت الفتـــاة المطعـــم ٠٠ ووقف أحد الداخلين وقد فتح لها الباب ٠٠ ودلفت هـــى منه وكأنما الرجل لم يقدم لها خدمة ٠٠ أما الرجل فقـــد نال مكافأته بأن ظل يراقبها حتى استوت جالســـة داخـــل التاكسى ٠ ولم ينتبه تمبلار أول الامر للشخص الداخـــل اذ كان يشاركه التطلع الى الفتاة ولكن ما ان أغلق البـــاب خلفها حتى لاحظ تمبلار من يكون الرجل ٠٠

وقال القديس متظاهرا بالدهشة :

ـ ماركو بونتى ٠٠ يا لها من مفاجأة الا تشـــاركنى الطعام ٠٠ ولو اننى لا أظنه سيكون مغريا مثل ما كنـــت تحملق فيه الان ٠

ورفع بونتى ذراعيه الى أعلى بمحاذاة كتفه وقـــد قلب كفيه الى أعلى ، وهى اشارة كلاســـيكية يســـتعملها الايطالى للدلالة على اى شىء ولكن لســـان حاله كـــان يقول : « ومن الذى يملك الا يحملق فى شىء كهذا » ٠٠ ثـــم جلس وقال :

ـ اخشى ان تكون المدرسة السويسرية التى تلقت فيها تربيتها قد اشاعت فى دمها الجنوبى بعض البرودة ٠ ولكنه سيعود فى يوم من الايام حارا كما كان ٠٠ لقد كنت آمل فى التعرف اليها منذ عودتها بيد ان جينا ديستاميو وانا لا نعيش فى نفس الدائرة الاجتماعية ٠

وسأله القديس دون ان يخفى دهشته : ماذا قلت عنها ؟

ـ هل يعنى الاسم شيئا بالنسبة لك ٠٠

ـ لا ٠٠ الا اذا كانت قريبة آل ديستاميو الذى كنت استمتع بضيافته فى كابرى أمس ٠

وابتسم مفتش البوليس ابتسامته المعتادة ، غير ان تمبلار استطاع أن يستشف خلفها هذه المرة نوعا من التجهم ٠٠

قال بونتى : انها ابنة اخيه ٠٠

ـ ٤ ـ

كان تمبلار قد تلقى عديدا من الصدمات مؤخرا بحيث اصبح معتادا على امتصاصها دون ان يظهر على وجهه اى تعبير وهكذا نظر الى شرابه ثم استدعى الجرسون وقال مخاطبا بونتى :

ـ هل تريد شرابا قبل أن نتناول طعامنا ٠٠

ـ اذا سمحت لى فاننى افضل البراندى حيث انه اغلى ما يقدم هنا ٠٠ فأنا كموظف ضئيل المرتب لا تتاح لى فرص كثيرة للتمتع بمال هذا البذخ ٠

وانتظر بونتى حتى انصرف الجرسون ثم قال :

ـ ماذا كنت تفعل مع ديستاميو ٠٠

القى بونتى بالسؤال بنفس العرضية ، غير أن عيناه تركزتا على وجه تمبلار :

وأجاب القديس ببرود : لقد كنت أسائل نفسى عن هذا • فقد التقينا بمحض الصدفة منذ يومين ، ويبدو انه سريعا ما نشأ بيننا نوع من اختلاف الرأى • والواقع انه كان اختلافا عميقا حتى انى لن أدهش اذا علمت انه المسئول عن مهاجمة تونيو لى هذا الصباح •

وفكر بونتى قليلا فى كلام تمبلار قبل ان تسطع ابتسامته من جديد •• قال :

ـ لقد سمعت كثيرا من القصص عنك يا تمبلار ، ولا ريب أن بعضها زائف ولكن ربما كان بعضها الاخر صحيحا •• ولكنى فى كل ما سمعت لم أسمع ما يوحى بأن علاقتك بهؤلاء الناس يمكن ان تكون ودية •• ومع ذلك فلسوف يكون من المسلى أن أسمع منك بالتحديد عن اختلاف الرأى الذى تشير اليه •

وفى هذه اللحظة عاد الجرسون وهو يخطر من جديد حاملا البراندى • وقبل ان ينصرف مرة أخرى انتهز تمبلار الفرصة لكى يطلب الغداء أو بالاحرى لكى يجعل بونتى يطلبه لانه كان قانعا تماما بأن يحذو حذو المرشد الذى دله على المطعم •

وما أن ابتعد الجرسون عن مرمى السمع حتى كان تمبلار قد استطاع أن ينسى السؤال الذى وجهه اليه بونتى وان يستأنف الحديث بموضوع جديد من عنده ، سأله :

ـ هل تتكرم بأن تقول لى ماذا كنت تقصد بقولك هؤلاء الناس •• ؟

وأجاب بونتى بهدوء : المافيا ••

وفى هذه المرة رمشت عينا تمبلار •

ـ هل تعنى أنهم هم الذين استأجروا تونيو •

- انه بالتأكيد واحد منهم بالطبع .. انه نفر صغير ولكنى متأكد ان آل ديستاميو واحد من الكبار فيهم وان كنت لا استطيع أن اثبت ذلك .

- ان هذا يجعل الامر اكثر تشويقا بلاشك ..

ورشف بونتى شرابه ثم قال :

- هل تعرف شيئا عن المافيا ..

- ليس أكثر مما قرأته عنها فى الصحف وفى بعض القصص .. أما عن الجانب الواقعى فأنا لا أعرف حتى معنى كلمة مافيا ..

- انها كلمة شديدة القدم وليس هناك من يستطيع التأكد من مصدرها . وهناك اسطورة تقول انها نشأت هنا فى باليرمو فى القرن الثالث عشر عندما كان الفرنسيون يحكمون الجزيرة . وتروى القصة أن شابا كان يغادر الكنيسة بعد زفافه ، وغاب عن عروسه بضع دقائق وقف يتكلم مع القسيس .. وفى هذه الدقائق اختطفها جندى فرنسى مخمور واعتدى عليها - وعندما حاولت الهرب قتلها وصل العريس متأخرا فلم يستطع انقاذها ولكنه هاجم الجندى وقتله وهو يصيح : الموت لفرنسا .. ولقد عانت باليرمو كثيرا أثناء الاحتلال ... وكانت هذه الصيحة هى كل ما يريد الناس سماعه فاندلعت شرارة الثورة ، ولم تمض بضعة أيام حتى كان الفرنسيون الموجودون فى الجزيرة قد قتلوا وكانت صيحة المعركة « الموت لفرنسا .. وعاشت ايطاليا » ... ولكن سرعان ما عاد الفرنسيون وقتلوا معظم المتمردين ، ومن نجا منهم من الموت هرب الى الجبال .. ولكنهم اطلقوا على أنفسهم اسم المافيا الاسم المشتق من الاحرف الاولى لصيحة المعركة ... هذا على الاقل هو أحد التفسيرات ...

ـ من الصعب ان يفكر المرء فى المافيا باعتبارها حركة مقاومة يرجع تاريخها الى القرن الثالث عشر ..

ـ انها ليست كذلك الان ، ولكنها كانت كذلك فعلا فى بدايتها ... وحتى توحيد ايطاليا ، كانت المافيا تقف فى العادة فى جانب المضطهدين .. ولم تتحول الى السلب والنهب والقتل الا بعد ذلك ..

ـ ولكننى لم أعرف حتى الان لماذا تربطنى بهم ...

وانتظر بونتى حتى وضع الطعام على المائدة وانصرف الجرسون ثم أجاب كما لو أن الحديث لم ينقطع :

ـ المسألة غاية فى البساطة .. فسواء كنت تعلم أو لا تعلم فقد اصبحت متداخلا مع المافيا فمنذ قليل اخبرتك أن العدالة ستأخذ مجراها مع تونيو .. ولكن اذا كان تونيو يعمل بأوامر من ديستاميو وليس لمجرد الدفاع عن نفسه لانك امسكت به وهو يحاول نشلك مثلا ، فلن أكون متفائلا . فسوف يجدون من الشهود من يقسمون انك أنت الذى هاجمته ولن يفلح شيء فى حمله على الاعتراف بأنه حتى يعرف ديستاميو .. ذلك هو الصمت النبيل .. انه يموت قبل ان يتكلم ، وليس ذلك لاى سبب نبيل ، ولكن لانه لو تكلم فلن يجد مكانا يختفى فيه .. لن يجد مكانا فى العالم بأسره .. فليس هناك من خان المافيا وعاش .

ورشف القديس جرعة من كأسه وقال :

ـ عندما كنا فى قسم البوليس بدأ تونيو فى مركز افضل منى فهل تصل ذراع المافيا الطويلة الى دوائر البوليس فى الجزيرة .

ـ مثل هذه الامور ممكنة فالمافيا قوية للغاية فى هذه الجزيرة الفقيرة ولقد كان هذا هو السبب الذى من اجله اشرت اليك بأن تحتفظ بما عندك من كلام لتقوله لى فى مكان آخر .

ـ والمفروض أن أعلم انك الشخص الوحيد من بين قـوة البوليس الذى لا يرقى اليك الشك ٠ ٠

ولم يغضب مفتش المباحث وكأنما اكتفى بالابتسام تلك الابتسامة التى تصلح لان تخفى وراءها اى شىء ٠ ٠

ـ دعنى أروى لك قصة أخرى يا سنيور تمبلار ولكنها ليست اسطورة هـذه المرة ٠ وهى عن رجل اتى من مدينة برجامو فى الشمال ، لكى يفتح لنفسه دكانا على هـذه الجزيرة المشمسة ٠٠ ولقد كانت ظروفه صعبة فى البداية ولكنه استطاع بعد بعض الوقت أن يحقق لاسرته حياة مريحة ٠ وجاءت المافيا تفرض عليه اتاوة ولكنه بدافع من جهله أو اعتزازه بنفسه رفض أن يـدفع ٠٠ وعندما ارسلوا اليه بلطجيا ليضربه بالعصا وضربه ٠٠٠ وكان الرجل قويا وثائرا فمات البلطجى ٠٠ وفى هـذه الحالة يحدث شىء واحد على الدوام : الانتقام والقتل ٠٠ وقتل الرجل وزوجته وابنته ، ولم ينج من المذبحة سوى ابنهم الصغير الذى تصادف ان كان فى ذلك الوقت فى زيارة لجده فى برجامو ، وعندما علم بما حدث سلم الطفل الى اصدقاء له فأخذوه الى مدينة أخرى وتظاهروا بأن الولد ابنهم ٠ ولكن الغلام عرف كل القصة وهكذا شب تمتلىء نفسه بكراهية عميقة للمافيا وبرغبة جارفة فى أن ينتقم من أفرادها جميعا ٠٠ وعندما كبر الغلام وأصبح فى مقدوره أن يفعل شيئا أدرك ان هـذه ليست الطريقة الواجب اتباعها ٠٠

ـ ومن ثم انضم الى البوليس لكى يحاول أن يفعل شيئا بطريقة قانونية ، أليس كذلك ؟ ـ انها وظيفة لا تـدر دخلا كما سبق وقلت لك ، خطيرة اذا ما اديت بأمانة ولكن هـل تعتقد أن شخصا لـه هـذه الذكريات يمكن أن يأخـذ صف هؤلاء السفاحين ٠٠

ـ ولكن اذا كان قسم البوليس عندكم وكرا لعمـــلاء المـافيا ، فكيف تستطيع ان تفعل شيئا ؟ لقـد كـاد هـذا المـامور المنافق ان يتهمنى بقتـل نفسى قبـل ان تـدخل ٠٠ وعنـدما جئت انت تغير كل شيء ٠٠ فهل يشكون فى انـك تحقق معهم هـم ايضا ٠٠

ـ لم يصلوا الى ذلك بعد ٠٠ انهم يعتقدون اننى رجـل ابله يسير فى الاتجاه الخاطيء ـ اننى رجـل مصاب بـداء الامانة يرفض الرشاوى ويبلغ عن اى محاولة لرشوته ٠٠ ان الرجال الـذين فى مثل منصبى ينقلون كثيرا ولذلك فهـم ينتظرون فى صبر حتى انقل مرة أخرى ٠٠ ولـكن لاننى من الشمال فقـد اقتضى الامر منى عدة سنوات وكثيرا من الجهود حتى اصل الى هنا وليست لـدى أيـة نيـة فى ان انقل من هنـا قبل ان احقق بعض اهدافى على الاقـل ٠

ولو كان تمبلار قـد سمع عن الاخلاص والنقـاء من قبل فقـد كان يحس بأنه الان يخاطب هـذا النقـاء وجهـا لوجـه ٠٠

قال :

ـ وهكذا فأنت تريد ان تسمع منى ما استطيع قولـه لـك ٠٠ ولكن هل تصدقنى برغم انك تعرف سمعتى ؟ ٠٠ وهل لا تشك فى اننى قـد أدين نفسى بحدثيى معك ؟

وقال المفتش بجفـاء :

ـ اننى لا العب عليك لعبة يا سنيور تمبلار ، فلسـت اسألك عن اى من اسرارك الاخرى ٠٠ ان بوسعك ان تذبرنى انـك قتلت ثـلاث عشرة زوجة اذا اردت ومع ذلـك اسالك عن اى من اسرارك الاخرى ٠٠ ان بوسعك ذلـك فلن يكون لكلامك هـذا اى تاثير عنـدى اذا انت ساعدتنى فى المسـألة الوحيـدة التى تهمنى اكثر من الحيـاة نفسهـا ٠٠

ـ حسنا ·· اتفقنا ·· والان ما هو رايك فيما حدث ··
وقص تمبلار على المفتش احداث الايام القليلة الماضية بموضوعية تامة ولم يخف عنه شيئا كما لم يقدم استنتاجات انتظار لما يستطيع بونتى ان يستنتجه ·

وبعد ان انتهى تمبلار من حديثه قال مفتش البوليس :
ـ ان الامر واضح وضوح الشمس فانت تعتقد ان الرجل الانجليزى يوستون قد قتل فى نابلولى لانه تعرف على ديستاميو على اعتبار انه شخص يدعى دينو كارتيللى ومع ذلك فقد أطلعك ديستاميو على اثبات لشخصيته بينما علمت انت هنا فى باليرمو ان كارتيللى مات منذ عدة سنوات ·· ويبدو ان هذا من شأنه ان يؤكد لك انك تسير فى الطريق الخاطىء ··

وانهى القديس طعامه وافرغ كأسه وقال :
ـ ربما ·· ولكن كيف تفسر فى هذه الحالة مصرع يوستون ، واهتمام ديستاميو المفاجىء بشخصى ، والنقود التى أعطانيها ، ثم محاولة قتلى ··
ـ اذا كنت تفترض أن هناك ثمة صلة فليس هناك سوى تفسيرين محتملين ·· أما ان ديستاميو كان كارتيللى او أن كارتيللى هو ديستاميو ··
ـ بالضبط ···
ـ ولكن نصابا لا يستطيع ان يحتل مركز ديستاميو ، وهو احد زعماء المافيا ·· واذا لم يكن الرجل الذى مات فى البنك هو كارتيللى ، فمن كان ··
ـ تلك هى الالغاز التى يتعين على حلها ، وفى نيتى أن اواصل البحث والتنقيب حتى أفعل ·

وقال بونتى وهو ينفث دخان سيجارته ··
ـ أو حتى يحفر لك أحدهم قبرا ··
وابتسم القديس وطلب القهوة ·· وقال بونتى بعد

فترة صمت :
ـ ان تـدخلك فى الامر يناسبنى تماما ·· فأنت تحرك الاشياء ·· وعندما تتحرك المياه الراكـدة فقد يطفـو على سطحها مـا يكون ذا قيمة بالنسبة لى ··· ان رجـلا فى مركزى لابـد أن يكون شـديد الحرص أمـا انت فلسـت حريصا بما فيه الكفاية ·· وربما لا تؤمن بمـدى قـوة ووحشية هؤلاء الناس · وان كنت لا اعتقـد انك كنـت ستغير موقفك لو علمت ·· ولكنى سأساعدك بأقصى مـا استطيع ، وفى مقابل ذلك اطلب اليـك ان تمدنى بكل مـا يصل الى علمك عن المـافيا ··

وقال القديس حسنا ·· بكل سرور ·

ولكنـه لم يذكر بالطبع تحفظا صغيرا ، وهـو انـه فى الوقت الـذى يسره فيه أن يقاسم بونتى اى معلومات يصل اليها ، فان أية غنيمة اضافية تعترض طريقه سـتكون من حقـه هـو واستطرد بونتى :

ـ والان لنبـدأ بسماع مـا لـديك من معلومـات عن ديستاميو ·

ـ لست أعرف الكثـير ···

·· فكل مالدى تخمين واستنتاج ان كل شخص هنـا اما عضو فى المـافيا او أنه يشـعر برغبة لا يستطيـع الكـلام ··· ولكننى مضـطر لان استنتج من النـاس الـذين يقابلهم والاماكن التى يرتادها والامـوال التى يستطيع انفاقها والرعب الـذى يشيعه فيمن حوله ·· انـه عضو فى الهيئات العليا للمنظمة ·· ويبـدو أن بـاقى عائلته لا تشترك معـه فى أعماله ، وهـو أمر غير عـادى ·· ولكننى اراقبهم ··

ـ بعد رؤيـة ابنـة اخيه جينا استطيع أن افهـم سر مراقبتك لهم ·· ولكن من هنـاك غيرها ··

ـ هناك اخته دونا ماريا وعم عجوز ٠٠ انهم يملكون منزلا ريفيا خارج المدينة ٠٠

ـ لابد ان تطلعنى على طريقة الوصول الى هناك ٠

وقال بونتى وقد تراقصت على شفتيه ابتسامة خبيثة :

ـ هل تريد ان ترى جينا مرة أخرى ٠٠

ـ قد أكون احسن حظا منك ٠٠ كما انه يبدو أن هذا هو أكثر الاماكن منطقية للبحث فى ماضى ديستاميو وعائلته ٠٠ والى جانب ذلك فسوف يثيره ولا شك أن يعلم اننى زرت منزل عائلته وتعرفت بأهله :

واطال بونتى النظر اليه ثم قال :

لابد أن أحدنا مجنون أو ربما كنا كلينا مجنونين ٠٠ ومع ذلك فسوف ارسم لك خريطة توضح كيفية الوصول الى هناك ٠٠

الفصل الثالث

قرر القديس أن يقوم بزيارته لمنزل اسرة ديستاميو بأقل تأخير ممكن ـ معتقدا أنه كلما أسرع فى حركته ، افقد ديستاميو توازنه وكسب لنفسه مزيدا من المزايا ٠

واتجه القديس من فوره الى جراج لتأجير السيارات حيث لم يجد سوى سيارة فيات صغيرة مهشمة يزحف الميكانيكى بين احشائها ٠٠ وعندما رآه الميكانيكى خرج اليه وهو يمسح يديه بقطعة من القطن ٠٠

ساله القديس هل لديكم سيارات للايجار ٠٠

ـ نعم يا سنيور ٠٠ اظن انك ربما تريد استئجار واحدة ٠٠

ـ اعتقد ذلك ٠٠

ـ ان لدينا عددا كبيرا من السيارات ولكنها مؤجرة

كلها الان اللهم الا هـذه اللعينة ٠٠
ـ هل تعنى ان هـذه آخر سيارة عنـدكم ٠٠
ـ نعم ٠ ان بها بعض الاصـــلاح ولكننى اظن انى سأنتهى من تصليحها الليلة ٠٠
ـ شكرا لك ٠٠ اننى لا اريدها حتى ولو اعدت تركيبها من جديد ليس لاننى اريـد ان اوذى شعورها ٠٠ وانمـا لانها لا تناسبنى ٠٠ فهل تتكرم بارشادى الى مكان آخـر استطيع ان اجد فيه سيارة تناسب حجمى ٠
ـ ربما تريد ان تستأجر سيارة فخمة ٠٠ الفاروميو أو ربما فرارى ٠٠

وتجاهل القديس ما بـدأ فى لهجة الرجل من سـخرية وقال :
ـ لقد ركبت هـذه السيارات جميعا وغـيرها كالبنتلى الجاجوار بل والهيروندىل أيضا ٠٠ ولكن كل هـذا لا علاقة لـه بالموضوع فأنا لازلت بحاجة الى سيارة ٠
ـ هل تريـد أن ترى شيئا مخصوصا يجعلـك تنسى الهيرونـديل ٠٠
ـ حسنا ٠٠ بودى ان ارى هـذا الشىء ٠٠
ـ اذن تعال معى ٠٠

وقاده الرجل الى مؤخرة الجراج حيث رأى شيئـا ضخما محاطا بغطاء من القماش ٠٠ وباحترام شـديد تـدم الرجل يرفع القناع عن عروس فى ليلة زفافهـا ٠٠ وظهر من تحته سيارة حمراء تظاهر تمبلار بالدهشة لـدى رؤيته لها فأطلق من بين شفتيه صفيرا خافتـا ثم قال : هل هـذه هى السيارة التى تتحدث عنها ٠٠
ـ نعم بالتأكيـد ٠٠ انـك تنظر الان الى سـيارة باجـاتى ٠٠

– واذا لم اكن مخطئا فانها موديل ٤١ رويال ٠٠
– نعم ٠٠ انك خبير ولا شك بالسيارات ٠٠٠ لقد صنعوا منها سبع سيارات فقط ، حطم السنيور باجاتى نفسه واحدة منها ولم يبق فى العالم الان الا ستة ٠٠
واخذ الميكانيكى يعدد له مزايا السيارة ثم طلب منه ان يجربها بنفسه ٠٠ وصعد اليها تمبلار وادار المحرك فدبت فيه الحياة على الفور محدثا ضجيجا هائلا مما اضطر تمبلار الى ان يرفع صوته قليلا حتى يسمعه الميكانيكى ، قال :
– حسنا ٠٠ لسوف تفى هذه بالغرض لبضعة ايام ٠٠
– لا ٠٠ لا ٠٠ ان هذه السيارة ليست للايجار ٠ لقد كنت اطلعك عليها فقط ٠٠
ولكن صوته بدأ ينخفض وهو يحملق فى أوراق النقد التى كان القديس يلوح بها فى يديه ٠٠ واخيرا تمت الصفقة وانطلق القديس بالسيارة قاصدا منزل أسرة ديستاميو ٠٠ واغناه رسم بونتى التوضيحى عن ان يبذل جهدا كبيرا فى الوصول الى هدفه ٠٠
كان المنزل محاطا بسور عال يخفى وراءه كل شىء ما عدا سقف المنزل ٠٠ وضغط القديس على زر الجرس وانتظر فى صبر حتى انفتحت كوة الباب السميك واطل منه وجه خادمة تنظر اليه فى تشكك ٠٠ وبادرها تمبلار قائلا :
– مساء الخير ، ان اسمى تمبلار جئت أقابل دونا ماريا ٠٠٠
وخطأ الى امام فى ثقة وتركته الخادمة يمر ٠٠ كانت خطته ان يعطى الانطباع بأن قدومه شىء منتظر ٠٠ ولكنه مع ذلك لم يستطع النفاذ داخل المنزل ، فقد اشارت له الخادمة الى مقعد فى الشرفة وقالت :

ـ انتظر هنا ٠٠ اذا سمحت يا سنيور حتى أخطر دونـا ماريا ماذا كان الاسم من فضلك ٠٠

وكرر تمبـلار الاسم : وظل واقفـا يتطـلع الى المنزل وقـد بـدا كقلعة قديمة لا يتناسب مظهره مع مظهر الحديقة المعتنى بها ٠٠ وكان قد نقـل بصره الى الحديقة عنـدما سمع وراءه خطوة ثقيلة متأنيـة فنظر خلفه وقال وقـد ارتسمت على شفتيه ابتسامة جذابة يشع منها الود :

ـ دونا ماريا ٠٠ ان اسمى سيمون تمبلار ٠٠ وأنـا صديق قديـم لشقيقك اليساندور ٠٠ وعندما سمـع أننى قادم الى باليرمو ، أصر على أن أتى وأزركم ٠٠

ـ ٢ ـ

وقفت المرأة ساكنة لا تبدى حراكا وهى تحملق فى يـده كما لو كانت سمكة طويلة ميتة ، كان التعبير الـذى ارتسم على وجهها يتلائم تماما مع الخطوط التى بـدت حول فمهـا وأنفها الكبير ٠ وكان للمرأة شارب أسود خفيف ولـكن شعرها المعقوص كان رماديا ٠ كانت أقصر من تمبـلار ولكنهـا ضعفه على الاقل فى الحجم وقـد حشرت جسـدها المترهل فى كورسيه ضيق فبدأ منظرها مثيرا للضـحك ٠ وكانت ترتدى ثوبا أسود جعلها تبـدو فى عينى تمبلار كما لو كانت برميلا ذا ساقين متشحا بالسواد ٠

قالت المرأة ، اننى لا أقابل أصدقاء أخى مطلقا فهـو ينـأى بعمله عن حياة أسرته ٠

وكان كلامها جافا لا تشوبه مسحة من الترحيب تخفـف من برودته ٠ ولو كان محدثها شخصا آخر غير تمبلار لمـا استطاع أن يتحمل برودة الاستقبال ٠ ولكن القـديس ابتسم وهـو يقول لها :

ـ ان هـذا يدلك على مدى تقديره لصداقتنا . لقد كنـا نعمل معـا فى أمريكا . وهكذا عنـــدما كنت فى منزله فى كابرى ، مدعوا على الغـداء أمس ، جعلنى أعـد بأن اتى لزيارتكم ..

ـ لمـاذا ..

كان السؤال تحديا بل ورفضـا مسبقا ، فقـد كان من الواضح ان آل ديستاميو لا يرسـل اصدقائـه الى منزل العائلة بـلا سبب . والا فسوف يجد نفسه فى بضع ثوان وقـد خرج ثانية دون أن يحقق شيئا اللهـم الا نظرة الى وجـه دونا ماريا وعرينها ..

قال القديس وقـد اكتسب كلماته ببرودة خبيثة .

ـ لقـد أصر اليساندور على ان اتعرف بكم . وكـم امتدحك لى وأراد ان يتأكـد من انـك تعرفين الى اى من اصدقائه تلجأين فى وقت الشـدة .

وبـدأ التردد على وجـه المرأة ولكنهـا عـادت الى اصرارها الـذى لا يلين .

ـ ان الجو شـديد الحرارة ، وسوف اقدم لك شرابـا مثلجـا قبل أن تنصرف .

ـ يا لك من مضايفة كريمة .

قال القديس ذلك وهو يحاول جاهـدا الا يجعلها تتنبـه الى مـا فى كلامه من تهكم واضح .

واشارت المرأة للخادمة التى كانت تنتظر عن كثب ثـم جلست على أحـد المقاعد .. واستدار القديس يبحث لنفسه عن مقعـد يجلس عليه عندما اصطدمت عيناه بمنظر فـاق كل مـا كان يوتقعه .

فقـد ظهرت من بين شجيرات الحديقة جينـا ديستاميو وقـد ارتدت مايوه بيكينى بـدأ من صغره انـه لم يخف من جسدها اكثر مما اخفت نظارتها .. كان جلدها اسـود

ضاربا الى الصفرة بينما كانت تفاصيل جسمها البديع تحقق الصورة التى رسمها له القديس فى خياله عندما رآها وهى فى ملابسها الكاملة ٠

وشهقت دونا ماريا ثم زفرت واطلقت من فمها جملة متفجرة لم يفهم منها تمبلار كلمة واحدة غير انه استنتج من لهجتها أنها تنحى عليها باللائمة لظهورها بهذا المظهر المخجل أمام رجل غريب ٠٠ ولم يبد على جبينها انها تأثرت بكل هذا الكلام بل ابتسمت وتحولت الى تمبلار وقالت :

ـ ارجد المعذرة ٠٠ فلم اكن اعلم أن عندنا ضيفا

ـ بل أنا الذى استميحك عذرا لاننى هنا وان كنت غير آسف ٠

وتمايلت فى رشاقة وهى تضع على جسدها الرداء القطنى الذى كانت تحمله فوق ذراعها بينما قامت دونا ماريا بتقديمها على مضض قالت :

ـ ابنة أخى جينا ٠ وهذا هو السنيور تمبلار من امريكا ٠٠

وقالت جينا ببراءة بلغة انجليزية سليمة ، الم أراك من قبل ٠٠

واجابها تمبلار بنفس اللغة : لم اكن اعتقد أنك ستذكريننى ٠ فقد تجاهلتنى بنظرتك كما لو كنت نافذة قذرة نسى بعضهم ان يغسلها ٠

ـ انى آسفة ٠٠ ولكن تقاليدنا هنا عتيقة فمجرد ذهابى الى المدينة بمفردى يعتبر خرقا لهذه التقاليد ٠٠ فاذا سمحت لنفسى بأن ابتسم لشخص لم اتعرف اليه بالطريقة المناسبة فقد يسىء هذا الى سمعتى مدى الحياة اما الان فأنا سعيدة اذا اتيحت لنا فرصة أخرى ٠

وقالتدونا ماريا بالايطالية وقد بدا عليها الغيظ الشديد : انني لا افهم شيئا من حديثكما :

وقالت جينا : ان عمتي لا تتحدث الانجليزية ٠

ثم عادت الى الكلام بالايطالية ، قالت : هل أنت هنا بقصد العمل أم الترويح عن النفس ٠

ـ لقد كنت اعتقد أنني هنا من اجل العمل ٠٠ ولكن منذ ارسلني عمك الى هنا فقد أصبح الامر ترويحا عن النفس ٠

ـ لاأظنك تقصد عمي اليساندور ٠٠ انني سعيدة انك تعرفه فهو كريم معنا جدا ٠٠

وهنا تدخلت دون ماريا بصوت تمتزج فيه الرقة بالحزم قائلة ٠٠

ـ جينا ، انني على ثقة بأن السيد ليس مهتما بأمورنا العائلية ٠٠ فهو سيتناول معنا شرابا قبل أن ينصرف ٠٠٠

وعادت الخادمة من المنزل تحمل صينية عليها زجاجات الشراب واناء به ثلج وبضع كوبات ٠

وقالت جينا : يا للسعادة ٠٠ انني اتوق لكوب من الشراب ٠

وحدجتها عمتها بنظرة يشيع فيها الغيظ وتكاد تفصح عن الاسف لان ابنة اخيها قد جاوزت السن الذى كان يمكن ان تؤدب فيها بطريقة ملائمة ٠٠ ولكن الفتاة لم يبد عليها انها تاثرت بنظرة عمتها فتقدمت تصب الشراب وتمزجه بكفاءة رائعة ٠

وتحولت جينا الى تمبلار تسأله وكأنها قد اختارت موضوعا حياديا احتراما لمشاعر عمتها : ترى هل شاهدت الكثير فى باليرمو ٠

ـ ابدا ٠٠٠ هل تعتقدين ان فيها ما يستحق المشاهدة ٠٠

– كل شيء ‥ بيد انك يجب ان تذهب الى مونتريال ، وهى لا تبعد عنهنا اكثر من بضعة كيلو مترات ، لكى تشاهد الكاتدرائية النورماندية ٠

– يجب أن أفعل ذلك ‥ وربما استطعت أن تصحبينى فى هذه الجولة ‥

– بكل سرور ‥

وتدخلت دونا ماريا مرة أخرى بصوتها المجلجل :

– ان ابنة أخى لا تستطيع أن تصحبك ‥ فهناك مرشدون محترفون للقيام بهذا العمل ‥

وفتحت جينا فمها كأنما لتحتج ، ولكنها عدلت عن رأيها ‥ ومن الواضح انها كانت تعلم من خبرتها ان مثل هذه المعارك لا تكسب بالمعارضة المباشرة ‥ بيد انها ظلت تحملق فى تمبلار وهى تعض شفتيها كما لو كانت تدعوه للتفكير فى طريقة ما للتغلب على هذه المعارضة ‥ وفهم القديس اشارة الفتاة فأسرع يقول :

– اننى لم اقصد أن أسبب اى مشاكل ‥ ولكن اليساندور هو الذى اقترح أن تصحبنى جينا فى جولتى٠

ونظرت اليه دونا ماريا فى تحد ‥ بحيث لم يستطع ان يقرر ما اذا كانت تغالب رغبة فى نفسها بأن تدعوه كذابا ، أو تفكر فى احتمال انه ربما كان يقول الصدق ٠ واخيرا قالت :

– يجب أن أعود الى مفكرتى لارى ما اذا كنت استطيع ان استغنى عنها يوما ‥ عن اذنك ٠

وهبت واقفة على قدميها ثم انطلقت الى داخل المنزل ٠

قال القديس يبدو اننى لا أروق لها ‥

– انها لا تبغضك أنت بالذات فهى تبغض جميع الناس وخصوصا اذا كانوا رجالا ‥ انها تحتمى بحقدها حتى

انهـا تبـدو غير قابلة للفنـاء وربما ظلت تعيش خمسـين سنة أخرى ..

ــ أن هناك فارقا كبيرا بينها وبين شقيقها آل فهو يبدو على العكس منها كبير القلب .

ــ هـذا صحيح .. هل تعلم مثلا انه يعول الاسرة كلها وانه هـو الـذى ارسلنى الى المـدرسة وتكفل بكل نفقاتى ولست أعرف ماذا سيكون عليه حالنا لولا مساعداته هـذه فعندما مات أبواى فى حادث سيارة لـم يكن لـديهما أى تأمين أو نقود فى البنك . وكنت وقتها فى السـابعة من عمرى ، ولكنى أذكر رغم ذلك أن أناسا جاءوا يشاهـدون المنزل ويتحدثون عن بيعه .. حتى عمى آل كان مريضـا فى ذلك الوقت وكان الجميع يعتقدون أنـه سيموت .. ولكنه شفى وذهب الى أمريكا وسرعان ما بـدأ يرسل لنـا النقود .. ومنـذ ذلك الوقت وهو يرعى شئوننا . ومع ذلك فهو لا يكاد يزورنا . وتعزو عمتى ماريا ذلـك الى أنـه سوف يكون محرجا من زيارتنا لكثرة مـا نحن مدينون له بـه ...

كان تمبلار مسترخيا فى مقعـده وقـد مـدد ساقيه أمامه واخـذ يرشف شرابه وهو ينصت الى حديثها متظاهرا بقلة الاكتراث ، وتحت هـذا الستار كان عقلـه يعمل بـدقـة متناهية ويسجل كل كلمة ويربطها بما لـديه من معلومات سابقة مستخلصـا من هـذه النتائج التى يمكن الوصـول اليها .. كان يحس احسـاسا غامضا بأن حـل لغـز كارتيللى ــ ديستاميو قريب المنـال ، لو انه فقط استطـاع أن يمسك بـه ..

وهنا انقطعت سلسلة افكاره مرة أخرى ..

ــ سنيور لقد تاخر بـك الوقت للعـودة الى المـدينة .

وسوف يكون من قلة الذوق ان نصرف صديقا لا ليساندور في مثل هذا الوقت . فهل تسمح بتناول العشاء معنا ؟

كان هذا الكلام صادرا عن دنا ماريا وقد عادت من داخل المنزل وحار سيمون تمبلار في فهم هذا التحول في مسلكها ازاءه غير أن التعبير الذى ارتسم على وجهها كان أكثر مدعاة للحيرة .. وانقضت فترة من الوقت قبل أن يفهم تمبلار أن هذا التعبير انما يرجع الى أن دونا ماريا كانت تحاول أن تبتسم ..

ـ ٣ ـ

ـ شكرا لك انه لكرم زائد ..

قال القديس هذه الكلمات وهو يحاول التغلب على الصدمة التى احدثتها فى نفسه منظر دونا ماريا وهى تحاول الابتسام أما جينا فقد كانت دهشتها أكثر وضوحا وانقضت لحظات قبل أن تفيق من دهشتها ثم قالت :

ـ حسنا .. يجب أن اغير ملابسى . عن اذنك .

وهرولت دونا ماريا وقد بدا وجهها متعبا من كثرة ما بذلت من جهد لكى تبدو كريمة :

ـ وانا بدورى يجب ان اصدر بعض الاوامر للخدم ارجو ان تاخذ راحتك لبضع دقائق وان تتناول شرابا آخر ..

وانسحبت مرة أخرى تاركة تمبلار يضرب أخماسا فى أسداس وان هى الا لحظات حتى عادت الخادمة وهى تحمل زجاجة كونياك أضافتها الى الزجاجات التى كانت موجودة من قبل وقالت :

ـ ان الدونـا ماريا تعتقـد أنـك ربما تفضـل هـذا الشراب ٠
ثم انسحبت ٠٠

واشعل تمبلار سيجارة وفحص الزجاجة فوجدها جديدة ولم يسبق فتحها علاوة على انه لم يمض من الوقت منذ تغير مسلك دونا ماريا ازاءه ما يكفى لوضع السم فيها ثم أعادة غلقها وهكذا افرغ تمبلار كأسه التى كان يشرب منها فى احدى آنيات الزهور وصب لنفسه كأسا من الشراب الجديد ٠٠ ولكنه فى أعماقه كان يحس بتوتر لا يعلم له سببا ٠ فهو لم يتصور أن دونـا ماريا قد اختارت هذا اليوم بالذات لكى تكفر عن سابق تجهمها وعبوسها كما لو يتصور أن جاذبيته وسلوكه المهذب قد نفذت الى قلبها سببا عمليا هو الذى سبب هذا التغيير ، ولم يستطع أن يقنع نفسه بأن هذا التغيير بلا هدف ٠٠
كانت الشمس قد مالت للمغيب ، وظهرت فى الفناء ظلال قرمزية ، عندما هبت نسمة باردة من البحر ٠٠ وفى مكان ما من المنزل دقت ساعة جعلت تمبلار يفكر فى صوت اجراس الجنازات ٠

وعندما دقت الساعة فتح باب الشرفة وظهر مقعد ذو عجلات دفعته الخادمة أمامها حتى أدنته من المائدة ٠٠٠ وكان شاغل المقعد يحاكى المبنى فى قدمه ٠٠ بل لقد بدا من الكبر بحيث يمكن أن يكون هو الذى بناه بنفسه ٠
وبعد فترة من الصمت أدرك تمبلار ان اى بداية للحديث يجب أن تكون من جانبه فقال : ان الجو بديع ٠٠
ورد العجوز قائلا : آه ٠٠
ومد يدا مرتعشة لا ليصافح تمبلار وانما ليتناول زجاجة الشراب ٠٠

– هل استطيع ان اقـدم لك شيئا ؟
– آه ...
وهكذا فشلت محاولات تبملار لتجاذب أطراف الحـديث مع الرجل العجوز عنـدما ظهرت جينا وقـد ارتـدت زيـا بسيطا خفيفا يبرز تفاصيل جسمها اللـدن المثير .
سألت جينا : هل ضايقك عمى ..
– لا .. لقد كنت احاول أن أجـد موضوعا للحـديث يثير اهتمامه ولكننى لم أستطع أو ربما كانت لهجتى غـير مفهومة بالنسبة لـه .
وقالت جينا وهى تبتسم وتربت على يـد العجوز :
– مسكين زيو .. لقد رايته منذ أن وعيت عجوزا كمـا هو الان ولكنـه كان لطيفا معى عندما كنت فتـاة صغيرة . كان يروى لى قصصا لطيفة عن اشتراكه مع غاريبـا لـدى فى معركته الاخيرة وغير ذلك من الحكايات الممتعة .
– تقولين عمك – لابـد انـك لا تقصدين أنـه شقيق اليساندور ؟ ..
– أوه ، لا طبعا .. انه فى الواقع عم اليسانـدرو ودونا ماريـا .
وكأنما سمعت السيدة اسمها يذكر فقد ظهرت عنـد مدخل آخر وقـد غيرت ثوبها الاسود بثوب يناسب المسـاء ووضعت حول رقبتها سلسلة ذهبية بينما رشقت فى شعرها مشطا مرصـعا ببعض الجواهر كـدليل على انهـا قـد ارتـدت زيـا رسميا يناسب العشاء ..
قالت دونا ماريا : لا تتعب نفسك مع لوزيو يا سنيور تمبلار فهو ثقيل السمع وربما كان اثقل فهما ولكن وجـوده فى صحبتنا أمر يـدخل السعادة على نفسه .. واذا كنت قد انتهيت من الشراب فهيا بنا ندخل لنتناول العشاء .
وقادت الطريق الى داخل المنزل .. الى قاعـة ضعيفـة

الاضاءة .. وكانت جينا تدفع مقعد لوزيو بينما تكرم تمبلار بمساعدتها . وكانت غرفة المائدة ضعيفه الاضاءة مثلها فى ذلك مثل القاعة وعلى جدرانها علقت صور زيتية لافراد العائلة ..

وقالت جينا : ارجو الا يضايقك طعامنا ، فنحن لسنا معتادين على استقبال ضيوف هنا .. ولذلك فان الطباخ لا يجيد الا الاطعمة الريفية البسيطة .. ولا شك ان هذا النوع من الطعام ليس هو ما اعتدت انت على تناوله ..

وقال تمبلار فى ادب : اننى لا أشك فى أنه سيكون تغييرا لطيفا .

ولم يكن تفاؤل تمبلار فى غير موضعه . فمع ان طعام المنزل فى كثير من انحاء العالم يكون سيئا الا انه فى ايطاليا ليس كذلك بالمرة .. فربة البيت الايطالية لا تشترى شيئا جاهزا فهى تعصر الطماطم بيدها .. وتضيف الى الطعام الاعشاب والتوابل التى تزرعها فى حديقة المنزل الخلفية ..

كانوا يكونون رباعيا غريبا حول المائدة السوداء العتيقة يلفهم جو العصور الوسطى بينما ساهم وقع أقدام الخادمة على الارض العارية فى منع الاسترخاء ، ولكن تمبلار استطاع بتركيزه على جينا والطعام أن يدير حديثا لطيفا مسليا ، بينما كان يسائل نفسه طوال الوقت عن السبب الذى من أجله دعى لتناول العشاء وما اذا كان السبب سوف يكشف عن نفسه بطريقة غير سارة ..

وعندما انتهى الطعام قال يشكر دونا ماريا : لقد كانت وليمة رائعة . واذا كنت أحس بالذنب لاننى سببت لك هذا التعب ، الا اننى سأشعر بالسرور دائما لقضاء هذا الوقت الممتع معكم ..

- لا أظنك ستتركنا الان فسوف نتناول القهوة فى

حجرة الجلوس ٠٠

وبينما كان يساعد جينا فى دفع المقعد ذى العجلات قالت له :

ـ اننى اتعجب ٠٠ كيف استطعت أن تفعل بها هذا ٠ فما من أحد قبلك استطاع أن يحدث بها هذا التحول الغريب ٠٠٠

وتساءل تمبلار بينه وبين نفسه : ترى هل كانت كل هذه الضيافة مجرد وسيلة لتوفير بعض الوقت يستطيع ال ديستاميو فى خلاله ان يرسل عددا من رجاله يتربصون بالقديس خارج المنزل ويأسروه أو يتخلصوا منه فى هدوء ٠٠

وايا كان السبب فقد أحس بأن جينا ليست ضالعة فيه ٠٠ قال وهو ينظر الى وجهها الجميل البرىء :

ـ اننى افكر فى التجول فى هذه البلدة ورؤية مناظرها غدا حتى ولو اقتضانى الامر أن افعل ذلك بصحبة أحد المرشدين ٠٠

ثم التفت الى دونا ماريا واستطرد :

ـ ربما سمحت لى بأن اصطحب جينا معى وقد ازدادت معرفتك بى ٠٠

وقالت دونا ماريا وقد اصيبت بغصة فى حلقها ٠٠ ربما كنت متسرعة بعض الشىء فى رفضى السابق ٠ ولكن حيث انك صديق حميم لا لايساندرو فاننى لا أرى فى الواقع سببا يمنعنى من الموافقة ٠ فما الذى تهمك رؤيته ؟

وجرى النقاش حول آثار صقلية دون أن تشترك فيه هذه المرة جينا ، التى تسمرت نظرتها وفغرت فاها ، أما لانها كانت تشعر بالحيرة أو لانها خشيت أن هى تدخلت فى الحديث أن تجعل عمتها تغير رأيها ٠٠

وتناول القديس قدحا آخر من الكونياك واحس بأن

الوقت قــد حان للانصراف فقال وهو يقف متأهبا للرحيل :
ـ الى العاشرة من صباح الغـد اذن يــا جينـــــا ..
ولسوف أخبر اليساندور بمـدى لطفكم جميعا معى ..
كان المقصود بالملاحظة الاخيرة هو ربة البيت غـير أن لوزيو هـو الـذى تصدى هـذه المرة للحديث .. قال :
ـ آه .. اليساندور .. لقـد أخبرته .. لقد حذرته من الذهاب الى رومـا ..
وأسرعت دونا ماريا تقاطعه قائلة : لقد تأخر بك الوقت يــا لوزيو وفات موعد نومك ..
وادارت المقعـد بسرعة مفاجئة جعلت راس العجـــوز يتخبط كما لو كان بالونة معلقة بخيط .. ودخلت الخـادمة فـدفعت أمامها المقعـد وخرجت بــه ..
وقطع تمبلار المسافة القصيرة بين المنزل والبوابـــــة الكبيرة وقد شدت أعصابه كما لو كانت أوتاره آلـــــة موسيقية مشـدودة ، وارهفت أذنـاه ، بينما عيناه ترقبـان كل ظـل . ولكن لم يكن هناك ما يشـــير الى خطر كامن يتهـدده .. وفتح تمبلار باب الســـيارة بعنف وقفز الى داخلها فى سلسلة من الحركات السريعة لارباك اى كمـين يمكن ان يكون رابضـا خارجها ، ولكن لم يقع الهجـوم .. كان القمر ساطعا يكشف الطريق المهجور الا من ســيارته حيث تركهـا وكانت الاصوات الوحيدة هى أصـــوات الحشرات الليلية .. واحس القديس بسخف مـا جـال فى خاطره من تفكير فأغلق باب السيارة ولكن غريزة المغـــامر الـذى حمل راسه على كفيـه جعلته لا يحس بالراحـــة الكاملة .. وأخذ القديس يبحث عن مكـــان مفتـــــاح الكونتاكت حتى وجـده ووضـع المفتـاح فيه ولكن عندما رفع راســه لاحظ أثرا على جسم السيارة لم يكن موجـودا من قبـــل ..

وتحت ضوء القمر الساطع كان هنــاك بوضوح اثرا ليد بشرية متسخنة ..

ـ ٤ ـ

وبحرص شديد أخرج تمبــــــلار المفتاح ، ونــزل الى الطريق مرة أخرى ، ودار حول الســيارة لكى يفحصها عن قرب .. وبــدا أن الاثر قد اختفى ولكنه عندما انحنى حتى كاد وجهه يلامس السيارة اكتشفت الاثر من جـديد وقــد انعكس عليه ضوء القمر ..

وتلاحقت أنفاسه ووقف شـعر رأسه عندما أدرك كيف كاد يغيب عن باله هذا الاكتشاف .. فلو انه خرج قبـل أو بعـد بضـع دقائق لـمـا سقط شعـاع القمر بتلك الزاويـــة المحـددة التى كشفت على الاثر .. أو لو انه لـــم يكن فى اقصى درجات يقظته لكان من الممكن الا يســــــترعى الامر انتباهه .. ولكنــه الان تـذكر كيف مسح صاحب الجراج السيارة بعنــاية فائقة ، وكان متأكدا مثـل هذا الاثر لـم يكون موجودا عندما بـدأ رحلته . كما انه لم يكن قد توقف فى اى مكان على الطريق بما يسمح لاى شخص بالاقتراب من السيارة قبل أن يقف بها هنا . وهكذا فلابـد أن الاثر قـد صنع منـذ وصوله ، بينما كان يتمتع بضيافة دونـا ماريــا ..

وبدقة فائقة فتح غطاء السيارة الامامى وسلط عليــــه ضوء بطاريته الصغيرة فوجـد المحرك الضخم فى مكانــه ، مع اضافة جـديدة كانت ستحير السنيور باجاتى نفسه لو انه شاهـدها .

كانت هناك لفة كبيرة موضوعــــة على مؤخرة المحرك وفى داخلها اسطوانة معدنية ، تشبه قلم الحبر وقـد خرج

منهـا سلكان رفيعان تاها فى زحـام الوصـلات الكهربائية المعقـدة للمحرك ٠

وبأصابع جراح ماهر استخلص القـديس الانبـوبة المعـدنية ، وبرفق جـذب الاسلاك من مكانها ٠٠ وهكـذا ابطـل مفعول القنبلة واستحالت شيئا لا ضرر منه ٠٠

وهمس القـديس قائلا لنفسه : لقـد كدت تنجح هـذه المرة يا آل ، ولو انك نجحت لما كان لى أن الوم الا نفسى٠

كانت هناك بصمات واضحة فوق جسم القنبلة ، ومن المؤكـد أن من وضعها كان واثقـا من انه لن يبقى منها شيء يـدينه ٠٠ وعنى تمبلار بألا يفسـد البصمات ، فوضـع القنبلة بعنـاية فى شنطة السيارة مراعيا الا تهتز مـع اهتزاز السيارة ٠

وادار المحرك فانطلقت السيارة ببطء نحـو بالـيرمو ، بينما كان الموتور يعزف لحنـا رتيبا كما لو كان موسيقى تصاحب افكار تمبلار ٠٠

وهكذا أصبح من السهولة بمكان ان يفهم تمبلار كل مـا كان يحـيره من قبل ٠٠ فعنـدما غابت دونا ماريا للمرة الاولى كانت تتصـل تليفونيا بـآل ديستاميو فى كابرى تسأله تأكيدا عن صديقه المزعوم ٠٠ وكان من السـهل على تمبلار أن يتصور رد فعـل آل ديستاميو ٠٠ فلابـد انه كان قـد علم بفشل المحاولة الاولى لاغتيال تمبلار ٠٠ ولا شـك ان تجاسر تمبلار على التوجه الى منزل أسرة ديستاميو ، بـدلا من أن يستقل أول طـائرة تغادر البلاد ، لا شك أن الدعوة الى العشاء قد تمت بنـاء على تعليمات آل للابقـاء على تمبلار هنـاك فترة تكفى لارسال شخص يتولى القضاء عليه بوسيلة اكثر فعالية ٠٠

من أجل هذا كانت دونا ماريا تغمره بضيافتها غير المعتادة ، ولهذا وافقت بسرعة على أن تصحبه جينا فى جولته فى اليوم التالى • فقد كانت متأكدة من أن القديس لن يعيش ليطالبها بتنفيذ وعدها • ولكن بقى فى النهاية سؤال واحد ـ هل كانت دونا ماريا تعلم بمدى العنف والوحشية اللتان ستستخدمان فى ازاحته من الطريق ..

وانسابت سيارة تمبلار من مدخل جراج الفندق واتخذت لها موقفا فيه • وعندما خمدت ضجة المحرك كان الغضب لا يزال يعصف بنفس تبملار • لقد كشف أولئك الوحوش عن وضاعتهم .. وجاء دور تمبلار الان لكى يهزأ بهم .. وهكذا قرر الا يضن بأى جهد من اجل ان ينغص على آل ديستاميو ليلته .. حتى ولو تضمن هذا الجهد محاولة الاتصال بكابرى برغم مصاعب الوقت والجهاز العتيق •

كانت آلة التليفون فى غرفة تمبلار صامتة وكأنما قد فارقتها الحياة ، ولكن اصرار القديس ودقاته المتتالية على صندوق الجرس أفلحا فى النهاية فى اعادة الحياة اليه .. وسرعان ما جاءه الرد بصوت متثائب .. كان من الواضح ان صاحبه قد أوقظ على مضض فى هذه الساعة المتأخرة •

قال القديس اريد ان اتصل بكابرى ..

ـ ان الامر ليس سهلا فى الليل يا سنيور .. فهل تسمح بالانتظار حتى الصباح ..

ـ قد يكون الوقت متأخرا ولكنى اريد المكالمة الان •

ـ حسنا يا سيدى ..

قالها كاتب الفندق بلهجة من جرحت كرامته ... واعقبت ذلك سلسلة من الاصوات تبعها صمت مطبق ...

وهناك على البعد سمع القديس صوتا ضعيفا ·· واخذ تمبلار يصيح باعلى صوته حتى جاءه الجواب ·· كان المتحدث هو عامل السنترال فى باليرمو الذى لم يكن اكثر حماسا من كاتب الفندق لتوصيل مكالمة تليفونية فى هذه الساعة المتأخرة من الليل ·· وادرك تمبلار بعد فوات الاوان ضخامة المهمة التى اخذها على عاتقه ، ولكنه لم يكن مستعدا للتراجع عنها بأى ثمن ·

وبمنتهى الادب رد تمبلار على أسئلة عامل السنترال عن اسم ومحل اقامة الشخص الذىيطلبه ، ثم عن عنوانه هو ورقم جواز سفره ، حتى مل عامل السنترال نوافق فى النهاية على أن يحاول المستحيل ··

واشعل القديس سيجارته الاخيرة ، وكور العلبة الفارغة بين يديه ، ثم هيأ نفسه لجلسة ربما تطول ··· وكانت سماعة التليفون قد بدأت تؤلم اذنه ، فنقلها الى الاذن الاخرى · ومضت فترة صمت طويلة عاد بعدها صوت عامل السنترال البعيد الى الظهور ···

ـ آسف جدا ، فأنا لم استطع الاتصال بنابولى ·· هل تحب ان تلغى المكالمة ·· ؟

وقال القديس بحدة : اننى لا اريد الغاء المكالمة كما اننى لا أرى سببا يجعلك لا تستطيع الاتصال بنابولى ·· فلقد كان الخط معها سليما هذا الصباح ولابد أنه لازال سليما ، اللهم الا اذا كان بركان فيزوف قد ثار مرة أخرى ··

ـ اننى لا اعرف شيئا عن ذلك ، ولكن جميع الخطوط الى نابولى مشغولة ··

وقال القديس بلهجة مشجعة : حاول يا صديقى مرة أخرى فبينما نحن نتحدث معا ربما يكون أحدهم قد انتهى من مكالمته او سقط ميتا ·· اصمد يا صديقى ··

وغمغم عامل السنترال بكلمات غير واضحة ، ولكن تمبلار شعر بأنه من حسن الحظ أنه بعيد بحيث لم يسمعها .. ومرة اخرى عادت الاصوات غير البشرية الى الظهور .. ولكن بعد فترة انتظار ، اثمر الاصرار ثمرته فى شكل صوت جديد يقول (هنا نابولى) ..

ولم يكن الاتصال بكابرى من نابولى أسوأ مما حدث ، وبرنة فرح سمع تمبلار فى النهاية رنين جرس التليفون فى فيلا ديستاميو .. وأخيرا رد شخص ما على التليفون .

وصاح القديس باعلى صوته يطلب الى الرجل ان يصله بديستاميو ..

وجاء رد الرجل يقول : ان السنيور مشغول ولا يمكن ازعاجه وعليك أن تعيد الاتصال به فى الصباح ..

وقال القديس ببرود ، أنا لا يعنينى فى شئ مدى مشغوليته وما عليك الا ان تخطره بأن هذه المكالمة من صقلية وان لدى انباء يتوق الى سماعها ..

وتلا ذلك فرقعة شديدة كما لو كانت آلة التليفون فى الناحية الاخرى قد القى بها من حالق . وظن القديس لفترة أن الخادم قد انهى المشكلة بتعليق السماعة ، ولكن تمبلار ظل مع ذلك ممسكا بالسماعة من ناحيته ، وأخيرا تحدث صوت آخر ، لم تستطع كل ما فى التليفونات من تشويشات أن تخفى نبرته تماما عن القديس ..

- من المتحدث ..

والقى تمبلار بعقب سيجارته الاخيرة ثم استرخى أخيرا ..

- اليساندرو ، يا صديقى العزيز .. اننى أعلم انك ستسعد بسماع صوتى ، حتى فى هذه الساعة المتأخرة .

- من أنت ؟

انني سيمون تمبلار أيها الطبق الدسم من المكرونة المحروقة . لقد اتصلت بك لاخبرك ان اتباعك من القتلة قد فشلوا مرة أخرى .. وانني لا اريدهم أن يكرروا محاولاتهم .. والذى أريده منك أن تنبه عليهم بذلك ، يا صديقى ..

كانت هناك نفحة متزايدة من خيبة الامل فى ذلك الصوت الاجش وقد تبين شخصيه المتحدث وقال :

ـ اننى لا أعرف عما تتحدث يا تمبلار .. ربما أسرفت قليلا فى الشراب الليلة .. من أين تتحدث ؟

ـ من الفندق الذى أنزل به فى باليرمو ، والذى لاشك فى انك تستطيع معرفته بسهولة ولكن لا ترسل مزيدا من اتباعك لمضايقتى .. ان القنبلة التى زرعوها فى سيارتى بينما كانت دونا ماريا تقوم بواجب الضيافة نحوى ، لم تنفجر ولكنى وصلت الى معلومات كثيرة عنك اثناء زيارتى ، وهى معلومات أضيفها الى سابق معلوماتى .. ولقد أردت أن أخبرك بأننى قد انتهيت لتوى من كتابة كل هذه المعلومات وأودعتها مكانا ترسل منه الى جهة أقل مجاملة من ذلك المأمور الضعيف ، اذا ما حدث لى شىء .. ولذلك مر اتباعك بالابتعاد عنى يا آل ..

وصاح ديستامبو بلهجة هستيرية : اننى لا أفهم شيئا ! هل جننت ؟ ماذا تحاول أن تفعل بى ..

ـ سوف تعرف ذلك فى حينه .. كل الذى أرجوه أن يحتمل حسابك فى البنك مطالبى .. أما الان فأحلام سعيدة ..

ووضع السماعة مكانها بهدوء ثم ألقى بكل التليفون فى سلة المهملات .

وما أن فعل ذلك حتى سمع طرقا خفيفا على الباب .. كأنما كان الطارق على موعد .

واتخذ تمبلار احتياطاته قبل أن يفتح الباب ٠٠ فقــر كان هنـــاك احتمال بـــأن يكون بعض أعوان ديستاميو يعملون وفقـا لتعليمات عامة بالتخلص منـــه ـ ولا شـك أن أوامر جديدة تنفى القديمة كانت ستأخذ وقتـا حتى تصل اليهم ، حتى ولو كانت المـافيا قد تغلغلت أيضا فى مصلحة التليفونات ٠٠ وحتى تصل اليهم هــذه التعليمات الجديدة فقــد كان من واجبــه ان يحتاط ٠٠

ودخل ماركو بونتى ، ونظر بــدهشة الى المســدس الذى كان مصوبا الى بطنه ، ثم اغلق الباب خلفه فى هـــدوء ٠

قال : أهكذا تستقبلنى ٠٠ انــه استقبال غـــير ودى ، وخارج على القانون أيضا ، مـا لـــم يكن لـديك ترخيص ايطالى بحمل هــذا السلاح ٠٠

وقال تمبلار ببراءة وهو يخفض المسدس : لقد كنــت بسبيلى الى سؤالك عن كيفيـــة الحصول على ترخيص فى أول مرة أراك فيها ٠ ولكننى يـا صديقى لم أكن اتوقـــع زيارتك فى مثــل هــذا الوقت المتأخر ٠٠

ـ انتى لا ازورك للمجاملة ٠٠ بـل أردت أن اسألك عن نتائج زيارتك أنت ٠٠ كما أنى علمت شيئا قد يكون ذا قيمة بالنسبة لـــك ٠٠

ـ بودى لو قدمت لى واحدة من سجائرك وانت تقص على اخبارك ٠٠ فلعل لها علاقة بما استطيع ان أرويـــــه لك ٠٠

ـ من الصعب ان يكون لمـا اعرفه علاقة بما لديك ٠٠ كل ما هنالك أنك اعطيتنى اسما ، وكاى رجل بوليس يجيــد عمله رجعت الى المــلفات ٠٠ ورغم أنك قــد تسخر كما أفعل أنا نفسى فى بعض الاحيان عنــدما أرى الاكوام الهائلة من المــلفات التى لــدينا ـ الا أننــا نجــد فى بعض الاحيان تحت القبة شيخ ٠ لقــد بحثت عن الاســم الــذى اعطيتنيه ٠٠

اسم كاتب البنك الذى قتل ·· دينو كارتيللى ·· ولكننى لم أجد شيئا سوى واقعة موته ، غير أننى وجدت ملفا لكارتيللى آخر ، شقيقه الاكبر ، ارنستو ، الذى قتله الفاشيست ·

وتجهم وجه تمبلار وقال :

ـ لقد نفذ صبرى · ما الذى يستحق المعرفة فى كل هذا الكلام ··

ـ فى بداية حكمه ، قاد الدونتشى حملة للقضاء على المافيا ـ ربما انطلاقا من نظرية انه ليس هناك مكان الا لعصابة واحدة من الافاقين فى البلاد ، وكان هو يريد أن تبقى عصابته وحدها ·· وهكذا مرت فترة ضرب فيها بالرصاص بعض صغار العاملين فى المافيا بينما وضع آخرين فى أقفاص وعرضهم على الناس لكى يسخروا منهم · وفيما بعد ، بالطبع ، وحدت المافيا قواها معه ، فالطيور على أشكالها تقع ·· ولكن تلك قصة أخرى ··· على أى الاحوال ، ففى احدى الغارات الاولى تبادل ارنستو كارتيللى اطلاق النار مع ذوى القمصان السود ، الذين اثبتوا انهم كانوا أبرع منه ··

وقال تمبلار ببطء : هل تقصد ان تقول ، انه لما كان ارنستو واحدا من عصابة المافيا فربما كان شقيقه دينو من افرادها أيضا ··

ـ يكاد يكون ذلك امرا مؤكدا ·· ولو أنه لا يمكن اثباته بالطبع · ولكن المافيا مجتمع مغلق ، ومن الصعوبة بمكان أن يدخل اليه احد ، وعندما يكون شخص ما عضوا بها فان ذلك يعنى فى العادة ان اقربائه القريبين من الذكور أعضاء ايضا ··

وضاقت عينا تمبلار علامة على التفكير العميق وهو يجذب نفسا من سيجارته ثم قال :

ـ وهكذا تظهر المافيا فى الصورة من جديد ·· فآل ديستاميو عضو فيها ، ويبدو الان ان دينو كارتيللى كان عضوا فيها هو الاخر ، سواء كانا او لم يكونا شخصا واحدا ، وهم يضعونى على راس قائمة الاشخاص الذين يجب التخلص منهم ، لقد كنت أعلم انك ستسر لسماعك نبأ محاولتهم التخلص منى الليلة ··

ـ هل حدث هذا فى منزل ديساميو ··

ـ بل خارجه مباشرة ·· ولو انهم نجحوا فربما كانت بعض النوافذ قد تحطمت ··

وروى تمبلار قصة امسيته السوداء ، وذلك الاكتشاف العرضى الذى لم ينهها كما كانوا يشتهون ثم اضاف :

ـ وهناك بعض البصمات الرائعة على القنبلة التى لا تزال سليمة ··

وقال بونتى مبتهجا : هذه اخبار رائعة · ان هذه الحثالة تستطيع ان تخرج من اى مأزق بحشدها لعشرات من شهود الزور ، ولكن التغلب على بصمات الاصابع أمر آخر ·· ان هذا يدلنا على الاقل على من الذى وضع القنبلة وقد يقودنا هذا الى شخص آخر ··

ـ لقد كنت متأكدا من انك ستسعد اذا افلت بجلدى من الموت ··

قال تمبلار ذلك فى لهجة تهكمية واضحة ·

ـ لعلك لا تعلم مدى سعادتى بذلك · كل الذى ارجوه ان تتعرض كثيرا لمثل هذا الحادث وان تعود دائما بمثل هذا الدليل الرائع ·· اظن انك قد عدت به بالطبع ليس ذلك ··

وزم تمبلار شفتيه والقى بمفاتيح السيارة وقال :

ـ سوف تجدها فى شنطة السيارة ·· اترك المفاتيح

تحت المقعد الامامى فسوف يكون امام اليساندور بعض الوقت لكى يفكر فى خطوته التالية :

وقال بونتى : ارجو الا يطول به التفكير ·· ولكن كلما رغبت فى الاتصال بى ، سوف اعطيك رقما تطلبنى فيه ··

ونزع ورقة من مفكرته كتب عليها الرقم وناولهما للقديس :

ـ ليس هذا رقم مركز البوليس ، ولكنه مكان يمكن ائتمانه على أى رسالة تتركها وهو يستطيع دائما أن يجدنى بسرعة ·

واستدار وفتح الباب وقد استبد به الشوق لكى يبلغ الجاراج ويحصل على الدليل القابع فيه ·· ثم قال ·

ـ عم مساء ، واتمنى لك حظا سعيدا ··

وقال تمبلار تمنياتى لك ، والى اللقاء ··

واغلق تمبلار الباب واحكم وضع المزلاج من خلفه احتياطا للطوارىء ·· ولكنه نام مستغرقا كأى طفل ، لقد كان يوما حافلا ومرحا ، ومن يدرى ربما كان الغد أكثر حيويه · فقد كان لديه اعتقاد راسخ بأن العالم مكان جميل يستطيع الانسان أن يستمتع فيه بحياته ·

الفصل الرابع

فى تمام الساعة العاشرة من صباح اليوم التالى أعلن تمبلار وصوله خارج أسوار ضبعة ديستاميو بنداء عال من نفير سيارته رددت أصداءها التلال المجاورة فأثار نباح قطيع من الكلاب وهفهفة أجنحة سرب من الحمام ازعجته الضجة ، قبل أن يؤكد وصوله رسميا بالضغط على زر الجرس الموضوع عند المدخل ·

ولـــم يكن تمبلار يعتقد بأن هناك خطرا فى ان يكـون ديستاميو قد أعـد لـه قنبلة تنتظره لترحب بـه الترحيب الاخير ، أم ترى أن ديستاميو قد رفض تصديق أن تواتى تمبلار الشجاعة لكى يظهر ويطالب جينا بالوفاء بموعدها معه ٠٠ ترى هل تقوم دونـا ماريـا الان بالاتصـــال بديستاميو تسـأله عما تفعل ، بينما هى حبيسـة قبـو من اقبيـة المنزل ٠٠ أم ترى يتجاهله اهـل المنزل فلا يرونه ولا يسمعونه شـأنه شأن بائع جوال لا يرغبون فى التعامل معـه حتى يستسلم وينصرف ٠٠ لم يكن هناك سوى طريق واحـد للاجابة على كل هذه الاسئلة وهى ان يطرق البـاب وينتظر مـا يحـدث ٠٠

كان مـا حدث هو ان فتح الباب وظهرت جينا على عتبته بخطوتها الرشيقة التى كانت اقرب الى الرقص منهـا الى المشى ٠٠ وابتسم تمبلار وقـد غمره فرح مفاجىء وهـو يفتح لهـا باب السيارة ٠

ومهما يكن مـا سيحدث بعد ذلك ، فعلى الاقـل فان المغـامرة لن تتوقف ٠٠ وما أن استقرت على المقعـد الجلدى للسيارة حتى بادرها القـديس قائلا :

ـ ان هـذا أكثر مما توقعت ٠٠

ـ لمــاذا ٠٠٠

ـ كنت أخشى أن تغير عمتك رأيها ، فـلا تسمح لــك بالخروج معى ٠٠

ـ ولمـاذا تفعل ذلك ٠٠ أظن انه ليس هناك خطأ فى أن اقابلك ، أليس كذلك ٠٠

واغتصبت ابتسامة وهى تقول هـذا الكلام ، ولــكن البحة فى صوتها دلته بوضوح شديد على أنهـــا لا تلعب دورا فحسب وانما هى لا تستمتع بـه ٠ لقـد كان زيفهـا واضحا وضوح اخلاصها فى اليوم السابق ٠ ولكنــه على

اى الاحوال لـم يكن مستعدا لان يجعلها تعرف ان جهودها قـد ذهبت هبـاء قبل أن تبدأ ..

واجابها : وكيف يكون هناك خطـأ ما ، وليس فى ذهن احـدنا غرض سيء ..

وتعمد الا يؤكد هـذا المعنى الغامض بالنظر اليها لـكى يلحظ تأثيره عليها ، ولكن صمتها دلـه على انهـا تفكر فى الامر .. وساد الصمت بينهما فترة طويلة ولكنها قبل أن تصـبح مملة قطعها بقوله : صقلية ، ايتهـا الجزيرة الجميلة . ثـم لوح باحـدى يـديه كأيما يحتضن المناظر الخلابة وقـد غمرتها اشعة الشمس .. وفجـأة سألته جينا قائلـة :

ـ هل اسمك سيمون تمبلار حقا ..

ـ طبعـا ..

ـ ولكن هل انت سيمون تمبلار الـذى تكتب عنـه الصحف ..

ـ اذن فقـد اكتشفت سرى .. كنت آمـل ان أخفيـه عنك ، تاركا اياك تعتقدين انني مجرد بائـع بسيط .. اجوب البـلاد عارضا بضائعى . ولـم يطف بخيـالى أن سمعتى يمكن ان تصل الى بلادكم .

ـ اننى لست معزولة عن العالم الى هـذا الحد .. فأنا دائما أقرأ الصحف .. كل مـا فى الامر اننى لم اعرفك فى البـداية .. مـاذا تفعل هنا ..

ـ اشاهد الطبيعة .. الم يكن هـذا هـو ما تحدثنا عنه ان النـاس لا يصدقوننى دائما ، ولكنى اصدقك القول جئت الى ايطاليا لـكى اروح عن نفسى وآكل واشرب شـأن اى سائح آخر ..

ـ ولكن عنـدما تكون فى بلـدك .. هل تبيع شيئا ..؟

– لا .. اننى لا أعمل عملا جـديا فى الواقع .. لاننى اكره أن أنتزع وظيفة من شخص آخر قـد يكون فى حاجـة اليهـا ..

واعطتها هـذه الاجابة مادة تفكر فيها بـدورها ، الامر الـذى شغلها حتى عن أن تسأل :

– الى أين أنت ذاهب .. لقـد كنت اعتقـد اننى انمـا اصطحبك لادلك على مواطن النزهـة فى بلادنا ، ولـكن يبـدو انك تعرف الطريق الى مكان مـا ..

– لقد تناولت افطارى بصحبة خريطة ودليل سياحى . فباعتقادى انه من المفيد أن تعرف الشاة طريقها الى أول مذبح مقـدس ..

– ولكننى لا أعرف أيـا منها قرب باليرمو .. فلم يبق من المعابـد الوثنية الا القليل ، ومن المؤكـد انها لا تضـم مـذابح ..

– حسنا ، دعينـا نتوقف هنا ..

قال تمبلار ذلك وقـد أصبح على مرمى البصر من المكان الـذى كان يقصده . واوقف السيارة فى المكان المخصـص للانتظار .. ودفع للمنادى الرشوة المعتادة لقاء محافظتـه على سيارتـه ..

وصاحت جينا وهى تصفق بيديها فى حماس وقـد عرفت المكان : انها كنيسة سان جيوفانى .. وهـى أكثر الكنائس القديمة رومانتيكية فى هـذه المنطقـة .. ان تاريخها يرجع الى العهـد النورماندى .. كـم هو جميـل منك أن تعرفها ..

وتجولا فى أنحـاء الكنيسة بأبهائهـا الفاخرة واعمـدتها المرمرية الرائعـة ، وما بـدا فيها من بقيـا الجـامع بنى الصليبيون حوله مكان عبادتهم .. وعنـدما وصـلا فى

النهاية الى حديقة جميلة القى تمبلار بنفسه على احد المقاعد وجذب جينا الى جواره وقال :

– لقد كانت جولة ممتعة ، ولست استطيع ان أوفيك حقك من الشكر على ارشادك لى مشاهدة آثار باليرمو ·

– ولكن هذه ليست سوى البداية ·· فهنالك عديد من الكنائس ·· وهناك الكاتدرائيات ·· والمتاحف ·
– ان هذا هو ما أخشاه ·· فبرغم تدينى ، كنت افضل دائما أن اترك الكنائس والكاتدرائيات لمن هو اكثر جدارة بها منى ·· ولكننا أخبرنا عمتك العزيزة أننا خارجون فى جولة لمشاهدة الاثار ، وبوسعك الان بعد هذه الزيارة حافظنا على وعدنا لها ، فبوسعنا ان نتجه الى نزهة أكثر ملائمة لهذا المناخ من التجول بين الخرائب ·· دعينى أسألك بصراحة ، أكنت تقومين بهذه الجولة اليوم ·· لو لم أطلب منك ذلك ؟ ··
– لا ·· ولكن ··
– لا أريد لكن ، ان « لا » تكفينى ·· معنى هذا أننى افرض عليك شيئا لم تكونى لتختاريه بمحض رغبتك ، وانا اكون جزءا من عقاب ·· والان تفضلين أخذ حمام ·· ؟
– حسنا ، ربما ·· ولكننى لم أحضر معى شيئا ··
– وانت لا تستطيعين العودة الى المنزل لاحضار ما يلزمك والا لاغضبت عمتك · حسنا ·· ان من كان لها مثل جمالك فى المايوه البكينى يجب ان يكون لها مايوه جديد كل يوم ··

ونهض تمبلار من مكانه ، وسرعان ما كانت سيارته

تنطلق فى طريق العودة . وبالقرب من البلاج وجد محـــلا يبيع ملابس البحر .. وفى لمح البصر كان تمبلار مرتــديا لباس البحر واقفا يتطلع اليها وهى تخطر فى لباس البحر الــدقيق الحجم الــذى كشف مفاتن جسدها المثير .

قالت جينا : اننى لم ارك تشترى شيئا ..

ورد تمبلار بــلا خجل : لم أكن بحاجة لشراء شئ .. فقــد كنت احتفظ بالمــايوه فى السيارة .. على أمل أن نقرر تغيير برنامجنا .. والان دعينا ننزل الى المــاء قبـــل أن يقولون عنـــه انه جمع أمواله من تهريب الخمور وغــيرها وامضيا نهارا ممتعا قطعـــــاه بين السباحة وحمامـــات الشمس ثــم السباحة وهكذا الى أن حان موعــــد الغــداء فذهبا الى مطعم أنيق على الساحل ليتناولا الطعـــام .. وقبــل أن يعود الجرسون بما طلبــاه من اطباق الطعـــام الفاخرة قال تمبلار :

ـ فى مثل هذه الاوقات كثيرا ما اتساءل : من كان ذلــك المغفل الــذى قال ان العمل شئ نبيل ومجز ..

وبعد برهة صمت قالت : ولكن لابــد انك تشتغل بشيىء مـــــا ..

ـ نـــادرا ..

ـ ولكنك قلت لنـــــــا أن لــك عملا مشتركا مـــع عمى اليسانـــدرو ..

ـ هل يبــدو على من ذلك الصنف الــذى يشترك معـــه فى عمــل .. ؟

ـ لا ..

قالتها فى تأكيد ولكنها أسرعت تستدرك كمن ادركـــت خطاها فقالت وقــد فغرت فاها واعتراها الفزع :

ـ أعنى ..

ـ انك تعنين ما قلته تماما .. فأنت لم تقنعى بى كجزء

من العـــالم التجارى العادى ، ومنذ ذلك الحـين وانت تتذكرين الكثير مما قرأته او سمعته عن بعض مغامراتى ، وهى أمور كنت تنظرين اليها ، بحكم تعليمك ، على أنهـا وضيعة ·· ومع ذلك ، فمن الواضح انـــك لا تعرفين عن طريق عمك آل مـا هو اسوأ بكثير من ان يشترك فيه مغامر محترم نسبيا مثلى ·

ـ اننى لم أقـل هذا مطلقا ·· فأنا أعلم أن الجميـــع يقولون عنه أنه جمع امواله من تهريب الخمور وغـــيرها مما لديكم فى أمريكا ، كما أعلم انه وقع فى مشاكل مـــع البوليس حول الضرائب او شىء من هـذا القبيل ·· ولقـد نشر الموضوع كلـــه فى جميـع الصحف عنـــدما كنت فى المـدرسة ، وكم ضايقتنى الفتيات لاننى كنت أحمل نفس الاسم · ولم اجرؤ وقتهـا على الاعتراف بأنه قريب لى ·· ولكن منـــذ ذلك الوقت طفق يقول لى أن أفضل النـاس هـم الـذين يتعاملون معه ، وان الامريكيين وحـــدهم هـــم المنافقين ·· كما أنه كان كريما معنا دائما ··

ـ ولهذا عنـدما طلبك بالتليفون فى ساعة متـأخرة من مساء الامس أو ساعة مبكرة من صـــباح اليوم ، وأخبرك بأنـــه يخشى أن أكون أنوى بـــه شراء ، وطلب اليـك أن تستخدمى لقاءنا لتحاولى أن تعرفى عنى وعما أدبره كـــل مـــا يمكنك ، أحسست بأن من واجبك أن تقومى لـه بهـذه المهمـــة ··

ومرت لحظة لمـع فى عينيهـا ذلك التهديد بانكـــــار حازم ·· ثـم خمد ذلك اللهيب وانسابت على وجههـــــا قطرات من العرق لـم تستطع السـيطرة عليهـــا ·· وارتعشت شفتاها ، ثـم دفنت وجههـا فجأة فى يـديها ·· وربت تمبلار فى عطف على كتفيها وقال :

ـ لا تأخذى الامر بكل هـذه الجـدية ٠٠ كل ما هنالك انك تفتقرين الى الخبرة فى اعمال التجسس ٠

ومن بين دموعها قالت : انك متوحش ٠

ـ لا يا عزيزتى ٠٠ اننى صديق لطيف يكره ان يرفض طلبـا لفتاة جميلة ٠٠ ولكى اثبت ذلك ، فسوف اجيب على كل اسئلتك أيـا ما كانت ٠٠

واهتز الثوب الحريرى الناعم تحت يده بنوبـة جديدة من البكاء الصامت اشاع فى نفسه الاضطراب ٠٠ بيـد انـه استطرد قائلا :

ـ لا ٠٠ انا لست من رجال البوليس ٠٠ لا : انـــا لا

اعمل لحساب مكتب التحقيقات الفيدرالى ، او اى وكالـة لايـة حكومة ٠٠ نعم ، انا اضمر أسوأ النوايا تجاه عمـك اليساندور ٠٠ وانـا اعتقد انـه رجل شرير للغاية وانه قد يكون مسئولا عن عـدد من جرائم القتل بالاضافة الى عـدد آخر من الجرائم الاقل شأنا ٠٠ بيـد ان هناك جريمة قتل لا يخالجنى شك فى انه مسئول عنها ، وسوف أعمل على ان ينـال جزاءه عنها بطريقة أو أخرى ٠٠ وذلك ما لم ينجح هـو فى قتلى أولا ٠٠ الامر الـذى حاوله مرتين حتى الان ٠

واعتدلت فى جلستها ، وعندها أدرك ان الصـغيرات هن وحدهن اللائى تزيدهن الدموع جمالا ٠٠

قالت : كفى هـذا ٠٠ من الافضل انتأخذنى الى المنزل الان ٠٠

ـ ليس قبـل ان تتناولى غداءك ، فلست اعتقـد ان قلبك يطاوعك على أن أدفع ثمن وجبة لم تتناوليها ٠٠

ـ اعتقد انك تستطيع التهام الوجبتين ٠

ـ ولمـاذا أصاب بعسر الهضم لانـك لا تريدين سماع الحقيقـة ٠٠

ـ اننى لا استطيع الانصاتاليك ٠٠ ان هـذا منتهى

العقوق .. الا انــــك تتكلم عن عائلتى وتتهـــم عمى بالقتــل ..

ـ هل تشعرين بتحسن اذن ، اذا لم يكن آل ديستاميو عمك حقيقة .

وصاب الطلق هدفه ، بـل وبعنف أكبر مما توقع ... فقـد فاق رد فعل جينا كل الاعراض التقليدية للصدمة .. من حملقة عينيهـــا .. الى تدلى فكها .. الى جمـــود تعبيراتها .. وبعـد هـذا التأثر الواضح ، لم يعـد هناك مجال للعودة الى التظاهر أو التعالى .. وزفرت أخـــيرا ثـم قالت :

ـ اذن .. فأنت تعرف ..

وقال بصراحة : اننى لست متأكدا ولكنى اشك .. ومــع ذلك لا استطيع ان ابرهن على كلامى ولكنى اعتقـــد اننى سأستطيع .. اننى بحاجة الى مساعدة .. واعتقـــد ان بامكانك مساعدتى .. لقـد قلت لى الان ، أو كـــدت على الاقـل ، انك تشكين فى نفس الامر ..

وحملق فيها بعينيه الزرقاوين ، كأنما هما بلورتـــان سحريتان يتحديانها ان تحاول خداعه ، ولكنها فى هـــذه المرة لم تحاول المراوغة .. قالت :

ـ نعم .. ولوقت طويل .. ولكننى كنت أخشى تصديق شكوكى ، لاننى كنت أعــــلم كم تمنيت لو أننى كنـت مخطئة .. ولقد سبب لى هـذا عـذابا مروعا ..

ـ ولكن اذا اتضح أننـا على صواب .. فسوف يكون هـذا بمثابة بـداية حيـاة جـديدة لك .

ـ نعـم ..

ـ اذن .. مـا هى مشكلتك .. ان آل بطلب اليـك ان تشتركى فيما تخشين ان يكون عملا أكثر قـذارة . ولديك

شكوكا لا تستطيعين الادلاء بهـا للبوليس ، ولكن لـــدى احساس دفين بالعدالة واعتقـد اننى ضالتك ، ارسلتنى لك العنـايه الالهيـه ··

ومالت الى الامام وقبلتـه فى حرارة وهى تقول : اعتقـد انـك رائع ··

واقل الجرسون يحمـل صحاف الطعام وكأنمـا كان على ميعـاد ··

ـ ٢ ـ

كان الطعام شهيا بحيث يساوى أى مبلغ يـدفع فيه ، كما كان يبرر قطع اى حديث اللهم الا الحديث الـذى قطعة ·· ولكنه على الاقـل اعطى تمبلار فرصة سماع بقية اعتراف جينـا :

ـ انه مجرد ·· حسنا ، مجرد احساس اخذ ينمو على مر السنين ·· ولقد بدأ فى البـداية احساسا سخيفا حتى أننى كدت اتناساه ·· ولـكن مجموعة من الاشـياء الصغيرة نجمت على الصورة الاساسية حتى اننى لـم استطيع ابعادها عن ذهنى ·· وعندما استعيد الاحـداث فى ذهنى الان ، اتصور أن الامر كلـه بـدا فى الوقت الـذى كان فيه عمى اليساندرو مريضا فى رومـا ·· ولقـد سبق وقلت لـك اننى اذكر هـذه الفترة بشكل غير واضح ، لاننى كنت صـغيرة جـدا ·· واعلم أن عمى كان مصـابا بالسرطان ، واذكر انهم قالوا وقتها أن شفاءه ميئـوس منـه ، امـا الان فان دونا ماريا تقول اننى مخطئة ، وانـه لم يكن مصابا بالسرطان ، وانه شفى · فهل هـذا ممكن ··

ـ انه ليس مستحيلا على اى الاحوال ·· فقـد سبق

واخطأ الاطباء كما أن هناك علاجا بالجراحة أو الاشعة
– ولكن هذا لا يحدث كثيرا ، اليس كذلك ؟
– ليس كثيرا خصوصا بعد ان شخصت الحالة بأنها ميئوس منها ، وقد استمرت منذ أن كنت فتاة صغيرة ، سيما وان المريض يبدو فى هذه الصحة الجيدة التى يبدو فيها عمك اليساندرو ·
– كذلك لاحظت انه لا توجد اية صور لعمى اليساندرو وهو صغير فى اى من البومات العائلة ، وعندما سألت دونا ماريا قالت أنه كان – وهو صغير – يتشاءم من التصوير ، ولم يسمح مطلقا بأن تؤخذ له اية صورة ·
– ربما يخمن أن صورته ستؤخذ فى يوم من الايام وتحتها رقم ··

– كذلك كانت هناك فتاة اعتدت ان أخرج بصحبتها ، لان والدتها كانت صديقة قديمة لدونا ماريا ، وكانت هذه الفتاة من النوع الذى يقول ابدأ الاشياء عن الاخرين ومع ذلك يضطر الانسان عادة للاعتراف بأن كلامها صحيح ·· وذات يوم قالت هذه الفتاة ان شفاء عمى اليساندور كان شفاء عقليا أكثر منه شفاء جسمانيا ، واذا كان قد حقق هذا النجاح فى أمريكا ، بينما كان كل ما فعله هنا فى ايطاليا هو تبديد معظم ثروة العائلة ·
– وهل كان هذا هو ما فعله حقا ··
– نعم ·· حتى لوزيو ، عندما كان الكلام لا يمثل صعوبة كبيرة بالنسبة له كما هو الحال الان ، كان يقص على حكاياته وكم كان عمى اليساندرو غبيا ، وعن بعض المشروعات الحمقاء التى بدد فيها أمواله · ولم استطع أن أصدق انه قد اصبح شخصا مختلفا كل الاختلاف ··
وهز تمبلار راسه وقال : ما لم يكن شخصا مختلفا بالفعل ·

- انه وقت مناسب تماما لمثل هذا العمل .
- ولكن كيف يكون ذلك ٠٠ ما لم يكن لوزيو ٠
- وهو ليس فى كامل وعيه تماما هذه الايام ٠٠
- ودونا ماريا ٠٠
- نعم ٠٠ لابد انها ضالعة فى الامر ٠٠ ولا تقولى لى انك لا تستطيعين تصور أن تكون هذه العمة اللطيفة العزيزة مشتركة فى عمل كهذا ٠٠

ولم تحاول جينا ان تتفادى هذا التحدى ، بل بدا الامر كما لو انها قد كبرت فجأة بطريقة ما ٠٠ ولم تفعل سوى أن سألته :

- ولكن لماذا ٠٠
- عندما نعرف هذا ، سوف تكون لدينا اجابات على كثير من الاسئلة ٠٠

وبعد برهة قالت جينا : انت تريدنى على أن اثق بك ، ومع ذلك لم تقل لى الكثير عن نفسك ، لقد قلت لى ما لا تعلمه ٠٠ ولكن اذا لم تكن من رجال البوليس السرى ، فكيف بدأت تهتم بعمى اليساندور ٠

ولم يدم تردده طويلا ٠٠ كان يرتب أفكاره اكثر منه يفكر فى أن يبوح لها بما لديه ٠٠ لم يكن لديه ما يخشى أن تعرفه المافيا فتفسد تدبيراته ٠ وهكذا روى لها كل قصته منذ مقابلته العريضة للمرحوم جيمس يوستون حتى قنبلة السيارة التى أبطل مفعولها فى الليلة السابقة ولم يحذف من القصة سوى حديثه الخاص مع ماركو بونتى وتسليمه القنبلة وما عليها من بصمات ، حيث أن هذه المعلومات كان يمكن أن تنتزع منها بالقوة أو بالخديعة ٠٠ وما أن انتهت قصته حتى كانت عيناها قد اتسعتا من الدهشة وفغر فاها مرة أخرى ٠٠ قالت :

- أننى لا أكاد أصدق اذنى ٠٠ قنبلة ، وخارج منزلنا مباشرة ، بينما كنا نتناول العشاء ٠

لم يــدر هــذا الحديث كما هو مكتوب الان فقــد تخللته فترات توقف كانا يتذوقان فيها الطعــام والشراب وفترات أخرى كانا يضطران لقطع حديثهما حينما يأتى الجرسون لتغيير الاطبــاق ·

وبعــد فترة من هــذه الفترات قالت جينا :

ـ لقد فكرت ذات مرة فى طريقة احسم بها مــا اذا كان عمى اليساندرو وهــو عمى فعلا ولكن الشجاعة لم تواتنى طبعــا لتنفيذها ·

ـ اذا كان الامر لا تنقصه الا الشجاعة فاعتبرت انه قــد نفــد ، فالنــاس يتهموننى دائما بأننى جسور أكثر ممـــا يجب وانا على استعــداد لان أقــدم لــك بعضا من فائض جراتى ·· فماذا تريدين أن تفعلى ··

ـ ان الامر غاية فى البساطة · اذا كان عمى قـــد توفى وذلك الرجل نصاب فان العم الحقيقى سوف يكون مـدفونا فى مقابر العائلة ·· ومــا علينــــا الا ان نزوهــا ونلقى نظرة ··

وعقد تمبلار ما بين حاجبيه مفكرا ثــم قال :

ـ هل المسألة بهــذه البساطة ·· اليس الاكثر احتمالا ان يكونوا قــد دفنوه فى مكان آخر باسم آخر ··

ـ أوه ·· لا ·· اننى لا أتصور ان يذهبوا الى هـــذا الحــد · انك لا تعرف مــدى قـــوة التقاليد فى صـقلية ، وخصوصا مع عائلة قديمة كعائلتى ·· فحتى لو أن دونــا ماريا ولوزيو سمحــا لهـذا الاليسادرو ويستاميو بـــأن يتظاهر بأنه عمى ·· سواء من أجل المــال او لاى سـبب آخر ـ وهو ما لا يستطيعه دون مساعدتها ـ فلن يستطيــع ان يجعلهما يسمحان بــدفن عمى الحقيقى تحت اسم آخر

وخارج المقابر التى تضم رفات كل عائلة ديستاميو منذ ثلاثمائة سنة .

وفكر تمبلار قليلا فى الكلام وانتهى الى انه قابل للتصديق ، وتستطيع المافيا بلا شك أن ترضي النزعات الارثوذوكسية للاقارب عن طريق ارغام طبيب على اصدار شهادة الوفاة واحضار قسيس من عملاء المافيا لاقامة الصلاة على روح المتوفى سرا ..

كان هذا احتمالا .. وقرر تمبلار أن يستخدمه مدخلا لبحث جديد ، قال :

ـ هل تشتركين معى فى اقتحام مقابر العائلة .. أو على الاقل ترشديني اليها ثم توليني ظهرك ..

ـ بل سوف اذهب معك .

وانتهى الغداء اخيرا بحبات من ثمار المشمش الطازجة ، وبعدها طلبت جينا فنجانا من القهوة بينما فضل القديس ان يحتفظ فى فمه بطعم الفاكهة ..

وما هى الا فترة قصيرة حتى كانا فى طريقهما الى داخل البيرمو ، ثم انعطفا بالسيارة الى خارجها مرة أخرى ، تحت ارشادات جينا بينما كان القديس يسجل كل منعطف فى الطريق على خريطة عقله التى تستطيع أن تدله على طريق العودة بلا تردد متى أراد سواء كان الوقت نهارا أم ليلا .. وعندما اقتربت بهما السيارة من منطقة الجبانات اذا بجنازة تسد عليهم طريق التقدم ..

وأوقف القديس السيارة الى جانب طريق وقال :

ـ أظن انه من الافضل أن نسير من هنا ، بدلا من هذا التسكع خلف الجنازة ..

ونزلت جينا من السيارة ، وسارا فى أعقاب الجنازة ثم تخطياها ونفذا من بوابة الجبانة . وكان تمبلار يرقب

الابواب اثناء سيره • ولاحظ انــه لا توجـد اقفال على اى منهـــا •

وأشارت جينا بيـدها ثم قالت :

ـ أن مقابرنا هناك ••

كانت مقابر عائلة ديستاميو تحتـل ركنـا كبيرا بأسره ومبانيها من الجرانيت والرخام حتى انهـا بدت أقرب أنى المتحف منها الى المقابر •• وكان باب المدخل مصنوعا من قضبان من البرونز بحيث يصلح لان يكون بـابا لاحـــد السجون •• وخلف الباب شهـد تمبلار ممرا ضيقا يؤدى مباشرة الى مذبـح صغير يقع فى الطرف الاخر وخلفـــه نافذة تسمح بدخول شعاع من الضوء للمدافن • ولـــم يكن الممر فى الواقع سوى ساحة خالية بين صفوف المقـابر التى تراصت خلف بعضها •

قال القديس وقـد لاحظ كثرة المـدافن : يبـدو ان مقابركم قـد ازدحمت ويخيل الى انــه لم يعـد هنـاك مكان يكفى لاكثر من جيلين آخرين ••

وارتجفت جينــا برغم دفء الجو •• وكان القـــديس يــدرك انه برغم كل مــا كان يقرب بينهم فانه لا تزال هناك مسافات تفصل بينهما وربما لا يستطيعان اجتيازها ••

واولى تمبـلار اهتمامـــه للقفـل الموضوع فوق البــاب البرونزى ثـم سأل جينا :

ـ مع من مفتاح القفل ؟ •• دونا ماريا ؟ •

ـ اظن ذلك ولكنى لا اعرف آين تخفيـــه • ومع ذلـك استطيع ان أحاول العثور عليه ••

ـ أخشى ان يستغرق هــذا وقتــا طويلا ، ولكن لا عليـك من ذلك •• لقد رأيت القفل الان ، واعلم بالضبط مـا أنـا بحاجة اليــه لكى افتحه • ولسوء الحظ اننى أملـــك الان هـــذه الاداة فى جيبى •• وعلى اى الاحوال فان هــــذا

الوقت لا يبدو مناسبا للسطو على المقابر ٠٠ واشار الى موكب الجنازة ثم اكمل حديثه قائلا :

ـ دعينا نقطع الوقت فى العودة الى احد المحلات حيث استطيع ان اشترى ما احتاجه ٠

وبعد ان اشترى بغيته ، اقترح أن يأخذا حماما آخر ٠٠ كان الحذر يملى عليه ان يعود الى المقابر ليلا ، عندما تنتقى مخاطرة أن يلحظه أحد ، وفى هذه الاثناء كان يريد أن يصرف ذهن جينا عن التفكير فى الموضوع ٠٠ ولكن الشمس لم تكن قد آذنت بالمغيب عندما قالت جينا :

ـ اذا لم نذهب الى المقابر الان ، فسوف اكون مضطرة للعودة الى المنزل ٠

ـ انني لا أريد الذهاب قبل الظلام ٠٠ واعتقد أن بوسعنا أن نذهب الى مكان ما نتناول فيه عشاء خفيفا مبكرا ٠٠

وهزت راسها علامة على عدم الموافقة ثم قالت :

ـ انني لا استطيع تناول العشاء معك ٠٠ فاذا لم اعد الى المنزل قبل حلول الظلام فسوف تنفجر دونا ماريا ٠٠ ومن المؤكد أنها لن تسمح لى بالخروج مرة أخرى معك حتى ولو طلب اليها عمى ديستاميو ان تفعل ذلك ٠

وفكر تمبلار فى كلامها للحظة ٠٠ ورغم انه كان يريد ان يمضى وقتا أطول مع جينا الا أن رحلة الى المقابر لم تكن هى المناسبة التى يختارها لصحبتها وأخيرا قال :

ـ اظن انك على حق ٠٠ كما اننى أعلم انك لا تتوقين الى الاشتراك معى فى مغامرة كهذه ٠٠ ارتدى ملابسك وسوف نسرع بالعودة حتى لا نعطى لعمتك فرصة للثورة عليك ٠٠

ولزمت جينا بالصمت طوال رحلة العودة الى المنزل ،

ولكنها قالت بعد فترة :

ـ ماذا أقول لهم عنك ، وعما عرفته منك ٠٠

ـ قولى لهم كل مـا رويته لك اثناء الغداء ٠٠ ولكن لا تقولى لهم طبعا عن خطتنـا لاقتحام المقابر ٠٠

ـ ماذا اقول لهم اذن عن خططك المستقبلة ٠٠

ـ قولى لهم انك تستطيعى معرفة ذلك ٠٠ أخبريهـم اننى ألمحت الى أن لـدى خطة مثيرة ولكنى رفضت التحدث عنهـا ٠ نعم ، قولى لهم ذلك ٠٠ واخبريهم أيضـا أنـك تعتقدين بأنك ستصلين الى كل أسرارى لو أتيح لـك مزيد من الوقت للايقاع بى ، وأننـا اتفقنا على موعـد آخر فى الغـد لمزيـد من النزهة ٠٠

ووقفت السيارة أمـام باب المنزل ٠٠ ودار تمبلار حول السيارة ومـد لها يـده يساعدها على النزول ولكنـه احتفظ بيدها بين يـديه فترة أخرى بعـد أن انتهت الحاجـة الى ذلـك ٠٠

قالت جينا وعيناها السوداوان تتفرس فى وجهه كمـا لو كانت تحفظ قسماته قسمة قسمه ٠

ـ الى اللقاء فى الغـد اذن ٠٠

ولكنـه عنـدما انحى ليقبلها زاغت منـه بمهارة وخلصت يـدها من يديه بسرعة ٠٠ ثم اسرعت تـدخل من الباب حيث استدارت لتلقى اليـه بابتسامتها المـاكرة قبل أن تختفى داخلـه ٠٠

ظلت صورة جينا تطوف بخياله اثناء العشاء الـذى تناوله بمفرده وهو يتوق الى الغـد الذى سيلقاها فيه ٠٠ ولكنه استبعدها من ذهنـه عنـدما قرر أن الوقت قـد حان للقيـام بمهمته ٠٠

وقاد سيارته حتى تخطى مدخل الجبانة وانعطف بهـا فى أول منعطف قبل أن يوقفهـا ويترجل منها عائـدا فى

صمت على قــدميه ‥ وظهر القمر مكتملا فى صــــفحة السماء يلقى بأضوائه على المنطقة ورغم أن ضوء القمر كان يعرضه للانكشاف الا أنــــه فى نفس الوقت كان يعرض اى شـــخص آخر يمكن ان يكون متربصـــا بــه لنفس الخطورة ‥ ومع ذلك ، فلم تكن هنـاك اية علامة تـدل على الحياة وكان الصوت الوحيد هو صوت أوراق الشـــجر وهى تتمايـل مع النسيم ٠

كانت الابواب الحديدية للجبانة مغلقة بـدون اقفال كمـا توقع ، وعندما فتحها لم يصدر عنها سوى صرير خافت ، وعندما عبرها الى مقابر ديستاميو كان يتفحص الظـلال المحيطة بالمكان بأعين القطة حتى وصل الى باب مقـــابر ديستاميو واخـذ يعالج قفلها ‥ ولم تمض ثلاث دقائـق حتى كان القفل يلين تحت يديه الخبيرتين ، وبنظرة حـذرة أخيرة دخل الى الممر القائم بين صفوف المقابر ، وهنـــا كان عليه للمرة الاولى ان يستعين ببطاريته الصغيرة لـكى يستطيع فك الرموز المنقوشة على شواهـد القبور ٠

ثم كانت لحظة من الالـم الشديد فى مؤخرة راســـه وغشى الظلام عينيه وغاب عن الوعى ٠

ـ ٣ ـ

وانقضى وقت طويل ‥ طويل قبل ان يـدرك تمبلار ان صوت الطبول كان فى راسه هو ، وان كل ضربة مـــن ضرباتها كان يصحبها الم عنيف وممض ٠ وناضل الالـم بوعيه الى ان تمكن بعد معركة هائلة من ان يخضـــعه بالقدر الذى يسمح له باستقبال انطباعات اخرى ‥

كان وجهه ملتصقا بشىء خشن ومترب تنبعث منــــه

رائحة الماعز ، وعندما حاول ان يحرك راسه ويغير وضعه أدرك ان يديه موثقتين خلف ظهره •
كان من الواضح انه ضرب على مؤخرة راسه •• وأخذ يستعيد فى ذهنه صور الاحداث كما مرت به حتى ادرك بعد فوات الوقت انه قد خدع بذلك القفل الذى كان موضوعا على الباب البرونزى لمقابر دبستاميو الامر الذى أعماه عن امكانية ان يكون شخص آخر قد وصل قبله وأغلق الباب مرة أخرى من الداخل •• شخص رقد فى ذلك الظلام الدامس فوق أحد القبور واخذ ينتظره بفارغ صبر حتى سار فى الممر الواقع بين القبور •
وجال بذهنه ذلك السؤال : كيف يمكن أن يعد هذا الكمين بذلك التوقع الدقيق لوصوله •
وفتح باب بالقرب منه وسمع وقع خطوات ثقيلة توقفت بجواره •• ولم ير تمبلار شخص الواقف بجواره ولكنه قال مستنتجا :
آل •• اذا كرنت تريد رؤيتى بمثل هذا الالحاح •• فلماذا لم ترسل لى دعوة عادية ••
وصدر صوت مكتوم عن الشخص الاخر اكد استنتاج القديس •
وبذل تمبلار مجهودا جبارا لكى يتحرك ، لان كل حركة منه كانت تسبب له صداعا مؤلما بيد أنه ارغم نفسه على الاستداره حتى يخرج من البطانية القذرة التى كان يرقد عليها •• ولم يكن فى المنظر الذى رآه ما يكاد يستحق الالم ••• كان فى حجرة صغيرة يضيئها مصباح كهربائى واحد لها باب واحد ونافذة واحدة تغطيها ستارة قذرة • ولم يكن هناك أثاث فى الحجرة الا تلك الاريكة التى كان ممددا عليها •• وكان جزء من الحجرة متحجبا عنه خلف جسم آل ديستاميو الذى وقف فوق رأسه يرقبه وكأنه جبل هلامى من التهديد والوعيد ••

وزمجر الجبل قائلا ، لاتضيع وقتك فى النكات ٠٠ ما عليك الا أن تخبرنى بما أريد معرفته ، فربما وفر عليك ذلك كثير من الالام ٠

ولف تمبلار جسمه حتى استطاع الجلوس وقد اسند ظهره الى الحائط ، بيد أن حبات العرق التى تجمعت على جبهته أوضحت مدى الجهد الذى بذله فى هذه الحركة ولم ير ديستاميو شيئا سوى ابتسامة ساخرة ، فعصف الغضب به وبأن ذلك فى صوته وهو يقول :

ـ هل ستتكلم أم تسبب المتاعب لنفسك ٠٠

ـ اننى احب الكلام يا آل ولم يسبق ان اتهمنى احد بأننى صموت ٠ فما الذى تريد الدردشة حوله ٠٠ أم ترى يجب على ان ابداك بالتهنئة على الطريقة التى اتيت بى بها الى هنا٠٠ لقد انقضت عدة سنوات على آخر حادثة وقعت لى بهذا الشكل ولكن اخفاء رجلك داخل المقابر واغلاق الباب عليه من الخارج كان ولاشك ضربة معلم ٠ يجب ان اتذكر هذا العمل ٠

ـ لسوف يكون من حسن حظك ان تعيش لتتذكر شيئا على الاطلاق ٠

ـ حسنا ، لقد كنت دائما حسن الحظ يا آل ٠٠ واذا لم يكن المرء على نفس ذكائك فلابد ان يكون حسن الحظ ٠

وانحبست باقى الكلمات فى حلق القديس حينما لطمه ديستاميو بظهر يده فجعله يتأرجح وقد سال الدم من جرح فى وجهه سببه له خاتم ديستاميو ٠

ـ لا أريد نكاتا يا تمبلار فاذا كنت ذكيا اجب فقط على أسئلتى وسهل الامر على نفسك ٠

وهز القديس رأسه محاولا ايقاف الصداع الحاد الذى سببته لطمة ديستاميو ، ثم قال بلهجة هادئة ٠

ـ ولكننى أعنى ما أقول حقا ٠٠ لقد كان استنتاجا بارعا منك أن تعرف ان خطوتى التالية ستكون مراجعة

الاسماء الموجودة على قبور افراد عائلتك ، أم ترى اخبرتك جينا بذلك ..
- وهل كانت تعرف ذلك ..
وود القديس لو انه قطع لسانه .. فاذا كانت جينا لم تكشف سره فقد كشف هو سرها وحاول أن يدارى غلطته فقال :
- لم اقصد ذلك بالطبع ، كل ما قصدت أن اسألك اياه ، هل فكرت فى ذلك بمفردك أم ساعدتك هى عليه ... انها من الذكاء بحيث تستطيع ان تفعل ذلك نظرا للطريقة التى كانت تحاول بها أن تستدرجنى طوال اليوم .. ولكنى لم اخبرها لاننى لست مغفلا الى الحد الذى يجعلنى اغفل عما كانت تسعى اليه .
وتفرس ديستاميو فى وجهه بدقة ثم قال مغيرا مجرى الحديث :
- اننى اريد أن اعرف كثيرا من الامور النى لم تبح بها لها .. ماذا كنت تنوى ان تقول لرجال البوليس عندما اعتقدت اننى كنت انوى التخلص منك .. وكيف ستفعل ذلك الان ..
واجابه القديس ، هذا امر سهل للغاية .. لقد دونت كل شىء ووضعته فى مظروف مغلق سوف يسلم للجهة المعنية حالما لا تصل الى الشخص المنوط به هذا العمل اخبارى فى أوقات منتظمة معينة .. وأنا اعلم أن هذه احدى الحيل القديمة ولكنها لا زالت صالحة .. ولا تتصور انك سترغمنى على الاتصال بهذا الشخص لا قول له اننى بخير لاننى اذا لم استخدم فى حديثى معه الشفرة المتفق عليها بيننا فسوف يعرف على الفور ان هناك من يرغمنى على التحدث اليه ..
وقال ديستاميو ببرود :
- اعتقد انك تحاول خداعى ، ومع ذلك فهذا لا يهمنى

فى شىء ٠٠ فقبل أن انتهى منك ستكون قد أخبرتنى بمن هو ذلك الشخص ، وبالشفرة المتفق عليها بينكما ٠
- هل تعتقد ذلك ٠٠
وواجه ديستامو نظرة تمبلار الحاد لبضع لحظات ثم خرج من فمه صوت أشبه بصوت البركان وهو يقول له :
- لا تحاول ايهامى بأنك شجاع ٠٠ لقد شاهدت عشرات ممن هم اشجع منك ، ولم يصمد منهم أحد ٠٠ ومع ذلك فلسنا مضطرين الان لاستخدام هذه الطريقه معك ٠٠ ان لدينا اساليب علمية لفك عقدة لسانك ، بل والاكثر من ذلك اننا سنعرف ان كنت تقول الصدق أم لا ٠٠ وهكذا فطالما اننى لست مضطرا لان ابذل وعودا لا أنوى الوفاء بها ، فبوسعى ان أقول لك اننا سنعطيك حقنة صغيرة فى ذراعك ، وبعد ان تبوح لنا بكل مالديك سوف أمزق رأسك بالرصاص بنفسى ٠٠
وذهب الى الباب ونادى قائلا : ادخل يا دكتور ٠٠
وأحس القديس بضربات قلبه تتسارع ٠٠ ففى ظل تقدم العلم لم تعد هناك ثمة حاجة لادوات التعذيب التى شاع استخدامها فى غرف التعذيب فى العصور الوسطى ، ولا حتى للادوات الكهربائية الحديثة ٠٠ فقد غدت هناك عقاقير تدفع المرء ، اذا ما حقنت فى الوريد ، الى البوح باثمن ما يحتفظ به من أسرار ٠٠ حتى تمبلار بكل شجاعته وتصميمه ، لا يستطيع ان يقاوم تأثير هذا العقار الجهنمى ٠٠ وما ان يبوح بالحقيقة ، ولا شىء غير الحقيقة ، فله الله ٠٠
كان الرجل الذى دخل الحجرة ممتلئا ربعة القوام ، وان لم يكن فى جسم ديستامبو ٠٠ وكان صغر سنا منه ، حليق الذقن ذا يدين ناعمتين متوردتين ٠٠ وكان يرتدى حلة زرقاء داكنة وحذاء اسود لامعا ٠٠ وعلى وجهه كان يرتسم تعبير هادىء رزين ٠

ـ ورد القديس : اننى هو المريض اذا كنت تنوى ان تصف لى علاجا لما اعانيه من صداع ٠٠ اما اذا كنت قد اجرت نفسك لشىء آخر ٠٠ فقد وهبت نفسك للشيطان ٠

ولم يتغير التعبير المرتسم على وجه الطبيب وهو يضع حتيبته على الارض ويفتحها ٠٠ ثم سأل تمبلار بنفس هدوئه المعتاد :

ـ هل تعانى من حساسية ما ٠٠ ان بنتوثال الصوديوم يحدث بعض التأثيرات الجانبية فى بعض الاحيان وكذلك يفعل انسكوبولامين ٠٠ يصعب على المرء فى بعض الاحيان ان يقرر ايهما يفضل ٠٠

وقال القديس : اننى لا أعانى من حساسية الا ضد مدعى الطب ٠٠ بيد اننى لا أريد اظلمك فربما كنت ممتازا مع الخيول ٠٠

وزمجر ديستاميو وقد صبه : خلصنا يا دكتور ٠

ولم يبد على الطبيب انه تأثر بكلام أى منهما ٠٠ فمنتهى الهدوء اخرج زجاجة تحتوى على سائل شفاف وملا الحقنة وحرص على ان يطرد منها فقاعات الهواء ـ وهو اجراء بدا غريبا على ضوء ما كان ديستاميو يعتزمه ٠٠

كان تمبلار فى هذه الاثناء يلوى رسغيه وراء ظهره ، ليختبر الرباط الذى كان يقيدهما وكان الرسغان مربوطان بقطعة من الحبل الناعم الضعيف ، وكان بالرباط طون سمح تمبلار بأن يحرك ذراعيه فى اتجاهات مختلفة ٠٠٠ يعرفها كل خبير بهذه الامور ، محاولا تخليصهما ٠٠ وكان يعلم انه يستطيع تخليص يديه فى آخر الامر ٠٠ ولكنه كان يحتاج لبضع دقائق ٠٠ ولم تكن قدما تمبلار مقيدتين المسافة بينه وبين الطبيب ويعد نفسه لضربه بقدميه فى بطنه ٠٠ لقد كان تمبلار فى أمس الحاجة لبعض الوقت

٠٠وكان عليه ان يكسب هذا الوقت باى طريقة ٠٠

وجاءه الوقت من السماء ، عن طريق رجل لم يكن يبدو عليه باى حال من الاحوال انه مبعوث العناية الالهية - فتح الباب فى نفس تلك اللحظة وخاطب ديستامو بلهجة لم يفهمها القديس ورغم ذلك فقد كان لكلمات الرجل تاثير مباشر عند ديستامبو اذ سرعان ما استدار وهو يصخب ويلعن ثم اتجه الى الباب قائلا :

- انتظرنى حتى اعود ٠

واخذ تمبلار يرقب الطبيب وهو يعيد الحقنة الى حقيبته ويتجه الى النافذة ويزيح ستائرها القذرة ويتطلع ببصره الى الفضاء ٠ واعطى عدم وجود قضبان على النافذة دفعة جديد من الامل لتمبلار وخلف ظهره كان ذراعاه يتمددان وينكمشان بسرعه يائسة ولكنها منظمة وهو يفعل كل ما بوسعه لكى يكسب من هذه المهلة التى ارسلتها له السماء وفى نفس الوقت يتجنب كل ما من شأنه أن يسترعى اليه الانظار ٠

- فيما هذا الاضطراب يا دكتور ٠

وجه تمبلار هذا السؤال تغطية للاصوات التى كانت تصدر عن حركاته اكثر منه انتظارا لاى اجابة ٠

واجاب الطبيب ، وقد اولى تمبلار ظهره واخذ يستنشق الهواء من النافذة المفتوحة :

- انه الدون باسكوال ٠٠ انه عجوز جدا ومريض جدا ٠٠ ويوجد هنا طبيبان آخران بخلاف لكى نثبت ان العلم يستطيع ان يجعل كبر السن اكثر راحة ولكنه لا يستطيع التغلب عليه ٠

- ارجو ان تعذر جهلى ٠٠ ولكن من هو الدون باسكوال هذا ٠٠ ولماذا يحاط بكل هذه الرعاية ٠٠

واستدار الطبيب ونظر اليه باستغراب ٠

- إن جهلك مذهل حقا ، بالنسبة لرجل يملك من المعلومات ما يبدو ان المافيا بحاجة ماسة اليها . ان الدون باسكوال هم زعيم المنظمة ، وعندما يموت فسيكون عليهم ان ينتخبوا زعيما جديدا . لهذا يجتمع الزعماء كلهم هنا .

وحاول تمبلار الا يصفح وجهه عن اى علامة تدل على المجهود الذى يبذله بينما ظلت عضلاته تعمل كأنها أسلاك من الصلب . قال :

- واعتقد ان صديقى البدين يود لو ان اصبح الدون اليساندور .

- لاشك فى انهم سيختارونه فقد ظل غائبا عن البلاد مدة طويلة .. ونحن هنا فى الجنوب نميل الى النزعة الاقليمية ، ونتشكك فى كل ما هو اجنبى .

- ومع ذلك فان هذا لم يمنعكم من ارسال مبشريكم من أعضاء المافيا الى اجزاء أخرى من العالم كالولايات المتحدة .. اننى اعتقد ان المنظمة سترحب بزعيم جديد ذى خبرة دولية .

وهز الطبيب كتفيه بقلة اكتراث .. اما لانه كان اكثر ذكاء من ان يجر الى مزيد من المناقشة ، او لانه لم يكن مهتما باى شيء يقترحه تمبلار .. وظل يحملق فى تمبلار شارد الذهن بينما ظل تمبلار يعصر ذهنه بحثا عن موضوع آخر يصرف انتباه الطبيب عن الحركات التى كان عليه ان يقوم بها .

ثم .. التفت كلاهما الى الباب الذى فتح مرة أخرى .. وكان الرسول الذى جاء يستدعى ديستاميو هو الذى ظهر هذه المرة أيضا .

وقال لتمبلار بلغة ايطالية مفهومة ، انت .. تعال معى .

واعترض الطبيب قائلا : ان السنيور ديستاميو يريده هنا للعلاج الطبى :

وقال الرجل باقتضاب : بوسع الطب أن ينتظر ٠٠ ان الدون باسكوال هو الذى يستدعيه .

- ٤ -

وعند هذا الحد عاد الطبيب الى انطوائه من جديد بينما جذب الرجل تمبلار من يديه لينهضه ٠٠ وانصاع تمبلار من جانبه للاوامر الجديدة ، ليس فقط لانه لم يكن يستطيع مقاومتها ، بل وايضا لكى يتجنب ان يقوم الرجل بالتأكيد من الحبل الذى كان يقيد معصمى القديس ٠

كان الحبل قد بدأ يتهاوى ولكن تمبلار كان يحتاج الى بضع دقائق أخرى لكى يحرر يديه وكان عليه أن يكسب ذلك الوقت بأى ثمن ٠

وسارا عبر ممر طويل تقع على جانبيه ابواب مغلقة . ثم ارتقيا بضع درجات أوصلتهما الى مطبخ كبير عبراه الى ممر قصير آخر أدى بهما الى قاعة فسيحة ازدحمت بالنقوش ٠ وادرك القديس عندئذ ان الزنزانة التى كان فيها ما هى الا غرفة مخزن فى بدروم ذلك القصر المنيف ٠ وكان هناك عديد من الناس كلهم ارتسمت على وجوههم جميعا تعبيرات يشيع فيها التحدى والعداء ٠ ولم يكن القديس يحتاج الى دليل آخر لكى يعرف أنه قد نفذ الى قلب معسكر الاعداء ، وان كان قد نفذ بطريقة غير تلك التى كان يرجوها لنفسه ٠

ودفع به الرسول الى درج يقع فى وسط القاعة فارتقياه حتى وصلا الى قاعة أخرى ، ثم ادخل من بابين من البلوط السميك حيث وجد تمبلار نفسه فى قاعة انتظار ٠٠ وفى هذه القاعة كان هناك باب آخر مغلق .

تقدم منه المرشد وطرقه ٠٠ ولم يسمع تمبلار اجابة من الداخل ، ولكن يبدو ان الرجل لم يكن ينتظر اجابة ما . فقد ادار مقبض الباب بهدوء ثم فتحه ٠ وبقى الرجل خارج الحجرة ولكنه دفع تمبلار دفعة أخيرة ارسلته الى داخلها ٠

ووجد تمبلار نفسه فى حجرة للنوم فاخرة الاثاث بما يتناسب مع فخامة باقى حجرات القصر ٠٠ وكانت نوافذ الحجرة مغلقة ٠٠ والى جانب السرير كانت توجد مائدة صفت عليها زجاجات الدواء ٠٠ وحولها كان يحوم رجلان بدا عليهما انهما طبيبان ٠

وحول السرير تجمع نفر آخر من الرجال الاكبر سنا والذين كانت تبدو عليهم سيماء الاهمية بالرغم من توقيرهم الواضح لشخص الراقد على السرير ٠٠ كانوا اربعة تتراوح اعمارهم بين أواخر الخمسينات وما فوقها ٠٠ وكان أكبرهم سنا هو آل ديستاميو ٠٠ وكان هناك رجل ممتلىء ناعم الوجه يضع على عينيه نظارات وتبدو عليه هيأة مديرى الاعمال ٠٠ وآخر ذو عينين تشيع فيهما القسوة وله جسم مصارع وشارب كث يضفى عليه طابع العسكريين ٠٠ أما أصغرهم فكان رجلا طويلا ممشوق القوام ولكنه كان يتميز بأنف كبير يحسده عليه الجنرال ديجول أو سيرانو دى برجراك ٠

كانت هذه هى الحلقة الداخلية ٠٠ هيأة القيادة وقد اجتمعت حول فراش الموت لزعيمهم ٠٠ يظهرون له الولاء ويتنافسون فيما بينهم على من يخلفه ٠

والتفت الجميع فى وقت واحد عندما دخل تمبلار عليهم كأنما هم مربوطون بسلك يدير رؤوسهم فى نفس الوقت وتركوا ممرا مفتوحا الى السرير ٠

كان الرجل الراقد على السرير عملاقا عندما كان فى

عنفوان قوته ·· ولكن مرضا خبيثا كان قد استبد به فأحاله حطاما يوشك على مفارقة الحياة ·· وكانت علامات التحلل بادية عليه ·· فقد ترهل جلد رقبته وظهرت علامات سوداء تحت عينيه الغائرتين ·· ومع ذلك ، ورغم ما كان يعانيه من مرض ، الا ن عادة القيادة لم تكن قد فارقته ·· وفى عينيه كان يلتمع بريق لا يظهر الا فى عيون المجانين او الشهداء ·· وكان صوته ، رغم ضعفه ، آمرا ··

ـ تعالى هنا ·

قالها الرجل المريض لا بلهجة الطلب ، أو حتى الامر . وانما بلهجة الواثق من أن كلامه سينفذ ·· لابد ان هذه هى الطريقة التى كان يتكلم بها الحكام المطلقون فى الماضى ·· أولئك الذين كانوا يملكون حق الحياة والموت على رعاياهم ·· وكان الدون باسكوال واحدا من آخر ورثة ذلك النوع من السلطة ·

وتحرك القديس متجها الى الفراش ، كما امر ، وانما بطريقة متأنية جعلت الامر يبدو كما لو كانت يداه موضوعتان خلف ظهره بمحض اختياره وليستا مقيدتان ، وقد تلاعبت على شفتيه ابتسامة ساخرة ·· وقال بلهجة مشرقة كما لو كان صديقا يخاطب صديقه :

ـ كيف حالك يا باسكوال ·

واحس القديس بالدهشة البالغة التى ارتسمت على وجوه الزعماء الملتفين حول الفراش ، ولكن الرجل المريض لم يبد عليه أنه لاحظ ما فى لهجته من رفع للكلفة ، ربما لانه لم يصدق تماما انه سمع كلماته ، أو ربما لان سلطته المؤكدة جعلت هذه اللهجة لا تعنى شيئا بالنسبة له ··

ـ اذن فأنت من يسمونك تمبلار · لقد سببت لنا المتاعب قبل ذلك ·

- يسرنى ان اكون قد اثرت لكم من المتاعب ما يكفى ٠٠ ولكننى لا اذكر المناسبة ٠٠ فلماذا كنت تفعل فى ذلك الوقت ٠

- لقد افسدت بعض خطط اونسيلو ، وكان واحدا منا ٠٠ وكان لنا رجل مفيد فى بوليس روما ، هو المفتش بونو ولكننا فقدناه بسببك ٠

وقال القديس الان تذكرت ٠٠ ان لى ولعا بكشف رجال البوليس الفاسدين وماذا حدث للمسكين ٠

- لقد القى به فى السجن حيث اشتبك فى عراك دموى مات على اثره ٠

كان دون باسكوال لا يزال يتمتع بذاكرة جبارة ٠٠ فعنده كانت تتجمع كل خيوط شبكة الجرائم العاتية التى غطت جميع انحاء العالم ، وكان هو يسيطر على كل الخيوط لانه كان يعرف بالضبط طول كل خيط منها وقوة احتماله لقد انقضت عشر سنوات او يزيد على هذه الواقعة فى روما ، ولكنه لم يكن قد نسى أصغر تفصيلاتها ٠

- ماذا فعل تمبلار الان يا اليساندرو ٠

وقال ديستاميو : انه يحاول اثارة المشاكل بالنسبة لى ٠٠ لقد تعقبنى ، وتجسس على ، وذهب الى عائلتى واستجوبهم ٠٠ وهددنى بابتزاز اموالى ، ولابد لى من ان أعرف ما يعرفه ، ومن غيره يعرفه ، ثم اتخلص منه ٠

- ليحدث هذا ٠٠ ولكن لماذا اتيت به الى هنا ٠٠

- لاعتقادى بانه أكثر الاماكن امنا ٠٠ بالاضافة الى أننى لم أكن أريد التغيب فى وقت كهذا ٠

- اى معلومات تلك التى يمكن ان تكون لدى تمبلار ليستطيع ان يهدد بها اليساندرو ٠

لم تصدر هذه الجملة الاخيرة عن باسكوال وانما

صدرت عن ذلك الرجل صاحب الانف الكبير والـذى تـدر تمبلار منـذ البـداية انه اكثر أعضاء المجلس حيوية .
وأجاب ديستاميو بصوت أجش :
ـ لا شيء على الاطلاق يا سيرانو .. ولكنى اريـد ان أعرف لمـاذا يعتقـد هـو انه يستطيع ان يسبب لى المشاكل ومن الذين يعملون معه ، حتى استطيع ان أرتب أمورى .
ـ اذا لم يكن يستطيع ان يمثـل خطرا عليك ، فلمـاذا تخشاه يـا اليساندرو .. ثم مافى هـذه الامور التى تريـد ان ترتبهـا .
وقبـل ان يرد ديستاميو ، صاح دون باسكوال مقاطعـا
ـ اسكتوا .. بوسعكم ان تتشاجروا معـا بعـد وفاتى .. وحتى يحـدث ذلك فأنـا الـذى اتخذ القرارات .
لم تكد شفتاه تتحركان عندما كان يتحدث .. كما لـم تبـد على وجهه أيـة علامة من علامات الانفعـال .. عيناه فقط هما اللتـان كانتان تشعان بالحياة وقـد تسمرتا على وجـه القديس مرة أخرى .. وقال بلغة ايطالية سليمة .
ـ لقـد كنت اتطلع منـذ مـدة طويلة الى مقابلتـك يا تمبلار .. ولم يحدث ان عاش شخص يتحدى المـافيا مثل تلك المـدة الطويلة التى عشتهـا أنت .. لقـد كان من الواجب القضـاء عليـك قبل ان تغـادر روما بعـد ان اعترضت طريق أونسيلو .. ومـع ذلـك فهائنتذا تعترض طريقنا مرة أخرى ... ولقـد كان بوسعى أن آمـر اليسانـدرو بألا يضيع مزيدا من الوقت معك وان يتخلص منـك فورا .. ولكننى فى الوقت نفسه سمعت وعلمت عنـك الكثير .. وانا لست متأكدا من ان لديك من الاسباب مـا يجعلك بالضرورة عـدوا لنا .. فبقوتنـا وراءك . كان بامكانك ان تكون أغنى عشرات عشرات المرات ممـا أنت .. وبذكائك وجرأتك كانت جماعتنا ستزداد عظمة .
وخيم على الغرفة سكون مطبق .. فحتى فى نهـاية

حكمه ظل دون باسكوال الحاكم المطلق قوة الارادة والتقاليد وسأل القديس ببطء :

- هل تعنى انك برغم كل ما حدث ·· تعرض على الانضمام اليكم ·

- أليس هذا مستحيلا ، فمثل هذه الامور تحدث فى العالم ·· حتى الدول العظمى التى كانت تعادى بعضها عداء مريرا تعود فتتحالف ·

وتردد القديس للحظة بينما مرت بخاطره عشرات الاحتمالات وكأنها ومضات من البرق ، وأخذ يفكر بسرعة فيما يمكن أن يستفيده من هذا العرض الغريب ·

وقبل أن يصوغ ردا على هذا الكلام عاد دون باسكوال يقول :

- ولكن لا ·· انك تفكر فقط فى كيفية الاستفادة من عرضى لكى تهرب من الوضع الذى تجد نفسك فيه الان ·· أردت أن أراك لكى أحصل على اجابتك بنفسى ·· لقد انتهت المقابلة ·

وقبض آل ديستاميو على ذراع تمبلار واقتاده الى الباب بحماس غير عادى · وعند هذا تكلم دون باسكوال مرة أخرى ·· قال :

- انظر هنا لحظة يا اليساندرو ·

ودفع اليساندرو تمبلار دفعة ارسلته يتعثر حتى اصطدم بالمرشد الذى كان ينتظر فى الخارج وقال له :

- عد به الى أسفل واغلق عليه الباب ·

واغلق الباب السميك ، وقبض المرشد على ذراع تمبلار وظل يدفعه أمامه فى نفس الطريق الذى سلكاه من قبل ·· وكان يدفعه بقوة تطلبت ان يستخدم القديس كل مهارته لكى لا يسقط على وجهه ·· وتحت ستار من المقاومة الطبيعية لهذه المعاملة القاسية استطاع

القديس ان يضارع بقوة اكبر وتركيز اعظم من الحبل الذى كان يقيد معصميه .
واخيرا وصل القديس وحارسه الى الزنزانة الصغيرة وانصفق الباب خلفه وادير المفتاح فى قفله .
ومرة اخرى كان القديس بمفرده ، فقد انصرف الطبيب ولكنه كان يعلم ان وحدته لن تطول .. فمهما كان الامر الذى كان من اجله استبقى دون باسكوال اليساندرو فلن يطول ذلك وعندئذ سوف يعود ديستاميو بسرعة اكبر لاتمام مشروعه .
ولم تمض ثلاث دقائق اخرى حتى كان القديس قد خلص احدى يديه .. واندفع نحو النافذة .
لم يكن القديس حتى ذلك الوقت يعرف كم من الوقت قضاه غائبا من الوعى بعد ان ضرب فى المدافن . ولم يكن قد استطاع ان ينظر الى ساعته ومعصماه مقيدان وراء ظهره .. اما الان .. وقد اولى المصباح ظهره ، فقد راى ان السماء لم تعد معتمة وانما اصبحت رمادية وقد اضاءتها خيوط الفجر الاولى . وكان هذا الضوء الواهن كافيا لان يوضح له لماذا لم يكن آسروه مهتمين بأن يضعوه فى غرفة لا توجد قضبان على نافذتها .
كان القصر مقاما على حافة هوة . وكانت النافذة التى يطلل منها منحوتة فى حائط املس لا توجد فيه فتحات اخرى لمدى خمسة عشر قدما على ان من الجانبين أو فوقها . والى اسفل ، كان الجدار يغوص فى الصخرة الراسية التى كانت بمثابة اساس له .

الفصـــل الخامس

كانت جاكتة تمبلار قـد نزعت عنه ، بينما افرغت جيوب بنطلونه من كل مـا فيهـا عـدا حفنة من قطع النقد الصغيرة تركت له احتقارا لشانها ، واخرج القـــديس قطعة من ذات الخمسة ليرات من جيبه وسـقطها على طول ذراعـــه من النافذة فاختفت ولكنه لم يستطيع ، رغم اصاخته السمع ، ان يسمع صوت ارتطامها بالقاع • ومهما يكن مـا تحـت النافذة فقـد اتضح انها شـديدة العلو •

ولـم يكن الباب يمثل بديلا فقـد كان مصنوعا من خشب سميك تحيط بـه قضبان من الحديد •• وبينمـا كان من السهل عليه ان يفتح القفـل لو انــــه كان يملك الادوات اللازمة لذلك ، ، فلم يكن يملك شيئا منها كذلك لم يــكن بالحجرة شيء يستطيع استخدامه • وهكذا بدت له النافذة طريقا محفوفا باشد المخاطر ولكنه كان الطريق الوحيد الممكن اذا اراد ان يغادر هـذا المكان •• وكان بقاؤه فيــه يعنى موتا اكيـدا •

ودون ان يضيع تمبلار دقيقة اخرى نزع البطـــانية من فوق الكنبة التى كان يرقـد عليها وبدأ يقطعها الى شرائـط أخـذ يربطها ببعض حتى صنع منها حبلا طوله حـــوالى ثلاثين قدما •• كان قـد قرأ كثيرا عن هذه الطريقة ولكنــه لم تتح له فرصة تجربتها عمليا •• ولم تكن هناك طريقــة لـكى يختبر الحبل مقـدما الا بأن يجذبه بين يديه• • وهكذا لـم تمض عشر دقائق على عودته الى الغرفة حتى كان قـد ربط احـد طرف الحبل الى النافذة ثم جلس الى حافتهـــا وقـد تدلت ساقاه فى الفضاء واخـذ يدرس الموقف بقـدر امكانه •• ورغم ان تفاصيل الفضاء تحته كانت لا تـزال خافية بفضل ضباب الصباح ، الا ان النـــور كان ينتشر بسرعـة فى صفحة السماء •

كانت الصخرة المقام عليها المنزل تكون جزءا من احد جانبي واد ضيق · والى اليسار استطاع ان يتبين شريطا رفيعا متعرجا والى اليمين رأى طريقا يؤدى الى البحر ·· وفى هذا الاتجاه قرر ان يهرب · لم يكن لديه أدنى فكرة عن موقع مكانه على الخريطة ، ولكنه كان يعرف ان قلب صقلية يتكون من سلاسل من الجبال وان الطرق الرئيسية كانت تسير بمحاذاة ساحل تلك الجزيرة المثلثة الاضلاع لكى تربط المدن الكبرى التى تقع كلها على الساحل ·

ومن وراء الباب سمع وقع خطوات وصوت دوران المفتاح فى قفل الباب ·· فاذا كان سيهرب فان هذه هى آخر فرصة لديه لكى يفعل ·· وبسرعة دلى نفسه من النافذة وأخذ ينزل على الحبل ·· ينقل يدا بعد أخرى محاولا جهده ان يخفف ثقله عن الحبل بأقصى ما يستطيع متفاديا أى حركة مفاجئة قد تؤدى بحياته اذا انقطع الحبل ·

ووصل تمبلار الى نهاية الحبل ·· ولم يكن أمامه خيار الا أن يقامر مقامرة أخيرة ففتح يديه وترك نفسه يسقط ·· وهبط الى الارض على أصابع قدمية، وقد ثنى ركبتيه لكى يهىء لنفسه هبوطا مأمونا ·

كان أقرب اركان المنزل اليه لا يقل بعدا عن عشرين قدما على الاقل ، وبدأ يسير بحذر فى هذا الاتجاه وفجأة ظهر رأس آخر من وراء المنعطف الذى كان تمبلار يشق طريقه المحفوف بالمخاطر نحوه · ولكن القديس تمالك أعصابه بسرعة وابتدر الرجل بقوله :

– صباح الخير ، هل هذا هو الطريق الى الحمام ·

وفغر الرجل الآخر فاه بدهشة فكشف عن صف من الاسنان الذهبية وقال :

– ماذا تفعل هنا ··

ـ حسنا ٠٠ لقــــد صلتنا بعض الشكاوى حــول اساسات هــذه القلعة ٠٠ ونحن لا نريد أن تسرع الاقــدار بوفاة دون بسكوال عن طريق انهيار الغرفة التى يرقــد فيهــا ٠٠ وهكذا استدعيت لفحص الاساسات فهل يبــدو هــذا كلاما معقولا بالنسبة لك ٠٠

كان القــديس يقول هــذا الكلام بينما هبط برفق عــلى احــدى ركبتيه وترك ساقه الاخرى تنزلق من فوق حــافة الصـــخرة ، واخــذ يبحث باصـــابع قدميه عن موطىء لقدمه ٠٠ ولم ينتظر تمبلار ان يسمع رأى الرجل الــذى بدأ مخدرا ينظر اليــه فى بلادة وذهول بينما تمبلار فى هــذا الوقت يهبط من فوق الصخرة حتى لم يعد ظاهرا منــه ســوى ذقنــه ٠

وسرعان ما وصــل رجل يحمل فى يــده بندقية ودفــع الرجل الاخر جانبــا بينما اتخــذ هــو وضع الاستعداد وصــاح بأعلى صوته مناديا القديس :

ـ ارجع ٠٠

ـ اسف ، ولكن النقابة التى انتمى اليها لا تسمح لى الا بالنزول ٠٠ ولكى تجعلنى اصعد يجب أن ترسل لى مصــعدا ٠

واخيرا وبعد طول معاناة احس القــديس بشيء يلمس كتفه وسرعان مــا تبين انــه فرع شجرة ٠٠ وبسرعة امسك تمبلار بالفرع وتأرجح به حتى وصل الى الارض ٠ ومــا ان لامست قدماه الارض حتى اطلق ساقيه للريح ٠

ومن اعلى ٠٠ فوق الصخرة سمع صوت محرك سيارة يــدار ٠٠ لقــد أدرك أحدهم فى النهاية أنه من الافضل قطع طريق الهرب عليه بــدلا من محاولة منعه اصلا ٠

وضــاعف تمبــلار سرعتــه واخـــذ يقفز فوق الحواجز ويختار الطرق الوعرة التى لا تستطيع السيارة المطــاردة ان تسير فيها بسهولة ٠٠ وانعطف يمينا محاولا ان يغــير

طريقه حتى يخفى نفسه عن الاعين التى كانت ترقبه من فوق الصخرة • وكانت السيارة قد اختفت الان خلف الاشجار ، ولكنه استطاع أن يتتبع خط سيرها عن طريق الاصوات التى كانت تصدر عنها • وان هى الا برهة قصيرة حتى كانت السيارة تدور حول المنعطف ثم تتوقف فجأة على بعد مسافة قصيرة من المكان الذى كان تمبلار قد اجتازه لتوه • • ولو انه كان قد ابطأ لحظة واحدة لامسكوا به على الطريق •

ونهض القديس من رقدته بحذر شديد واختلس النظر متلصصا من فوق الجدار فراى اربعة منهم ينتشرون بين الاشجار •• وكان سائق السيارة لا يزال يجلس الى عجلة القيادة ، وعلى مسافة قصيرة منه راى ظهر آل ديستاميو نفسه وقد بلله العرق وهو يصدر الاوامر لاتباعه •• كان الجميع ينظرون الى أعلى مقتنعين تماما أنهم لابد قد سبقوا القديس فى الهبوط ولم تكن بهم حاجة لان ينظروا الى اسفل •

وبدات تراود القديس رغبة طاغية فى مهاجمتهم من الخلف •• ولو كان الامر يقتصر فقط على آل ديستاميو أو سائقه لكان من المحتمل أن يعجز تمبلار عن مقاومة هذه الرغبة وكبح جماحها فى نفسه ••• ولكن الاثنين معا مع ما كانت تفصل بينهما من مسافة شكلا خطورة كبيرة من ان اى خطأ فى مهاجمة اولهما قد تعطى الاخر فرصة الصراخ والاستنجاد برهط الاعوان الذين كانوا يتربصون منتظرين ان يقع تمبلار بين أيديهم •• وعلى مضض منه قرر القديس أن الموقف يستدعى ان تتغلب دواعى الحكمة على مغريات الكرامة •

واستدار القديس فى حزن وهو يتذكر ايام شبابه المبكر عندما كان يختار الطريق الاخر •• ثم اختفى بهدوء خلال الكرمة التى هبط فيها •

كانت المدينة التى اوشك القديس على دخولها قد بدأت فيها الحياة ٠٠ وقبل ان يدخل تمبلار احدى الحارات الضيقة التى لابد وان تؤدى الى الشارع الرئيسى تلفت خلفه لكى يتأكد من ان احدا لا يقتفى اثره ٠

وعندما بلغ الميدان الرئيسى للمدينة ، استطاع ان يشاهد منظرا واضحا للطريق المتقاطع معه والذى كان يصل الى البحر ٠ ولم تكن فى الميدان نافورة ، ولكنه كان واثقا من أنه سوف يجد فى مكان قريب صنبورا عاما أو طلمبة أو على الاقل مسقى للبهائم ٠٠ وسار تمبلار فى شوارع المدينة الصغيرة محتميا بالمبانى لكى يحتمى بظلها وهو يسائل نفسه متى تفتح المطاعم أبوابها ٠

ـ ايه ، ماك ٠٠٠ هل تريد أن تحلق ذقنك لتنشط نفسك ٠٠

كاد هذا الصوت المفاجىء يجعله يقفز ٠٠٠ وكان الصوت صادرا من مدخل الباب الذى كان يمر به فى تلك اللحظة ٠٠ وعلى واجهة الباب قرأ لافتة كتب عليها : حلاق : وعلى الباب علقت ستارة من الخرز تحجب الرؤية عن داخل المحل وكان من الواضح ان الحلاق قد استيقظ مبكرا واخذ يرقب الناس من عرينه علـه يقتنص واحداً منهم ٠

وبان التردد على تمبلار لحظة وبدا انه كان يفكر فى الامر ٠٠ ولكنه كان فى الواقع يحصي ما تبقى فى جيبه من نقود ٠٠ ان التأخر لمدة ربع ساعة لن يغير من الامر كثيرا ، بل انه قد يستطيع تعويضه وزيادة اذا ما سمح لنفسه بهذه الراحة ٠٠ ثم ان حلاقة ذقنه كانت ستحسن من مظهره بحيث تجعله لا يبدو ذلك الهارب اليائس الذى كان يوحى به مظهره ٠٠ ولابد بعد ذلك انه سيجد

بعض الماء ٠ وكانت هذه الفكرة الأخيرة وحدها كفيلة بدفعه الى داخل المحل ٠٠

وجلس القديس على كرسى الحلاق وهو يكاد يرى ما حوله لشدة الفرق فى الضوء بين خارج المحل وداخله ٠ ولكن ما كادت عيناه تتعودان على الضوء الضعيف حتى راى شيئا حسبه للوهلة الاولى هلوسة مبعثها شدة احساسه بالعطش ٠٠ فعلى الحائط كان هناك صندوق من البلاستيك مملوء بالثلج وقد برزت منه أعناق أربع زجاجات ٠٠ وسأل الحلاق بصوت ملؤه الخوف ٠

ـ ماذا لديك هنا فى هذا الثلج ٠

ـ بعض البيرة ٠٠ اننى احتفظ لدى ببعضها على احدا يكون بحاجة اليها٠

ـ أهى للبيع ٠٠

ـ طبعا ٠٠

ـ اذن ناولنى ٠٠

ـ وسار الحلاق اربع خطوات الى حيث يوجد

ـ اذن ناولنى ٠٠

الصندوق ٠ واخرج منه زجاجة ثم سار أربع خطوات اخرى عائدا الى حيث جلس القديس وقد خيل له أن كل خطوة قد استغرقت دهرا ٠٠ وانقضى دهر آخر قبل أن تفتح الزجاجة ويمسك القديس بالزجاجة فى يده فيحس برطوبتها وقد بدت له أثمن من أغلى فازات العالم ٠

وانقضت فترة من الوقت كان القديس يجرع فيها من زجاجة البيرة وقد شرد بذهنه عن كل ما حوله ثم التفت الى الحلاق وسأله :

ـ ما الذى جعلك تتحدث الى بالانجليزية ٠٠

ـ انها الطريقة التى كنت تنظر بها حولك ، لقد ادركت انك لم تزر هذه البلدة من قبل ومن ثم بدأت أفكر فى طريقة قص شعرك وطريقه ملبسك وسيرك ٠ ان للناس من مختلف البلدان طريقة خاصة فى الملبس والسلوك ٠٠٠٠

فاذا أنت البست الالمانى حلة ايطالية فسيظل يبدو ألمانيا لقد علمت ستة عشر عاما فى شيكاغو ورأيت أناسا من مختلف الجنسيات ٠

وغسل الحلاق وجه تمبلار فازال عنه أتربة التلال ثم

ـ لابد انك تحب السير السير طويلا ، أليس كذلك ٠٠ غطاه برغوة الصابون وقال :

ـ لقد اغرانى بعضهم بالتوغل الى داخل البلد لكى أرى الوجه الحقيقى لصقلية ، وهو ما يفتقده السائح العادى ٠ ولسوء حظي لم اسأل عن كل تفاصيل الطقس ٠٠ورغم سرورى برؤية هذه البلدة ، الا اننى لا استطيع القول بأنى ارغب فى السير مرة أخرى ٠٠٠ فهل لا يوجد تاكسى فى البلدة ، او سيارة استطيع استئجارها ٠٠

ـ لا ، ليس هناك شيء من هذا القبيل ٠٠ هناك فقط اوتوبيس مرتين فى اليوم صباحا ومساء ٠

ـ متى ٠٠

ـ فى الساعة السادسة٠

ووضع الحلاق ابهامه فوق فك تمبلار وشد جلده وجرى عليه بسلاحه العتيق ثم قال دون أن تتغير لهجته : المافيا ٠

ـ انك شديد الغباء ولا شك اذ تقع فى اشكال مع ولولا ما كان يتصف به تمبلار من ضبط شديد للنفس لما استطاع ان يبقى ساكنا بعد هذه المفاجأة ولكان محتما ان يتحرك ولو قيد انملة كانت كافية لان يقطع السلاح رقبته ٠٠ وواصل السلاح عمله فى دقنه وقد استقر حده القاطع على اسفل رقبته للحظة بدت له دهرا طويلا بينما كان الحلاق يحدق فى عينى تمبلار دون ان يطرف للاخير رمش ٠٠ ثم هز الحلاق كتفيه ٠ ومضى ينظف الموس مما علق به من صابون ٠٠ وانتهز تمبلار هذه الفرصة وقال لكى يصل حبل الحديث :

ـ اننى لا أفهمك ·
ـ اننى اراهن انك تفهمنى ·· لقد كنت أجلس هنا ارقب الطريق ولم ارك تأتى من ناحيته ·· لا يا سيدى لقد اتيت من فوق الجبل ولابد انك أثرتهم هناك ·
وضع السلاح على الجانب الاخر من وجه تمبلار ، ولكن القديس احتمل الامر بسهولة اكبر هذه المرة فلو كانت لدى الرجل اية نوايا لذبحه لما افلت من يده فرصته الاولى ·
وقال القديس وهو يحاول جاهدا ان يخفى عن الرجل اية تعبيرات ترتسم على وجهه :
ـ ماذا تقول انه حدث هناك ··
ـ لست أعلم ·· كما لا أريد أن أعرف · فلست ارغب فى اعتراض طريق المافيا ·· لقد ابلغوا النبأ بالتليفون ، وأنا املك واحدا من التليفونات الثلاثة فى هذه البلدة . ولقد بلغتنى الانباء وعلمت منها كيف تبدو ، وكيف تتحدث الانجليزية ·· و ··
ولم يعد هناك مجال للتظاهر ·
ـ وهل يعرفون اننى هنا ··
ـ لا ·· انه نوع من التحذير العام · انهم لا يعرفون اين انت وكل شخص يتصل بالاخر ويطلب ان يفتح عينيه ·
ـ اذن فلم تكن انت شرلوك هولمز عندما عرفتنى ·
ـ لا تسخر منى يا سيدى ·· لقد أردت أن أسمعك تتكلم ، وان اعرف اى نوع من الناس انت ·
ـ ولماذا لم تذبحنى الان عندما اتيحت لك الفرصة لذلك ··· وربما كنت تنال مكافأة أيضا ··
ـ اسمع ، ليست بى حاجة لان اقتلك بنفسى ··· لقد كان بامكانى أن أدعك تنصرف ثم اتحدث بالتليفون واترك المافيا أن تقوم بالمهمة ·· وهكذا كنت لا احرك ساكنا ثم

أنـال قدرا من المـال . ولهـذا ارجو الا تسخر منى .
ـ أنـا آسف .. ولكن لعلك توافقنى على أنه أمر غريب ان يجـد المرء شخصا مثلك فى هـذه الناحية .
ومسح الحلاق سلاحه ثم جرى به على الشريط الجلدى المعلق لكى يشحذه ، وفحص حـده اللامع ثم قال :
ـ اننى لا أساعدك ولكننى فى نفس الوقت لا اساعـد المـافيا .. فهم لم يقدموا لى شيئا لا استطيع ان اقـدمه لنفسى .. انهـم كالمهربين فى شـيكاغو ولكنى كنت فى شيكاغو ظننت ان بامكانى أن أعود الى بلـدى وان اكسب ما استطيع ان أسـد بـه مطالب الحياة .
ـ لكنك مع ذلك لم تجب بعـد على سؤالى ... لماذا لـم تسلمنى لهم ..
ـ اسمع ، عندما تلقيت هـذه المكالمة اعطونى اسمك .. سيمون تمبلار .. وربما كان الاسم لا يعن شيئا بالنسبة لهؤلاء الفلاحين .. امـا بالنسبة لى فأنا أعرف من أنت .. ومع ذلك فلسوف أسلمك على الفور اذا ما أصبح الامـر هـو الاختيار بين حياتى وحياتك .. ولكنى لن ادخـر وسـعا فى سبيل انقاذك اذا ان ذلك لا يعود على بالضرر بـل انى أدلك على طريقـة الخروج من هـذه البلدة .
وفجأة تناهى الى سمعهما صوت سيارة تأتى من ناحية الوادى الى الميدان .. وتوقف الحلاق عن الحركة تمامـا ولاحظ تمبلار أن الـدم قـد غاض من وجهه .. لقـد كان وصول سيارة فى هـذا الوقت من النهـار يعنى ان هناك متـاعب .. وكانت المتاعب تعنى المـافيا . وبينمـا وقف الحلاق مشلولا اذا بالسـيارة تتوقف خـارج المحل وهمس القديس .
ـ بسرعة .. اعطنى منشفة مبلله ..
وتحرك الحلاق بشكل آلى فأخرج منشـفة مبلـلة ووضعها بعناية حول وجـه تمبلار وفوقه ، فى نفس الوقت

الذى انزاح فيه الستارعن الباب ودخل شخص ما الى داخل المحل ·

وظل القديس ساكنا لا يتحرك بينما كان القادم الجديد يصدر الاوامر ويوجه الاسئلة بلهجة لم يفهمها ·· ورد الحلاق باجابات مختصرة بنفس اللهجة ·· وفى النهاية اسدل الستار مرة اخرى وأخذت أصوات الاقدام تبتعد منصرفة ·

وانتزع الحلاق الفوطه من فوق وجه تمبلار ثم قال بصوت ملؤه الفزع والرعب :

ـ اخرج ···

وسأله القديس وقد نزل بهدوء من فوق الكرسى :

ـ ماذا كان يقول ·

ـ انصرف ارجوك ··

واشار الرجل نحو الباب باصبع مرتعش ثم استطرد :

ـ انه رسول من المافيا جاء يستدعى كل أفراد المافيا فى هذه القرية · لقد اكتشفوا انك لم تذهب الى الساحل وهكذا فسوف يقلبون عليك كل هذه التلال · انهم لم يعرفوا انك قد وصلت الى هنا ولكنهم سيفتشون الناحية شبرا شبرا وليست أمامك فرصة للنجاة · لسوف يقتلونك ، واذا عرفوا انك كنت هنا فسوف يقتلوننى انا أيضا ·· لهذا ارجو أن تنصرف ··

وكان القديس قد وصل الى الباب فعلا وأخذ يختلس النظر من البلدة ··

ـ فسيورى ··

وادرك القديس من لهجة الرجل انه قد استنفذ آخر ما يمكنه من كرم ضيافته · ولو انه حاول ان يمضى فى ذلك ، فمن المؤكد أن الحلاق المذعور كان سيشى به ·

وكان العزاء الوحيد لتمبلار ان الرجل فى تلهفه المذعور على التخلص من زائره غير المرغوب فيه لم يجد

وقتــا لاستقضائه ثمن البيرة التى جرعهــا او حتى اجــر الحلاقة ·· وحمد تمبلار الظروف لانه استطاع أن يــدخر بضعــة قروش قــد تعود عليه بالنفع فيما بعد · وقال وهو يغــادر المحل ويخرج الى الميدان :

ـ اشكرك على كل ما فعلته ·

الفصــل السادس

لكل حظ سىء فى القمار وقت يتوقف فيــه ، مهما قصر هــذا الوقت · فعندما خرج تمبلار من دكان الحــلاق وجـد فلاحا يركب عربة يجرها حمار · وقد استطاع القديس أن يقنع الرجل بأن يصحبه فى عربته الى الطريق العام ولكنه قبل ن يغادر الرجل وجد نفسه مضطرا لان يوفر الحمــاية لــه فى حالة ما اذا التقى به افراد المــافيا وكان حتما أن يفعلوا طال الوقت أم قصر ·· قال للرجل :

ـ اذا حــدث وسألت عنى فقل لهم اننى وثبت فـــوق عربتك واجبرتك على تأخذنى معك · والان يؤسفنى أن اضطر الى مجازاتك بهــذا النكران للجميل ، ولكن ايلامى لــك اقل بكثير سوف يحدث لو عرف أعضاء المــافيــا انــك ساعــدتنى ·

وعندما رفع الرجل ذقنــه كال له تمبلار لكمة تحتهــــا

ـ انظر الى هــذه الطيور فى السماء ·

ـ ما هذا الكلام عن المــافيا ·

بطريقـــة علميـــة يعرفها تماما يعرف تأثيرها · وســقط الرجل على ارض العربة دون أن يحــدث صــوتا وراح فى غيبوبة هادئة · وأجرى تمبلار يــديه فى جيوب الرجــل فوجــد فى احــدها مسدسا تناوله ووضعه فى حزام بنطلونه تحت القميص ·

ووصل تمبلار الى الطريق العام اخيرا . وعلى بعد مائة متر الى يمينه ، كان هناك أوتوبيس مزدحم يطوى الارض نحوه وقد كتب على لافتته الامامية بخط كبير باليرمو . ووقف تمبلار فى منتصف الطريق واشار للسائق فضغط على الفرامل وتوقفت السيارة . وصعد تمبلار اليها واغلق الباب خلفه .. وهكذا كان فى طريقه الى باليرمو مرة أخرى .

وعندما دفع ثمن تذكرته أحس بأن وصوله قد اثار اضطرابا بين المسافرين . كان الاتوبيس أوتوبيسا محليا معظم ركابه من الريفيين . وربما كان هذا هو السبب فى اهتمامهم : كان تمبلار اجنبيا ومن الواضح انه من طراز مختلف ، ولانه لم يكن لديهم ما يفعلونه فقد انصرفوا الى تفحصه ومراقبته . بيد أنه كان هناك تيار من التوتر بالاضافة الى حب الاستطلاع فقد أحس بأن الركاب يفسحون له مكانا أكبر من اى مكان يشغله كل منهم . والواقع انه كان لديه انطباع بأنهم كانوا يحاولون الابتعاد عنه بقدر الامكان .. ربما كان حساسا اكثر مما يجب ولكن أحداث الليلة الماضية جعلته يفقد ثقته فى شعبيته وجاذبيته .

وابتسم ابتسامة بريئة لواحدة من النساء كانت قريبة منه تحملق فى وجهه ولكنها تكومت على نفسها وحشرت نفسها فى جيرانها مبتعدة عنه وقد ارتسمت على وجهها نظرة ذعر قاتل .

لم يكن واهما اذن .. لقد عرفه بعضهم وهمسوا للاخرين بحقيقته .. كان يستطيع ان يقرأ الحقيقة واضحة فى أجسامهم المتصلبة التى لا تتحرك ، وحركاتهم العصبية فى الطريقه التى كانوا يحملقون بها فيه . كان من الواضح ان اوصاف تمبلار قد انتشرت

فى طول المنطقة وعرضها مع وعد بمكافأة من يعثر عليه وعقاب من يخفيه ٠

لم يكن يبدو ان هناك أحد من المافيا فى الاوتوبيس والا لبادروا من فورهم للعمل ٠٠ ولكن القديس لم يكن يتوقه حلفاء من بين الركاب ٠٠ قد لا يحاول أحدهم ان يهاجمه ، ولكن احدا منهم لن يقدم له عونا أو مساعدة ٠٠ حتى لو لم يكونوا من أعوان المافيا ، فان الرعب الذى يملا قلوبهم منها يجعلهم ينفذون ما تأمر به العصابة ٠

كانت السيارة تتوقف احيانا لالتقاط مسافر جديد أو انزال آخرين ، ولم يكن القديس بحاجة الى ذكاء شديد لكى يدرك انه ما أن يصل احدهم الى تليفون حتى تهتز الاسلاك تعلن عن رؤيته ٠

وعند كل وقفة ، كان الركاب يعيدون تنظيم جلوسهم ووقوفهم حوله ٠٠ وفى كل مرة كان القديس يسائل نفسه : متى يحاول أحد الركاب أن يقبض عليه ليفوز بالمكافأة ٠٠ وعند ذلك كانت يده تتحرك لتتحسس قبضة المسدس تحت القميص ٠

كان القديس يركز معظم انتباهه على الركاب الاخرين الذين تكدسوا حول بعضهم البعض رغبة منهم فى الابتعاد عنه ، ولكنه ظل محتفظا ، فى نفس الوقت ، بقدر من انتباهه للعالم الخارجى ٠٠ ولم يكن مهتما بمشاهدة مناظر الطبيعة الخلابة وانما بملاحظة اية سيارات أخرى قد يبدى ركابها اهتماما غير عادى بالسيارة التى بركبها ٠

وفجأة رأى ما كان يتوقعه ٠٠ فقد ظهرت من خلف الاتوبيس سيارة كبيرة وهى تطلق نفيرها كما لو كانت تريد المرور من جانبه ثم ظلت تسير بمحاذاته ، بينما اخذت عيون ركابها تتفحص ركاب الاوتوبيس ٠

وحـاول القديس الا يقوم بأيه حركة واضحة قـد تكشف عن وجوده لركاب السيارة ، واتجه صوب الجانب الاخـر من الاورتوبيس فقد ثنى ركبته واحنى جسمه محاولا ان يجعل رؤوس الركاب الاخرين تقف حائلا بين وجهـــه والسيارة الاخرى مع الابقاء على فرجـة صغيرة يستطيـع أن يرى منها ركاب السيارة الاخرى ٠

وسرعان ما تنبه المسافرون معه الى وجـود الســيارة الاخرى فسرى الرعب بين صفوفهم واسرعوا ينكمشون حول انفسهم ، امـا لكى يكشفوا عن وجوده دون أن يشيروا اليـه أو لـكى يبعدوا انفسهم عن خط النيران اذا مـا حـدث تبادل لاطلاق النار ٠ ومهما يكن السبب ، فقـد كانت النتيجة واحـدة ٠٠ لقـد انفتح ممر داخل الاتوبيس ، اذ تجمع الركاب على كلا الجانبين تاركين مساحة مكشوفـة بين القـديس والنوافـذ ٠ حتى الركاب الجالسين تركـوا مقاعـدهم لكى ينضموا الى زملائهم الواقفين ٠

وعلى الرغم منه ، استطاع القـديس أن يرى بوضوح ركاب السيارة الاخرى ٠٠ وبعـد النظرة الاولى لم يعلق بانتباهه سوى وجـه واحد : وجه الرجل الجالس فى المقعد الامامى بجوار السائق ٠٠ لقـد كان وجها سمينا محمرا غير حليق تفتر شفته عن تكشيرة كئيبة ٠٠ كان وجـه آل ديستاميو ٠

وود القـديس لو انـه كان يلبس قبعة فى هـذه اللحظة اذن لرفعها يهزأ بها من آل ديستاميو ٠٠ ولكنـه بـدلا من ذلك قنع بأن يعطى لمطارده ابتسامة مشرقة ، ولوح لـه بيده ولكن الاخر لم يجبه ٠

واختفت التكشيرة من على وجـــه ديستاميو ، وظهرت فوهة مسدس فوق زجاج احدى النوافـذ وقـد امسك بـــه ديستاميو بكلتـا يـديه ٠ وغاصت الابتسامة من وجـــه تمبلار أيضا وأخرج مسدسة وقد احتمى بهيكل الاتوبيس٠

ومرة أخرى تدخلت العناية الالهية لحل المشكلة اذ اختفى ديستاميو فجأة ، وكأنما تعلقت السيارة بخطاف هائل جذبها من الخلف ٠ وانقضت لحظة قبل ان يدرك تمبلار ان سبب فى ذلك هو أن السائق اضطر للضغط على الفرامل لكى يتفادى الاصطدام برتل من السيارات كان قادما من الجهة الاخرى ٠٠ فلم تكد تختفى السيارة خلف الاوتوبيس حتى شاهد تمبلار سيارة تجر مقطورة وهى تأتى مزمجرة من الاتجاه الاخر وفى أعقابها رتل من السيارات التى كانت قد تجمعت خلفها ٠

ولم ينتظر تمبلار لكى يرى اكثر من هذا ٠ لقد كان ملاكه الحارس يحاول حمايته بأقصى ما يستطيع ٠٠ بيد انه لم يكن هناك ما يضمن استمراره فى بذل هذا الجهد ٠ وكان على تمبلار أن يستفيد من الموقف الى اقصى حد قبل أن تتغير الظروف ٠

رأى تمبلار من خلال النافذة مداخل مدينة وعلى ثفتة كبيرة استطاع أن يقرأ اسم سيفالو ٠ وهكذا عرف موقع اقدامه فاندفع الى مقدمة السيارة بينما كان أحد الجالسين فى المقاعد الامامية يميل على السائق ويهمس فى اذنه ببضع كلمات وقال تمبلار بوضوح وقد أمسك بالمسدس فى يده لكى يراه الجميع وان صوبه ناحية السائق ٠

ـ لا حاجة بك الى التوقف فان أحدا لا يريد النزول هنا ٠

وقال السائق وقد تردد قدمه بين الضغط على الفرامل والضغط على البنزين .

ـ ولكننى من المفروض أن أتوقف هنا .

وقال القديس وقد شدد قبضته على المسدس وحرك اصبعه على الزناد :

ـ لقد الغيت هـذه المحطة .. استمر فى السير .

وواصلت السيارة سيرها بينما اخذ ركابهـا الاخرون يحملقون فى وجـه تمبلار دون أن يحاولوا هـذه المرة ان يتجنبوا نظرته .. كان من الواضح انهـم يقاومون الخطر الذى سببه لهم ولكنهم لم يكونوا يعرفون ماذا يفعلـون بشأنه . وظـل القديس متيقظا وان ترك لمسدسه ان يقوم بكل التهديد .. وفهم الجميع رسالته ولم يحاول أحـدهم ان يناقشه فيها ، بينما قبض السائق على عجلـة القيادة امامه وكأنها حيـة رقطاء تسعى .

ومن الخلف صـدرت عـدة أصوات عن نفـير السيارة المطاردة فتصبب جبين السائق عرقا .. وكان بوسـع تمبلار ان يلمح بين الحين والاخر السيارة المطـاردة وهى تقتفى أثرهم وتتحين فرصة للسير بمحاذاتهم من جـديد ولكن حركة المرور المتزايـدة لم تسمح لها بمنفـذ تنفذ منه الى غرضها . بينما لم يستطع الركاب الـذين كانوا قـد تجمعوا فى مؤخرة السيارة ان يفتحوا طريقا يمكن أن تطلق النار منه على تمبلار من الخلف . ومع كل ما كان فى الموقف من مزايـا الا انـه كان موقفـا مؤقتـا : فلن يطـول الوقت حتى تعطى حركة المرور فرصة للسيارة المطـاردة لكى تستعيد وضعها السـابق .. أو ربما فقـد أفراد المافيا صبرهم فيطلقون النـار على اطـارات الاوتوبيس ...

وقرر القديس ان يأخـذ زمام المبادرة فالقى بنظره الى الطريق الممتـد أمامه، ثم التفت الى السائق قائلا :

ـ ضع قدمك على الفرامل ولكن لا تلمسها حتى آمرك بـذلك .. وعندما افعـل فضع كل ثقلك عليهـا ـ سواء كنت حيـا أم ميتا ، ايهما تفضل .

كان قد رسم فى ذهنـــه صورة واضحة لربع الميل التالى من الطريق ، وكان الان ينتظر اول علامة طريق اختـــــارها للنزول .

والتفت القديس الى المسافرين قائلا : امسكوا انفســكم جيدا ايهـــا الاصدقاء .. اننـــا سنقف فجـــأة ، وانا لا اريدكم ان تقعوا على انوفكم .

ومرة أخرى القى بنظرة على السيارة المطاردة وكانـــت لافتـــة محل الخمور التى اختارها كعلامة للهبوط عندهـــا قد اقتربت .. كان التوقيت رائعا فصاح فى السائق :

ــ قـــف ...

وزمجرت الفرامل وتوقفت الســـــيارة ..وتعثر الركاب الواقفين واصـــطدموا ببعضهم وهـــم يسبون ويلعنون .. ومن المؤخرة سمع القـــديس صوت اصطدام مروع كـــــان قصى مـــا يأمل فيه .

ولـــم يكن الاتوبيس قـــد توقف تماما عنـــدما تقدم تمبلار ناحية السائق وبحركة سريعة اوقف محرك السيـــــارة واخرج المفتاح ، ثم اتجـــه الى الركاب قائلا .

ــ اذا خرج احـــدكم قبل دقيقتين فمن المرجح ان اطـــلق النار عليه .

وجذب الرافعة التى تحكم اغـــــلاق البـــاب المجـــاور لـــه وهبط الى الشارع .

كانت محطة السكة الحديد تعج بحشد هائل من السياح واختار القديس مجموعة من الطلبة الفرنسيين كانوا يتجهون نحو رصيف القطار وحشر نفسه بينهم . لم يكن يعرف وجهة الطار ، ولكن هذا لم يكن امرا مهما . فهو ما متجه الى مسينا وباليرمو ، وكلتاهما تصلح طالما استطاع أن يركب القطار دون أن يلحظه احد . ويبدو ان الحظ كان لا يزال فى جانبه فقد كان الطلبة يرتدون ملابس تشبه ملابسه الى حد كبير .. واذا لم يكن المرء مدققا أو متشككا أكثر من اللازم فانه يمكن أن يؤخذ على انه استاذهم او مرشدهم . ولم يكن هناك من افراد المافيا من راوه راى العين الا قليلين .. كما ان مجرد الوصف الشفوى لم يكن ليجدى كثيرا فى تمييزه عن افراد المجموعة التى اندمج فيها . وان هى الا بضع دقائق حتى وصل القطار .. وخلال الساعة التى استغرقتها الرحلة الى البيرمو لم يلق اليه احد من الركاب بالا .

وكانت لحظة نزوله فى المحطة ، لحظة توتر شديد .. ولم يكن تمبلار يتوقع بعثة استقبال من المافيا ، ولكن عواقب التفاؤل الشديد كانت اوخم بكثير من ان ينظر اليها باستخفاف . وظل القديس ملتصقا بالطلبة الفرنسيين وهو يأمل الا يميزه أحد اذا كان لا يعرف عنه سوى أوصافه . ولكن نظرته الفاحصة لم تشهد مستقلبين ولا متسكعين يبدو عليهم انهم من أعوان ديستاميو .

وفى خارج المحطة ، ترك نفسه لكى يجرفه تيار الخارجين الى حيث الاضواء المتلالئة والناس الساعين فى الحياة .. ودخل الى حانة صغيرة تناول فيها كأسا

من النبيد ثم اتجه الى التليفون وادار قرصه وطلب الرقم الذى كان ماركو بونتى قد اعطاه له ، وعلم ان الحظ لازال يحالفه عندما جاءه صوت مفتش البوليس نفسه وان بدا متوترا . . قال مفتش البوليس :

— آلو . . من المتحدث . .

— صديق قديم لديه انباء مثيرة عن اصدقاء قدماء لك .

— تمبلار . . ماذا حدث لك . . اين انت الان . . لقد خشيت ان تكون فى عداد الاموات . فقد ورد تقرير عن العثور على سيارة باجاتى مهجورة فى الريف وقد سحبت الى جراجات البوليس هنا . ومن حسن الحظ انه عهد الى بالبحث عن صاحبها — الذى اخبرنى انه كان قد اجرها لك ، و . . لكن انتظر ، ماذا قلت عن اصدقاء قدماء لنا . . هل تعنى . .

— نعم ، انهم الاصدقاء الذين نحبهم جدا . . ولكن قل لى اولا ، اين السيارة الان . .

— لقد حضر صاحبها الى قسم البوليس ومعه مفاتيح اخرى لها لكى يأخذها معه ، ولكننى لم اشأ ان اسلمها له قبل ان اعرف ما حدث لك .

— حسنا فعلت . . لقد كنت ساطلب منك ان تستقل تاكسيا وتحضر الى ، ولكن السيارة قد تكون اكثر فائدة . ان لدى مجموعة من الاخبار عن اصدقائنا . . وهى اخبار ستستغرق وقتا طويلا لكى ارويها لك فى التليفون . فلماذا لا تستقل السيارة وتأتى الى هنا . . اننى فى مطعم يدعى (داجما) ، وهو قريب من المحطة — ومن المحتمل انك تعرفه . . ان رائحة الطعام تسيل لعابى ، لذلك سأطلب شيئا منه الى ان تأتى ، ولكن عجل بربك لاننى اعتقد ان امامنا ليلة حافلة .

ولم تكــد تمضى ربع ساعة حتى كان بونتى يــدخل من باب المطعم .. واشار له تمبلار الى مقعــد على الجانب الاخر من المــائدة ، حيث وضعت زجاجة جـــــديدة من النبيـــذ .

وقال مفتش البوليس وهو يصب لنفسه كأســـا ويجرع نصفها دفعة واحـــدة .

ــ اننى لم آت الى هنـــا لكى اتناول الشراب معك . فهيـــا اسرع وقل لى مـــا حدث .

ــ لقد ضربت على رأسى ، واختطفت ، واطلق عـــلى الرصاص ، وطوردت فى طول البلاد وعرضها بواسطـــة مجموعة من المجرمين يبـــدو انهم يحقدون حقـــدا شديدا على غرفة التجارة عندكم . ولكنى اعتقـــد انـــك ستمل سماع الحديث عن مغامراتى الخاصة . ان الجـــزء الـــذى اعلم انـــه يهمك هو مكان قلعة تستطيع ان تجـــد فيها ــ اذا تحركت بسرعة كافية ــ مجموعة جميلة من مديرى تلـــك الشركة وهـــم فى كامل هيأتهم ، ومعهـــــم رئيس المجلس نفسه ، الذى يبـــدو ان اسمه بسكوال .

ورغم انهم كانوا يتحدثون بصوت خفيض لا يكاد يصـــل الى اقرب مائدة اليهم ، الا انهم كانوا يستخـــــــــدمون اشارات غامضة لا يفهمها سواهما .

قال بونتى : اننى اعرف شىء عن الاجتماع ، بيـــد أن عـــدا مكانه . اين هـــو ..

ــ لســت اعرف كيف اعطيك العنوان ، بيـــــد أن باستطاعتى أن آخذك الى هناك .

وملا القديس كأسه مرة أخرى ثم استطرد :

ــ ولكنك تـــدهشنى .. يبـــدو انك تعرف عن هذه المنظمة أمورا اكثر بكثير مما كنت تعرف فى آخر مرة تحدثنـــــــا فيهـــا .

— لست ازعم اننى قمت بأبحاث سرية فـــذة .. انما أنـــا مدين بكل ما وصلت اليـــه تلك العينة من انتاجهـــــم التى تركوها فى سيارتك والتى كان مقدرا لها ان تحـــدث دويـــا عاليا . انك تفكر انه كان هناك نوع من التوقيـــــع على القنبلـــة .. لقـــد صورته بنفسى وضاهاته بكل دوسيهات انبصمات بينما كان الكاتب المنوط بـــه حفظها يتناول طعام الغداء ، وابتسمت لى الاقدار فانكشفت ان القنبلة من صـــنع مجرم يـــدعى سكولو قـــــد اتهم قبـــل ذلك بحيــــــازة أشياء مماثلة ولكنـــه كان يبرأ بالطبع لعـــدم كفاية الادلة .. لقـــد احضرته الى مكتبى واستطعت استجوابه بمفردى .

— ولكنى كنت اعتقد ان هؤلاء الناس لا يبوحـــــــون بشىء . لقـــد قلت لى أنت نفسك انهم يموتون ولا يفشـــون سرا .

— تلك هى القاعـــدة ولكنها خرقت فى بعض الاحيـــان . وكان ذلك بواسطة النساء عـــادة . ففى ســـــــنة ١٩٥٥ اعترفت سيدة تـــدعى فرانسسكا سيريو على اربعة مـــن هؤلاء الاوغـــاد لانهم تسببوا فى قتل ابنهـــا فحـــــكم عليهم بالسجن مـــدى الحياة . وفى سنة ١٩٦٢ قدمت لنــــا روزا ريكوبونو ، التى كانت قـــد فقدت زوجها وثلاثة من ابنائهـــا على يـــد نفس الجماعة ، اعطتنـــا قائمة تحتوى على أكثر من تسعة وعشرين اسما اتهموا بادارة العمل فى قريتهـــا . لقـــد تحدث هاته النسوة قانون الانتقام بسبب الحـــب أو الحزن . أمـــا مع نيكولو فقـــد استخدمت حجة اخرى .

— اسوأ من الموت ؟

— نعم ، بالنسبة له . ثـــم انهـــا أكثر دوامـــا من التعذيب .

— ترى ما هى .. ؟

— لقـــد جعلت الرجل العجوز الذى يقـــوم على تنظيف

المبنى يرتدى معطفا أبيض ، وأخرجت عـددا من السكاكين واحـد الاقنعة التى تستخدم للوقاية من الغـــاز • وقلت لنيكولو اننـــا سوف نخدره وانه ما لم يتكلم ••

وهنا مال بونتى الى الامام وخفض صوته حتى غـــدا همسا يسمع بصعوبة ثـم استطرد :

ـ فسوف يصحو من نومه ليجد انه قد خصى •

ونظر اليه تمبلار باعجاب زائد ثم قال باخلاص :

ـ لقد أحسست منـذ أول لقاء بيننا بأن لديك شعلة من العبقرية •• واذن فقـد تكلم نيكولو •

ـ من الواضح ان الحديث يجرى فى طول المنظمـــة وعرضها عن أن صـــحة الدون باسكوال سـوف تجبره سريعـا على الاعتزال • وعنـدما يكون الرئيس فى طريقـه الى الخروج ، فان المـديرين الاخرين يجتمعون للتنـــافس على خلافته • وفى مثل هـذه الازمة ، يـدب قدر من التفكك فى صفوف المنظمة ، وتستطيع المعارضـــة أن تستفيـد من هـذا الضعف • وكل ما كنت احتـاجه هـو مكان الاجتماع• فاذا عرفته ، نستطيع التقدم • فهل ننطلق •

كان صوت رجل البوليس الهادىء يمثل تناقضا شديدا مع العجلة التى كانت ترتسم على وجهه الفتى العجـــوز وبـدا القـديس يرفع حاجبيه فى تساؤل ولكنـه سرعان مـا قال موافقا :

ـ لك ما تريد يا ماركو ••

ثـم تلفت حوله بحثا عن الجرسون وفاتورة الحساب • ولـم تمض دقائق حتى كانا قـد خرجا الى حيث وجـــدا السيارة بانتظارهما عنـد المنعطف •• ولكن مـا أن اتجـه تمبلار بالغريزة الى مقعـد القيـادة حتى اعترضـه بونتى قائـــلا :

ـ هل تسمح لى •• لسوف يكون من الاسهل أن أتولى القيـادة ، حيث اننى أعرف الطريق •

ـ الى اين ..
ـ لقد كان ما عرفته من نيكولو مثيرا الى حد دفعنى الى ارسال رسالة كنت قد اعددتها الى روما ، فأدت الى ارسال مجموعة منتقاه من الجنود الى صقليه بطريق الجو . لقد أردت أن أحصل على مساعدة يمكن الاعتماد عليها عندما تكتمل لدى المعلومات التى احتاجها .. وها أنت قد جئت لتكمل هذه المعلومات .
ـ اذن فأنا الشخص الذى يعرف الطريق .
ـ ليس الى حيث توجد القوات .
وهز القديس رأسه موافقا ثم دار حول السيارة وادار محركها وصعد الى جوار بونتى .. وعندما انطلقت السيارة سأل القديس بونتى :
ـ هل تنوى الا تشرك البوليس فى هذا الموضوع بأى شكل ..
ـ اننى البوليس .. ولكننى لا اعرف من من الاخرين استطيع أن أثق به . ولو اننى حاولت أن أعمل من خلالهم لكانت هناك تعطيلات .. وارتباكات .. وتعبئة بطيئة .. وعندما نصل الى هذه القلعة فمن المؤكد أننا سنجدها خالية .. لقد كنت اعرف ذلك قبل ان آتى الى صقلية ، وقد عملت الترتيبات فى روما لاعداد هؤلاء الجنود لمناورة طارئة عندما احتاج اليهم ..
ـ وهل تعرف انهم يمكن الاعتماد عليهم ..
ـ تماما .. وليس هناك من يعرف مهمتهم هنا سوى قائدهم ، ولكن رجاله مخلصون اخلاصا مطلقا له وسوف يتبعونه الى الجحيم اذا طلب اليهم ذلك .. وفى حدود معلوماتنا فان المافيا لم تنفذ الى صفوفهم .. والان أرو لى كل ما فعلته .

ولـم يكن بونتى بطيئا فى قيادته ، بل انه قاد السيارة بسرعة كانت كفيلة بأن تـدفع الكثـيرين لان يتلـوا صلواتهم ·· ولـكن القـديس كان يتمتع بأعصاب فولاذية بحيث استمر يروى قصته دون ان يخطىء أو يفقـد تسلسلها ·· وكان الشىء الوحيد الـذى حـذفه من القصة هـو بعض التفصيلات الشخصية التى اعتقـد انها لا تهـم بونتى أو تؤثر فى اعماله الرسمية ·· وختم حديثه قائلا .

ـ وهكذا ، فانهم يعتقدون اننى ما زلت محـاصرا فى سيفالوا · وعلى اى الاحوال فهم لا يشعرون بأنهم يجب ان يخلوا مقر قيادتهم على عجل · انهم يعتقدون اننى أحـاول الهرب بجلـدى ·· ولا يمكن لال ان يتصور اننى اتحـدث اليـك الان ·

وقال بونتى : لقد حاولت الا اسمح بهذا الانطباع عنـد احـد بأن اصدرت امرا بأننى اريدك لاستجواب شـخصى حول مؤامرة سياسية ·· ولقـد فعلت ذلك لكى احـاول العثور لـك على اى اثر ، وفى نفس الوقت لكى اتأكـد من انك اذا وقعت فى قبضة البوليس لن يضربك احـد هـؤلاء المغفلين الـذين يعتقدونك مجرما عاديا ·· لقـد وجدت انه حينما تذكر ايـة امور سياسية فان رجال البوليس يميلون الى التصرف بحـذر ··

ـ عندما افكر فى بعض ملاحظاتى الوقحة الشهـيرة عن رجال البوليس ، فان ذكاءك يجعلنى أصاب بغصـة فى حلقى ·· وما من آحد يراوده الحلم بأنك انما تعمل بوحى دافـع خفى ··

ـ ان لـدى دافعا واحـدا فقط ·· هو ان اوضح لهؤلاء المجرمين انهم ليسوا أكبر من القانون ··

وانتهى بهم الطريق الجبلى الوعر الى فتحـة فى سـور

من السلك الشائك يقف فى حراستها جنديان بالبنـــادق والحراب ٠٠ وعنـدما اعترضـــا طريق السيارة ، ظهر ضابط مباحث شـاب فى الظلام وعندما ذكر لـــه بونتى اسمه حيـاه وقال :

ـ ان المـاجور بانتظارك ، اترك سيارتك هنا ٠٠

لـم تكن هناك اضاءة سوى التى كانت تصـــدر عن مصباح صغير معلق فوق ابوابة وعن المصابيح الاماميـــة للسيارة ٠٠ وعنـدما اطفئت هـذه الاخيرة تعثرا فى الظلام حتى ظهر امامهما فى النهاية كوخ خشبى صغير ٠٠ وفتـح بـــاب الكوخ فخرجت منـه حزمة من الشعاع ثـم دخـلا الى البناء الخشبى العارى من الاثاث ٠

وبادرهما ضابط متقـدم السن قليـلا وقـد ارتدى بدلة ميـدان حلت ازرارها وامسك بيـد بونتى قائلا :

ـ بونتى ، انه لمن اللطيف ان اعرف اننـا سنعمل ٠٠ ان كل شىء جاهز فمتى نتحرك ٠

ـ على الفور ٠٠ فهـذا السنيور تمبلار الـــذى يعرف المكان يـا ماجور او ليفتى ٠

والتفت القائد الى القـديس وحيـــاه بحرارة ٠٠ كان الرجل قصيرا لا تكاد رأسه تصل الى ذقن تمبلار ٠ ولكنـه فيما عـدا ذلك كان قويا عريض الصـدر ذا ذراعين قويتين كأنهما جـذعى شجرة ضـخمة ٠٠ وكان الجـانب الايمن وفى وجهه ملىء بعـدد من النـدوب الظاهرة وقـد غطيـت احـدى عينيه بقطعة من القماش الاسود ٠٠ قال الرجل :

ـ مرحبـا ٠٠ لقـد سمعت بك يا سنيور تمبـلار . ويسرنى أن تكون فى صفنـا ٠٠ ان لـدى هنـا خرائط لكل صقلية ، فهل تستطيع ان توضح لى عليها الى اين يجب ان نتحـــه ٠٠

ـ اعتقـد ذلك ٠٠

واردف القـديس القول بالعمل فانحنى على المـائدة التى

مدت عليها الخرائط ٠٠ وانضـــم اليــه أوليفتى وبونتى ومعهما اثنان من المـلازمين بينما أخـذ هو يتتبع الطريق من ذلك المفترق الـذى ركب عنـده الاوتوبيس الى ســيفالوا صعودا فوق سفح الجبل الى الوادى الاخر حتى وصــل الى مكان العرين الـذى هرب منه ٠٠ ثـم قال وهـو يجرى بأصعبه على الطريق المنحـدر من المنزل :

ـ ان هـذا الطريق غير معبـد ٠٠ وأنا لم أصل الى هذه البقعة بيـد أن سيارتهم كانت تقطعه بسرعة دون مـــا مشاكل ٠٠ غير أننى لا أعرف شيئا عن هـذا الطريق الاخر المبين عنـد قمة الصخرة ٠٠

ودرس أوليفتى المنطقة بـدقة المحترفين ثم قال :

ـ سواء سلكنا هـذا الطريق أو ذاك فان هنـاك احتمالا ان تكون لـديهم نقاط مراقبة تعطيهم تحذيرا باقتراب قـوة كقواتنا ٠٠ لقد ذكرت انك هبطت هـذه الصخرة فى الظلام فهل نستطيع أن نرسل قوة على هـذا الطريق ٠

ـ حتى لو كانت قوات متسلقى الجبـــال فاعتقـــد أن تسلقها يحدث ضجة كبيرة ٠٠ لقـد هبطت من هـــــذا الطريق لاننى كنت مضطرا لذلك ٠

ـ ان باستطاعتى أن أرسل رجالى من هـذه النقط ثـم ادعهم يكملون الطريق سيرا على الاقـدام ٠٠ ولكننى لا استطيع ان أضمن ان يصلوا قبـل الفجر ٠٠

وهنـا تـدخل بونتى فى الحديث قائلا :

ـ لست اعرف سببا منطقيا يـدعو أفراد العصابة الى الـذعر والهرب فى منتصف الليل ٠٠ ومـع ذلك يجب أن اعترف ان كل ساعة تمر قبل أن نسـد عليهم المنافذ انمـا تجعلنى أخشى ان نجـد المصيدة خالية عنـدما نغلقها ٠٠

وسأل القديس : هل لى ان اقترح شيئا ٠٠

ـ طبعا ٠٠ فانت الوحيد بيننا الـذى رأى هـذه المنطقة اثنــاء النهــار ٠٠

ـ ويا له من كابوس مرعب ٠٠ ومن ناحية أخرى ، اذا وصلتم هناك ووجدتم ان الطيور قد طارت فلسوف اشعر بالخزى الشديد ٠٠ لذلك اعتقد اننا يجب ان نهتم بالسرعة أكثر من اهتمامنا بالحذر ٠٠ ولا شك اننى أرى ان نقطع كل خطوط التليفون فى المنطقة ـ ثم نعتذر بعد ذلك لشركه التليفونات ، والا فان أحد العاطفين على المافيا من بين العاملين فى التليفونات سوف يحذرهم بالتأكيد ٠٠ ولكنى بعد ذلك اتحرك بأسرع ما يمكن ٠٠ اظن ان فرقتكم ميكانيكية يا ماجور ٠٠ اليس كذلك ؟

ـ نعم ٠٠ ليس لدينا بالطبع دبابات ، وانما لدينا عربات وناقلات جنود ٠٠

وأشار القديس الى الطريقين المؤديين الى مخبأ المافيا ثم قال :

ـ اذن فلو أنك قسمت القوات الى قسمين ، وارسلت احدهما عن هذا الطريق وارسلت الاخر عن الطريق الثانى فانهما سوف يسدان المنافذ الوحيدة التى يمكن ان يهرب منها هؤلاء الاوغاد ، اذا كانوا لا يزالون هناك ٠٠ ومع ذلك فانهم اذا وجدوا انفسهم محاصرين بهذا الشكل فقد يقررون القتال بدلا من الاستسلام ٠٠ فهل أنتم مستعدون للوصول الى هذا الحد ٠٠

وصاح أوليفتى ، وهو يضرب المائدة بقبضته :

ـ اننى ارحب بهذا ٠٠ اذا كانت لدى بونتى السلطة

وقال القديس وهو ينظر الى مفتش البوليس :

ـ هذه نقطة هامة ٠٠ فهل بوسعك أن تبرر شن مثل هذا الهجوم ٠٠

ـ نعم استطيع اذا لم تكن تخدعنى وتتخلى عنى ٠٠٠ وفى هذه الحالة فاننى سوف افعل بك أسوأ مما وعدت به نيكولا ٠٠ ولكنى استنادا الى شهادتك أملك الكثير من الادلة لاتهامهم بالخطف والشروع فى القتل ٠٠ ثم ان

هناك تهمة اخرى هى الاتفاق الجنائى · ولكن الافضل من كل ذلك أن يطلق احدهم النار علينا ·· فى هذه الحالة لن نكون بحاجة الى مزيد من المبررات ·

وقال أوليفتى : اذن فقد اتفقنا ·

واخذ يشير على الخريطة وهو يشرح خطته بالتفصيل وقد التف حوله ضباطه · والتقت عينا بونتى بعينى تمبلار فأشار له أن يتبعه الى الخارج ·· وعندما انفرد به قال:

ـ يخيل الى انك تريد الان أن تذهب الى الفندق لتصيب بعض الراحه ، ولكن ذلك قد يكون خطرا عليك ·· فخذ مفتاح شقتى واذهب اليها·· ان عصابة المافيا لن تبحث عنك هناك وسوف اراك عندما انتهى من هذا الامر لكى تتعرف على من نقبض عليهم ·· ان العنوان هو ··

كان القديس قد بدأ يهز رأسه قبل أن يقاطعه :

ـ هل انت مرة أخرى يا ماركو تحاول أن تقتلنى بشفقتك ·· اننى سأحس بنكران الجميل لو أننى تخليت عنك ، بيد اننى قد عشت كثيرا من فصول هذه التمثيلية بحيث لن يرتاح لى بال قبل أن أشهد ختامها الكبير ··· سوف اذهب معك لازودكم بمزيد من نصائحى الفذة فى حالة احتياج العسكريين لها ··

ـ ولكنك مدنى ولست مرغما لان تعرض نفسك ··

ـ كان من الممكن أن يقال لى هذا قبل بضعة أيام ·· أما الان فلا زالت لدى تلك المشاكل الشخصية الخاصة لتسويتها قبل ان ينجح أحد الجنود فى القضاء على أى أمل لى فى معرفة الاجابات التى انشدها ·· فاذا أنت حرمتنى هذه المتعة البسيطة ، فقد أصاب بداء النسيان واصبح عاجزا تماما عن التعرف على أى من سجنائك ·

ـ ان تهديدك لى امر مخجل ولكنى مضطر للرضوخ له · بيد أننى لا اتحمل أية مسئولية عن سلامتك أو أية متاعب قانونية قد تتعرض لها ·

ـ اظنك لم تتحمل هـذه المسئولية من قبـل ، أليس كـذلك ؟ ..

وانفض المؤتمر الـذى كان منعقدا حول المـائدة ، وهرول الضباط خارجين .. والتقى اوليفتى مرة أخرى بتمبـلار وبونتى .. فقال :

ـ حسنا . سوف تبدأ العملية فى خـلال ثمـان دقائق . لقـد وضعت الفرقة فى حـالة استعـداد بمجـرد اتصالك التليفونى يـا بونتى ـ ومنذ ذلك الوقت انقطعت الاتصالات التليفونيه ..

وبابتسامة عريضه ، رفع فى يـده أداة من تلـك التى تستخدم فى قطع الاسلاك ثم اسـتطرد وهـو ينظر الى القـديس :

ـ اننى لا اترك شيئا للصدف .. يسرنى انـك ستأتى معنـا فمن المفيـد ان يكون معنـا شخص يعرف موقـع القلعـه ..

وقال بونتى بجفاف :

ـ انه يصر على ذلك .. وهو يخشى ان يصاب بالجنون لو اننـا تركناه بمفرده ، فهو ، كما تعلم ، قـد مر بأحداث كبـيرة .

كان القـديس يفحص البنزين والزيت فى سيارته عنـدما بـدأت فرق المقدمة تتحرك وقـد شق ضجيج سياراتهـم سـكون الليـل .

وبعد أن اطمأن تمبلار الى ان بسيارته مـا يكفى للرحلـة المنتظرة من وقود اذا بسيارة فيـات تقف الى جواره .. وكان المـاجور اوليفتى جالسا الى عجلة القيـادة والى جانبه جلس بونتى وقـد ارتسم على وجهه تعبير كـاد يفصح عما يعتمل بداخله من قلق مبهم غامض .. امـا فى المقعـد الخلفى فقـد جلس احـد الضباط وبجواره عامـل اللاسلكى .. قال بونتى عندما أصبح بمحاذاة تمبلار :

ـ اتبعنى ٠٠ وانضم الينا عندما نتوقف ٠٠ هل تريد سلاحا ٠

وقدم له مسدسه الاوتوماتيكى ٠٠ قال القديس :

ـ اشكرك ٠٠ ولكن يبدو أنه من غير المسموح به قانونا أن يحمل المدنيون الاجانب أسلحة نارية فى هذه البلاد ٠ وعلى اية حال فان معى سلاحا غير قانونى ٠٠ ولكنى أرجو الا تقول عنه شيئا لاصدقائك من رجال البوليس ٠٠

وفتح بونتى فمه ليتكلم ولكن كلماته لم تصل الى تمبلار ٠٠ اذ فى هذه اللحظة اندفعت السيارة الفيات واختفت فى ظلام الليل ٠٠ وفى اثرها تحرك طابور من السيارات بينما كان القديس يدير سيارته ٠٠ وسار القديس فى أعقاب السيارة التى سارت فى المؤخرة ٠

ومن الغريب ان القديس كان فى ذلك الوقت لا يفكر فى شىء الا فيما يمكن ان يكون قد حدث لجينا ٠٠ جينا بعينيها السوداوين العذريتين وجسدها الساحر البديع وحماسها الشاب وترددها ٠٠ جينا التى كانت تشكل جزءا آخر من التكوين المعقد لمنزل ديستاميو ٠٠ والتى يمكن ان تتحطم معه ٠٠ اذا لم يكن قد حطمها بالفعل ٠٠

الفصل السابع

كان سير الموكب بطيئا ٠٠ فقد كان من الواضح ان اوليفنتى كان يبطىء السير لكى يعطى للمهندسين فرصة التقدم عليهم بنصف الساعة التى سمح لهم بها ٠٠ فاذا كان توقيته سليما فانهم سوف يلتقون بالحرس الراكب المتقدم فى اللحظة المحددة لبدء الهجوم ٠

لم يشاهدوا اثر للساحل أو البحر ، حيث ان الماجور كان قد اختار لسير الموكب تلك الطرق الداخلية المتعرجة

داخل الجبال ٠٠ كانت هذه الطرق وعرة فى أغلب اجزائها وفى كثير من الاحيان كانت مرعبة ٠٠ وكان الغبار فى كثير من الاحيان يتصاعد بدرجة كثيفة تخنق الانفاس ٠٠ حتى ان تمبلار كان يضطر الى التوقف حتى يهدأ الغبار ثم يعود للحاق بالموكب ٠

واستمر هذا التقدم البطىء حتى ما بعد منتصف الليل عندما شعر تمبلار أنهم لابد اقتربوا من وكر المافيا ٠٠ وتراقصت أمام عينى تمبلار فى المرآة الامامية أضواء سيارة خلفه كانت تريد المرور ٠٠ وافسح القديس لها الطريق وفى نفس اللحظة داعبه احساس بدنو الخطر ٠٠

أى سبب ذلك الذى يدفع بسيارة عادية ان تكون فى مثل هذا المكان فى مثل ذلك الوقت من الليل ٠٠ وأى يجعلها تسير بهذه السرعة الجنونية لكى تخاطر بالمرور من موكب كذلك الموكب فى مثل هذا الطريق الوعر الخطر ؟ لا شىء يدفعها لذلك الا مهمة تتسم بالالحاح غير العادى ٠٠ ولم يكن هذا يعنى بالضرورة ان ركاب السيارة كانوا من افراد المافيا ٠٠ ولكن مع انقطاع اسلاك التليفون لم يعد أمام من يريد تحذير المافيا من الحملة المقتربة الا أن يصل اليها ٠٠٠ وعن هذا الطريق ٠

مرت كل هذه الافكار بذهن تمبلار فى اللحظة التى كانت السيارة تقترب منه وما أن تجاوزته حتى أسرع القديس يقتفى اثرها ٠٠ وكان سائق السيارة يعطى كل انتباهه للطريق أمامه بينما استدار الرجل الراكب بجواره لكى يرقب سيارة تمبلار وقد ظلل عينيه من الضوء بحافة قبعة سوداء عريضة ٠

واطلق القديس نفير سيارته عدة مرات لكى ينبه السيارة العسكرية التى كانت أمامه ٠٠ ولم يكن الضابط غبيا فقد رفع مسدسه لكى يظهر لركاب السيارة الاخرى

انـه ينوى العمل ٠٠ وجاء الرد من هـذه السيارة فوريا ٠٠ فقـد زاد السائق من سرعته واخرج رفيقه مسدسا وطفق يطلق الرصاص صـوب السـيارة العسكرية ٠٠٠ وكمن الضابط فى مقعـده ، ومرت السيارة بسلام وقـد ظـلت محصـورة فى الممر الضـيق الواقـع بـين السـيارات العسكرية والمنحدر السحيق الذى يؤدى الى الوادى ٠٠

كانت الفرصة ضئيلة بيـد انـه بـدا ان السيارة سوف تغتنمها ٠٠ كانت السيارات العسكرية تسـير ببطء على الجانب الايمن من الطريق الضيق ، بينما كانت سـيارة المـافيا تمرق بجانبها على اليسار ، وعجلاتها على مسـافة بضع بوصات فقط من الهـوة السحيقة ٠٠ وخرجـت السيارة العسكرية عن طريقها وانطلقت فى أثر سـيارة المـافيا وقـد أخـذ ركـاب السيارتين يتبادلان اطـلاق النـار ٠٠

وجاءت النهاية مفاجئة عنـدما تنبـه احـد سـائقى السيارات العسكرية الى مـا كان يحـدث ٠٠ وربمـا كان قد شاهـد وميض الرصاص او سمع صـوت الرصاص رغـم هـدير المحركات فتصرف بـذكاء ومبادرة رائعة ٠٠ فعنـدما كادت سيارة المـافيا تتجاوز سيارته ٠٠ خرج عن الصـف وضيق المسافة بـين جانب سيارته وحافة الهـوة ٠ واطلق سائق سيارة المـافيا نفيره فى صراخ متواصـل لكى تفسـح لـه السيارة العسكرية طريقا للمرور ولـكن هـذه الاخيرة ظلت فى طريقهـا لا تلوى على شىء ٠٠ بـل جنحت الى اليسار اكثر من ذى قبـل ٠٠ واخـيرا تلامس جـانبا السيارتين ، تماما كما تصـطدم كرة بنـج بجانب قاطرة بخارية ٠٠ وكانت النتيجة الحتمية ان افضيت سـيارة المـافيا عن الطريق واختفت ٠٠ وان هى الا برهـة وجيزة حتى سمع صوت انفجار مروع وشوهدت النار تندلـع فى

الهوة السحيقة ، ولكن القافلة كانت قد تجاوزت تلك النقطة قبل أن تصل الحشرجات النهائية الى سمعهم ٠

كانت تلك هى الازمة الوحيدة التى اعترضت طريق الحملة ٠٠ وبعد بضع دقائق توقف الطابور وعادت سيارة الماجور أوليفنتى الى آخر الصف وتوقفت الى جوار سيارة القديس وقال بونتى :

ـ لقد وصل المهندسون وابلغوا ان كل الاسلاك قد قطعت ٠٠ ونحن مستعدون للدخول ٠٠ فوفقا للخريطة لا يزيد بعد المنزل عن كيلو متر واحد ٠٠ وسوف يذهب الكشافون أولا ثم اتبعهم أنا ، ومن الافضل جدا لو انك بقيت قريبا منى ٠٠ اذ لابد ان أكون متأكدا من المنزل قبل ان يحدث اى اطلاق للرصاص ٠

انصرف قبل أن يتمكن تمبلار من الرد ٠٠ وانطلق تمبلار بسيارته خلف سيارة الاستكشاف حتى أشار لهم بالوقوف احد الكشافة ٠٠ وتوقفوا فى بقعة فسيحة ٠ وبحذر غريزى أوقف القديس سيارته فى وضع تستطيع ان تنطلق منه بحرية فى اى اتجاه اذ ادعت الحاجة ٠٠٠ وبعد ذلك واصلوا تقدمهم سيرا على الاقدام حتى بدأت الاشجار تقل كاشفة عن منزل يلفه الظلام والسكون ٠

وسأل الماجور أوليفنتى : هل هذا هو المنزل ؟

وأجاب القديس ، محتمل ، ولكننى لا استطيع القطع بذلك لاننى لم اره من هذا الجانب ٠٠ فهل يتلاءم موقعه مع الوصف الذى اعطيتكم اياه ، على حافة صخرة ٠٠

ـ تماما ٠٠ كما ان الكشافين يقولون بأنه لا يوجد منزل آخر بالقرب من هنا تنطبق عليه هذه الاوصاف ٠٠ فأنت تستطيع أن ترى هناك بداية الطريق الذى يؤدى الى القرية وسطحه مغطى بالحصى كما وصفته ٠٠ ولقد وضعت طابورا آخر هناك لكى نبدأ بالعمل بمجرد ان تكون متأكدا من أن هذا هو المكان الصحيح ٠

ـ وهل كل رجالك فى أماكنهم ٠
ـ من جميع الجوانب ٠٠
وقال القديس وقد انتصبت قامته وخطا بضع خطوات فى المنطقة التى غمرها ضوء القمر :
ـ هل اذهب وادق جرس الباب ٠٠
ـ لا تكن مغفلا ٠٠ اختبىء ٠٠ انهم يستطيعون رؤيتك من المنزل ٠
ـ تلك هى فكرتى تماما ٠٠ ان اهل المنزل لابد قد سمعوا أصوات سياراتكم ، فاذا كانوا ينوون شرا فلابد انهم يراقبوننا ٠٠
وظل واقفا يحملق فى المبنى لبضع لحظات ثم ارتد بحذر مبالغ فيه واختبأ خلف جذع شجرة ٠
كان قد دبر الانطباع الذى يريد اعطائه ، بكل دقة ومهارة ٠٠ وسرعان ما دوت فى الفضاء طلقات رصاص صادرة عن المنزل ، ومرقت مجموعة من الطلقات بالقرب منه استقر بعضها فى جذع الشجرة ٠٠
وقال القديس ببرود : ان هذا يحسم الامر ٠٠ والان وقد بداوا هم باطلاق النار ، فقد صبح لديكم المبرر الذى تريدونه للرد عليهم بالمثل ٠٠
ودون انتظار لمثل هذه الحجة القانونية كان عدد من الجنود قد بدأوا يردون النار ٠٠ وعلى الفور اشتعل المنزل بمزيد من الطلقات ٠٠ لقد بدأ سكانه قد قبلوا التحدى ٠٠ والقى احدهم ضوءا على المبنى ، وقبل أن يستطيع سكان المنزل ضرب مصدره ، استطاع الجنود أن يروا ان معظم النوافذ كانت مغلقة ما عدا بوصة أو بوصتين خرجت منها فوهات البنادق ٠
وقال أوليفنتى وهو يكمن بجوار تمبلار وبوننتى :
ـ لقد طلبت منى أن أساعدك فى الاغارة على بعض المجرمين ولكنك لم تقل لى اننا سنحارب معركة صغيرة ٠

ـ اننى آسف يا سيدى القائد ٠٠ بيد اننى لم ارتب الامر على هذا النحو ٠٠

ـ تقول آسف ٠٠ ان هذا أفضل ما كنت اتمنى حدوثه ! كل الذى اريد معرفته هو فى أى حالة تريد القبض على هؤلاء الموجودين داخل المنزل ٠٠ اذا كنت تريدهم أمواتا فان الامر سيكون سهلا ٠٠ كل ما هنالك اننا سنطلق عددا من قذائف المورتار ، وقبل أن نقتحم الغرف نلقى قنبلة يدوية أو قنبلتين ٠٠ بهذه الطريقة لن يكون هناك سوى عدد قليل من السجناء ٠٠

ـ اننى أريد بعضهم أحياء ٠٠ القادة فقط ٠٠ اما الباقون فبوسع جنودك ان يتدربوا عليهم ويوفروا على المحاكم نفقات لا مبرر لها ٠٠ ولكننى أريد أفراد القيادة ، لكى يتم التعرف عليهم ويقدمون لمحاكمة علنية تجذب انتباه البلاد بأسرها ٠٠ انهم اذا قتلوا فسوف يصبحون شهداء ٠٠ ويحل محلهم القادة الاصغر وسرعان ما يعود التنظيم بأسره للانتعاش من جديد ٠

ـ ان هذا يزيد فى صعوبة الامر ، ولكننا سنحاول ٠ سوف أنسف الباب الامامى ونوافذ الطابق الارضى ، ثم نندفع اليهم من ثلاثة اتجاهات ٠٠ ولسوف نفقد بعض الضحايا ولكن ٠٠

وفجأة سقطت أنوار على الجانب البعيد من المنزل ٠٠ وخرجت سيارة الى الممر متجهة الى الطريق وفى أعقابها سيارة أخرى ٠٠ كانت السيارتان كبيرتان يضمان عددا كبيرا ، لان نوافذهما كانت تعج بحشد من الاسلحة الصغيرة ٠

وصاح الماجور بصوت كان من السهل سماعه برغم دوى الرصاص :

ـ وجهوا رصاصكم الى السائقين ·· وعندئذ نستطيع اصطياد الباقين أحياء ··

واتجهت سيارة المقدمة مباشرة الى مقدمة السيارة العسكرية التى كانت قد وضعت هناك لتسد الطريق ، ودون ان تقلل من سرعتها اصطدمت بها واشتعلت النيران فيها ·· وقفز منها رجال مذعورون وهرولوا يبتعدون عن السنة النيران ·· وفرملت السيارة الاخرى بعنف ، ولكنها لم تفقد كل حركتها فاصطدمت بمؤخرة السيارة الاولى ·· هنا أصبح واضحا ان الامر كله كان متعمدا : فقد ادت الصدمة الاولى الى ابعاد السيارة العسكرية قليلا بحيث افسحت مكانا بينها وبين الجدار يكفى لمرور سيارة منه ، بينما جاءت السيارة الاخرى لكى تبعد زميتها المحترقة عن الفتحة التى احدثها الصدام الاول ··

تدفق الجنود من جميع الاتجاهات وهم يطلقون الرصاص ·· وبدا مستحيلا أن تستطيع السيارة الثانية التحرك ، فقد انفجرت علجتان من عجلاتها ، بينما كان البنزين يتدفق من خزانها ·· ومع ذلك دارت عجلتاها الخلفيتان واستطاعت بطريقة ما أن تواصل سيرها وهى تدفع أمامها السيارة الاولى وتفسح لنفسها ممرا مفتوحا ·

وصاح أوليفنتى وهو يختطف بندقية آلية من احد الجنود : اعطنى هذه ··

ولم يبد عليه انه يصوب البندقية ، ولكنها زمجرت خمس مرات وتطاير الزجاج من نافذة السائق ·· وانكفأ الرجل على عجلة القيادة ، فاذا بالسيارة تندفع بعنف الى الطريق ثم تصطدم بشجرة ·· وقفز منها رجلان ابتلعهما الظلام ··

وصاح أوليفنتي : اننى اريد كل واحد من هذين الوغدين .. ولكنى اريدهما مجروحين فقط ..

وقال القديس وهو ينضم اليه ويقف بجانبه : اننى لا اعتقد أن أحدا من القادة كان فى هاتين السيارتين ... لقد كانتا تحرفان انتباهنا أو تفسحان طريقا لسيارة ثالثة .. وهو ما يجب ان نترقبه .

وثبتت صحة استنتاجه على الفور عندما ظهرت سيارة سوداء ثالثة عند أول الممر .. كان من الواضح انها كانت تنتظر مع السيارتين الاخريتين خلف المبنى ... وعلى ضوء السيارة المشتعلة استطاع تمبلار أن يميز السيارة التى كانت قد حاولت مطاردته بعد هربه .. وعندما اندفعت الى الامام اصبحت هدفا واضحا للجنود فانهال عيها وابل من الرصاص ، ولكن النوافذ كانت كلها مغلقة ولم يصدر عن السيارة اى طلقات ..

وصاح الماجور وهو يتميز غضبا : انها محصنة ضد الرصاص . الى الاطارات ـ اطلقوا النار على العجلات ..

ولكن العجلات لم تتأثر . لابد انها كانت مصنوعة من المطاط القوى .. واتجهت السيارة بأقصى سرعتها نحو المسافة الواقعة بين الجدار والسيارة العسكرية ... وانهال عليها وابل من الطلقات ولكنها لم تتأثر وانطلقت كالصاروخ تطوى الارض طيا ..

وصاح الماجور وهو يقفز الى أعلى ثم يعود ويهبط وكأنه يتقلى على نار الغيظ :

ـ اسمع يا فسكو ، خذ سيارتى وتعقب تلك السيارة أوقفها بالقنابل اذا استطعت .. ولكن ابق معها على الاقل واتصل بى بالراديو باستمرار .. وانتم أيها الاخرون .. الى متى سوف انتظر حتى تطهروا هذا الوكر القذر .

واتجه الرجال من فورهم كل الى مهمته ·· وانطلق مدفع المورتار ففتحت قذيفته تغرة واسعة فى مواجهه المنزل وكانت سيارة أوليفتى قد بدات تتجه الى الطريق عندما امسك تمبلار بذراع بونتو الذى بدا للحظة عاجزا عن التصرف لا يستطيع أن يقرر الى أى فريق ينضم ·· قال القديس :

ـ تعال معى ·· لسوف يتولى الجنود أمر المنزل ·· ولكنى أؤكد لك انه لم يعد فيه احد ممن يهمك امرهم ··

وبينما هو يتكلم جذب مفتش البوليس حتى دفعه الى العدو ثم استطرد قائلا :

ـ ان الزعماء فى السيارة التى هربت ·· وسيارتى لديها فرصه اكبر للحاق بهم من السيارة الفيات ·

وانطلقت السيارة الباجاتى تحمل تمبلار وبونتى فسبقت سيارة الملازم فسكو وهو تتعقب سيارة المافيا الهاربة ··

وعلى الرغم من حمولة السيارة الليموزين التى كان يركبها زعماء المافيا فقد كانت سريعة الى حد صعب معه على القديس ان يلحق بها ·· وان هى الا بضع دقائق حتى استطاع تمبلار أن يتبينها على البعد ·· وعندما زاد سرعته لكى يلحق بها راى شيئا آخر فأسرع يدوس على الفرامل عندما اتجهت نحوه السنة اللهب الصادرة عن سيارة المافيا ··

قال القديس ، يا لله ! ·· انها سيارة مقاتلة من الطراز الاول ·· ان هناك مركزا لاطلاق النار تحت النافذة الخلفية لقد رايت فوهة البندقية عندما اطلت ·· ومن حسن الحظ ان المسافة بيننا كبيرة بحيث يصعب عليهم الاصابة عن هذا البعد ولكنهم قد ينجحون اذا اقتربنا اكثر من ذلك ·

ان علينا ان نبقى على مرمى البصر منهم دون أن نقترب كثيرا الى ان نفكر فى خطة نستطيع ايقافهم بها ·

كان بونتى يسب ويلعن طوال الطريق . ونظر خلفه يبحث عن السيارة الفيات ولكنهم كانوا قد سبقوها بمسافة طويلة وكانت كل لحظة تمر تزيد من المسافة بينهم ... وأخيرا قال بونتى :

ـ اننا نحتاج الى قنابل يدوية على الاقل .. فعند أحد هذه المنحنيات قد نستطيع القاء واحدة منها أمامهم . ربما كان من الاوفق أن نبطىء قليلا وننتظر الملازم فسكو ..

وقال القديس : وربما لا نعثر لهم على أثر بعد ذلك .. هل لاحظت ان عداد السرعة يسجل مائة وخمسون كيلو مترا فى معظم الوقت .. فى مثل هذه السرعة لا يحتاجون هم لاكثر من دقيقتين يختفون فيها عن ناظرنا عند أى مفترق طرق حتى لا نقع لهم على أثر .. اننا لا نستطيع أن نبتعد عنهم بأكثر من المسافة التى تمكننا من تجنب رصاصهم .

ورد بونتى بعبارة بذيئة لخصت الموقف ولكن الاداب العامة لا تسمح بكتابتها ..

وقال القديس موافقا : اننى أوافقك تماما .. ومع ذلك فليس أمامنا ما نفعله الا أن نظل نتعقبهم .

لم يكن هناك حل للموقف . لقد كانوا فى مثل الموقف الشائك الذى وجد الرجل نفسه فيه عندما أمسك بالنمر من ذيله .. فلم تكن هناك طريقة واضحة لتحسين الموقف ورغم ان تركهم يهربون كان يبدو أقل خطرا الا انه كان حلا لا يقبل أحدهما أن يفكر فيه ولو لحظة واحدة ..

قال بونتى وقد شاعت فى نبراته نغمة تفاؤل ، وهو يرى الانوار الخلفية للسيارة الليموزين امامهم :

ـ ولكن البنزين لابد سينفذ منهم فى النهاية ٠

ـ وكذلك نحن ٠٠ ولكن اذا نفذ وقودهم هم أولا فربما استطعنا أنت وانا ان نحيط بهم ٠

وكان القديس فى حالة معنوية افضل من بونتى ٠٠ وربما كان ذلك لانه صادف فى حياته فرصا أكبر أمسك فيها بالنمر من ذيله ٠ فمن وجهة نظره كانت الليلة حتى ذلك الوقت ناجحة تماما ٠٠ فالمجرمون يهربون ٠٠ وهم يطاردوهم ٠ أما الخطوة التالية فقد كانت تمثل مشكلة ٠

وظهرت أمامهم مشارف احدى القرى وبدا على السيارة الليموزين انها تبطىء بدلا من زيادتها ، وخفف تمبلار بدوره من سرعته ٠٠ وصاح بونتى غاضبا :

ـ ماذا حدث ٠٠ ان هذه فرصتك للحاق بهم ٠٠

وقال القديس : ثم اعطيهم فرصة دفعنا الى جدار أحد المبانى ٠٠ اما هذا أو تنال طلقة لطيفة من بنادقهم عندما نلحق بهم ٠٠ لا ٠٠ اشكرك ٠٠ اننى اعتقد أن هذا هو ما يريدون اغراءنا على الاقدام عليه ٠

ولكن للمرة الاولى يخون تمبلار الهامه ٠٠

فقد فرملت السيارة الليموزين فجأة ٠٠ ثم دارت الى منعطف فى وسط القرية كان يشكل زاوية قائمة مع الطريق الرئيسى ٠٠ واسرع القديس بسيارته صوب المنعطف ولكنه ابطأ مرة اخرى قبل ان يصل اليه ثم دار برفق ، لانه خشى ان يكون فى الامر كمين ٠٠ كان الطريق الجانبى خاليا ، ولكن على بعد مائة ياردة أخرى كان هناك منعطف آخر الى اليسار ٠٠ ومرة أخرى دار تمبلار حوله بحذر بالغ ولكنه لم يجد كمينا بيد ان السيارة الليموزين السوداء كانت تتقدمهم بما لا يزيد عن خمسين ياردة وقد بدأت تزيد من سرعتها مرة أخرى على الطريق

المتعرج داخل الجبال · وكان بوسع تمبلار ان يقدر سرعتها بالمقارنة بسرعته عندما انطلق فى آثرها ولكنه فشل فى البداية فى أن يضيق المسافه التى تفصلهما ·
وعندما دار بسيارته حول احد المنعطفات وبدأ يكسب ياردة أو ياردتين ، برقت فى ذهنه فكرة جعلته يستلقى على قفاه ضاحكا ·
وحملق بونتى فيه مشدوها وقال :
- هل استطيع أن أسأل عما يضحكك ·
وقال القديس : انها العناية الالهية ·· لقد كنا نعصر أذهاننا بحثا عن طريقة لانهاء هذا الركود ، ناسين ان المجرمين كانوا يفعلون نفس الشىء ·· والان لقد قاموا بحركتهم واعتقد اننى أعرف ما هى ·· فدعنا نلحق بهم ونتأكد ··
- انك مجنون ·· فمنذ لحظة كنت تقول بأنه لا يجب علينا ان نلحق بهم لانهم سوف يملاون اجسامنا بالرصاص ·
- ولكننى الان لا اعتقد انهم سيفعلون ·· والطريقة الوحيدة للتأكد هى أن نجرب ··
وقال بونتى وهو يخرج مسدسه استعدادا للموت فى شرف :
- لقد كنت مجنونا اذا اشتركت معك فى عمل ·
وان هى الا دقيقة حتى كانت سيارة تمبلار تدور حول منعطف آخر ولم يعد يفصلها عن الليموزوين الا مسافة قصيرة ·· ومع ذلك لم تكن هناك طلقات ·· واضاء القديس المصباحان الاماميان لسيارته فأضاء النافذة الخلفية للسيارة الليموزوين
وصاح بونتى فى دهشة :
- لقد ذهبوا ·· ان السيارة خالية الا من السائق ..
اللهم الا أن يكونوا كامنين فى ارضية السيارة ·

وقال القديس بهدوء وسيارته تندفع فى محاذاة السيارة الليموزوين :

- لا ·· ليس هناك سوى السائق ·· وأنا اعتقد انه قد وقع فى غبطة قاتلة اذ انزل زجاج نافذته لكى يتمكن من اطلاق النار علينا ··

كان بونتى مستعدا ·· فانتحى جانبا وقد أسند مرفق يده اليمنى بيده اليسرى ، واخذ وضع التصويب وبينما كان السائق يرفع مسدسه ، انطلق مسدس بونتى مرة واحدة ·· وسقطت رأس السائق جانبا ثم انكفأ على عجلة القيادة ·· واسرع القديس يدوس على الفرامل عندما انقلبت السيارة الليموزوين ثم اختفت عن انظارهم ··

واتجه القديس الى طريق جانبى وأدار السيارة فى الاتجاه العكسى ثم توقف مرة أخرى وهبط من السيارة وقال :

- تستطيع ان ترسل فى طلب الجثة بعد ذلك ·· اما الان فاجلس الى عجلة القيادة ·· ها انت تحصل على فرصة ثانية لقيادة هذه السيارة الرائعة ··

- لماذا ··

- لاننا نستطيع بدورنا أن نلعب نفس اللعبة التى فكروا فيها ·· هل لاحظت انهم استغرقوا وقتا أطول من اللازم للدوران حول المنعطفين فى القرية وكيف كنا قريبين منهم على الرغم من أننى تعمدت ابطاء السرعة ···لقد حدث هذا لانهم توقفوا للحظة عندما كانوا مختفين عن أنظارنا ، وهجر الركاب السيارة معتمدين على السائق فى تضليلنا عبر الجبال ·

كان بونتى قد بدأ يتحرك بالسيارة فى ذلك الوقت ·· ثم قال :

ـ اذن من المحتمل انهم لا زالوا مختبئين فى القريــة ٠٠ ما علينا الان الا أن نحـدد المنزل ٠

ـ ونقتل ونحن نفعل ذلــك ٠ فى وقت من أوقات رأيت اربعة أشخاص على الاقـل فى تلك السيارة وايا كان المكان الذى ذهبوا اليــه فلابـد أنه وكر يضم مزيــدا من أفراد المافيا ٠ لا يا صديقى ، ان عليك أن تعود ادراجك وتقابل سيارة المـلازم فسكو ، وتطلب تعزيزات بالراديو ٠

ـ واعطى هؤلاء المجرمين وقتـا كافيا للفرار ٠

ـ لهـذا جعلتك أنت تقود السيارة ٠٠ سـوف نعود الى القرية ونحن نسير ببطء محدثين ضوضاء عاليــــة حتى يسمعوا كل شيء ولا يخامرهم شك من أنك اجتزت القريــة بـلا توقف ٠٠ ولكن الذى سيحدث فعلا انك ستسير بسرعة خمسة عشرة كيلو مترا فى الساعــة وعنـدما تصــل الى الشــارع الرئيسى سـوف أتركك ٠٠ فـاذا حـــاولوا الهروب فسأحاول أمـا ان اتبعهم أو اعوقهم ٠

ـ انهـا خطـة جنونيه ٠٠ حـاول أن تفكر بطريقــة ايجابية ، يـا عزيزى ماركو ٠٠ انظر الى الجـانب المشرق ٠٠ اننى أحس بأننى سعيـد الحظ هـذا المساء ٠٠

وقال احس بأننى سعيـد الحظ هـذا المساء ٠

وقال بونتى وقـد تجهم وجهه واننى آمل ان تكون لـك علاقة مـا بأحـد رجال الصناعه الاثرياء الـذى يقبـل أن يوظف عنـده ضابط بوليس مفصول ٠٠ فـذلك مـا سوف يحـدث حتما اذا لم نصـل الى خاتمة سعيـدة لهـــــذه الليلــة ٠

ولكنه فى النهـاية اطـاع تعليماته ودار حول منعطفـة محدثا ضجة هائلة .. وفتح القديس الباب الواقــع الى جانبه واستعـد للقفز من السيارة ففى اللحظة المناســبة عندما يصلون الى الشارع الضيق ٠٠ وعنـدما حلت هـذه اللحظة كما قـدرها تمبلار فتح الباب وقفز من السيارة ٠٠

ولـم يكـد يلمس الارض حتى كان بونتى قـد أطلق السرعة للسيارة وانطلق يطوى بهـا الارض طيا ٠

هبط القديس الى الارض وهـــو يجرى ٠٠ وفى خمس خطوات واسعة كان يحتمى بظلام مدخل أحـد البيوت ٠٠ واختفت السيارة فى الطريق وتلاشت ضجتها وحـــل السكون مخيما على القرية من جـديد ٠



ومرة أخرى كان القـديس وحيدا فى قلعة تعج بالاعـداء الكامنين ٠

ظـل واقفا بـلا حراك فى مدخل المنزل خمس دائق لـم يكن يرى فيهـا ضوءا أو يسمع صوتا ٠ وكانت نوافـذ المبانى المقابلة لـه مغلقة يلفها الظلام ٠٠ وبرزت امامـه قطة تسـير فى جانب الطريق وتوقفت تحملق فيه ، ثـم أسرعت فى سيرها ٠٠ وفيما عـدا ذلك لـم يكن هنـاك اى مظهر من مظاهر الحياة كان من المستحيل ان تكون كل هـذه الضجـة لـم توقظ احـدا من اهل القرية ٠٠ ولكن امـا ان السكان كانوا يعلمون أن الحـذر هـو خير سبيل يسلكونه فى هذه المنطقة او انهم كانا يفضلون العـودة الى نومهم فى هـذه الساعات الاخيرة من الليـل وقبل ان يأتى صـباح آخر من الكـد والتعب ٠

بـدت مهمة تحـديد مخبأ آل ديستاميو ورفاقه مستحيلة للوهلة الاولى ٠٠ بيـد أن تمبلار كان متأكـدا انهم انمـا لجأوا الى مكان يملكون مفتاحه أو يعرفون ان بابه مفتـوح دائما ٠ ومن ثـم فمن الارجح انهم لجـأوا الى منزل واحـد منهم ٠٠ ولكى يكون المنزل لائقـا بمركز مثـل هـذا العضو البارز فى المـافيا فلابـد ان يكون ابرز من المنازل المحيطـة بـــه ٠٠٠

وعندما تأكد تمبلار ان احدا لم يلحظه ، خرج من مكمنه واتخذ طريقه الى الشارع الجانبى فى خفة الهرة وسكونها وتحرك محتميا بظلال البيوت وهو يتفحص المبانى على كلا الجانبين ، وقد تنبهت عيناه واذناه لالتقاط اى ومضة ضوء أو همسة صوت ..

زحف تمبلار صوب ركن أحد المنازل وأصاخ السمع فسمع بالداخل وقع خطوات خفيفة .. وتسارعت دقات قلبه عندما ادرك أن هذا ربما يكون المكان الذى لجأ اليه ديستاميو وشركاه ..

وعندما التصق بالجدار الجانبى وقد أدار راسه لكى يسمح لاحدى عينيه بأن تختلس النظر ، رأى رجلا يبرز من بوابة امامية ويقف ليتطلع الى الطريق . وعلى ضوء سيجارته المشتعلة بين شفتيه راى القديس وجها منفرا تشيع القسوة فى قسماته كما لاحظ شيئا يشبه المسدس معلقا تحت ذراعه ..

ولم يعد أمام القديس الا أن ينسحب بهدوء ويقابل بونتى والجنود خارج المدينة ويقودهم الى هذه البقعة . الا أن مثل هذه المشاركة السلبية لم تكن لتقنع القديس لقد أحس بأن هناك دافعا خاصا يدفعه الى تسوية شخصية مع آل ديستميو .

كمن القديس فى موقعه بلا حراك ، وقد اعتصم بالصبر حتى مل الحارس وقفته فاستدار عائدا الى الحديقة .. وبخفة النمر وصمته تبعه تمبلار ثم قفز فوقه .. وبسرعة مذهلة كانت اصابعه الفولازية تضغط على رقبته .. ولم يستطع الحارس ، وقد شلته المفاجأة وضغط القديس على رقبته ، ان يتنفس أو يصيح .. وسرعان ما عاجله تمبلار بضربة ثانية على جانب رقبته جعلته يسقط فاقدا الوعى ..

والتقط القديس المسدس ، وبيده الاخرى أمسك بملابس الرجل وارقده على الارض بهدوء · ثم حمل الجسد من الممر واخفاه تحت مجموعة من الشجيرات ·

وفى نهاية الممر رأى القديس ثلاث درجات تؤدى الى باب المنزل الامامى ارتقاها على أطراف اصابعه ودفع الباب فانفتح وهو ما توقعه تمبلار لانه لم يكن من المعقول أن يغلقوا الباب ويتركوا الحارس بالخارج · كانت الصالة الداخلية مظلمة ·· ولكن الضوء كان يتسرب من فتحة أحد الابواب فى مؤخرتها ·· وتناهت الى اذن تمبلار اصوات رجال من داخل الغرفة · وتقدم القديس وقد امسك المسدس فى يده ، صوب الضوء بحذر بالغ ·

كانت أصوات الرجال بالداخل واضحة بحيث استطاع أن يميز بينها صوت ديستاميو ، ولكن المناقشة كانت تجرى باللهجة الصقلية وقد اختلطت كماتها وتسارعت حتى ان القديس لم يستطع أن يتتبعها · وبدا ان هناك نقاشا حول ما اذا كانوا يكمنون فى مكانهم ، أو ينصرفون وبدا كذلك ما اذا كانوا يكمنون فى مكانهم ، أو ينصرفون وبدا كذلك ان الخلاف كان حول ما اذا كانوا يعتبرون سويا فى سيارة كان من الواضح انها متاحة او يتفرقون اجتماعهم قد انهى أعماله ، أو أنه يعتبر مؤجلا فقط ·· وطال الاخذ والرد ·· وازداد صوت ديستاميو وضوحا وعلو ·· كان من الواضح انه يوشك على أن يتغلب على للمعارضة · وهنا تدخل صوت أكثر هدوءا فقدم اقتراحا بدا أنه جاز قبول الجميع · وبدأت أصوات الكراسى والاقدام تعلن عن انفضاض الاجتماع ·

لم تكن لدى تمبلار أية فرصة لكى يضع خطة ما بيد انه كان يستطيع ان يستفيد على الاقل من اخذ زمام المبادرة وارغامهم على الرد عليه بينما يعطيهم الانطباع بأنه يعرف بالضبط الى اين يمضى ·

وقبل أن يتحرك أحدهم صوب الباب ، دفعه تمبلار ووقف فى المدخل وقد صوب نحوهم مسدسه ثم سألهم بلهجة رقيقة :

ـ هل كنتم تبحثون عنى ..

وعقلت الدهشة السنتهم وشلت حركتهم فحولتهم الى لوحة مضحكة من الافواه الفاغرة والعيون الجاحظة ... لقد كان ظهور هذا الشبح على عتبة الباب وهو الرجل الذي ظلوا يحاولون التخلص منه بطريقة او بأخرى خلال يوم كامل وليلتين ، والذى كان مسئولا عن هربهم أمام قوات العدالة . والذى كانوا يعتقدون انه قد ابتعد عنهم مؤقتا على الاقل .. كان ظهوره كافيا لان يشل حركتهم للحظة حتى ولو لم يكن يحمل سلاحا ..

كانوا أربعه : اقربهم الى تمبلار رجل ممتلىء ذو ندوبة في وجهه النحاسى ورجل آخر أطول قليلا ذو شفتين ممتلئتين جعلتاه يبدو كما لو كان زنجيا .. وكان القديس قد رآهما من قبل الى جانب فراش الدون باسكوال . . ومن خلفهما كان هناك آل ديستاميو والرجل الاخر المسمى سيرانو ذو الانف المدبب الكبير . وكان الاربعة يجلسون حول مائدة مستديرة عليها اكواب وزجاجة من النبيذ تحت مصباح معلق تظلله نجفه من النحاس المخروطية الشكل .

كان ديستاميو هو أول من استعاد نفسه فقال :

ـ انه يحاول أن يخدعنا . فليس فى مسدسه سوى رصاصتين وهو لن يجرؤ على استخدامه لانه يعرف انه حتى لو اصاب اثنين منا فان الاخرين سوف يتغلبان عليه .

قال ذلك بلغة ايطالية واضحة حتي يفهم تمبلار كلامه . وابتسم القديس وقال :

- ومن منكما اذن يريدا ان يكونا البطلين ويضحيا بنفسيهما من اجل الاثنين الاخرين ٠
ولم ينـدفع نحوه أحد منهم ٠ فاستطرد القديس بلهجة الامر وهو يلوح بمسدسه :
- تحركوا الى الخلف قليلا ٠٠ انكم لن تغادروا هذا المكان ٠
وتحرك ذو الندبة وذو الشفتين المتلثنتين قليلا وعلى مضض ٠٠ أما ديستاميو فقد ظل قابعا خلف الرجل الثانى الذى لم يكن جسمه كافيا لاخفاء ذراع ديستاميو الايمن وهو يتحرك منزلقا الى جانبه ٠ والتقطت عينا تمبلار الحذرتين حركة ديستاميو فقطع صوته الامر ذلك السكون الذى خيم على الغرفة ٠٠ وقال :
- أوقفه يا سيرانو ٠٠ والا فقد لا تتاح لك فرصة أخرى تعرف فيها حقيقته ٠٠
- اننى اريد أن أعرف ٠
قال سيرانو ذلك وقد افترت شفتاه عن تكشيره ٠٠ ولم يكتف بالكلام ٠ بل امسك بذراع ديستاميو اليمنى ومنعها من الانزلاق الى جيبه ٠٠ وتصارعت عضلاتهما للحظة قبل ان يستسلم ديستاميو مدركا فى النهاية ان اى صراع بينهما سوف يلاشى أى ميزة كان أمل تحقيقها بالمفاجأة وسكنت حركتهما وحلت تعبيرات الكراهية ، والحقد على وجه كل منهما ٠ وقال ديستاميو :
- انك على استعداد للانصات لكل شخص اذا كان ضدى حتى الى هذا ٠٠
- على القائد الجيد ان ينصت الى كل شىء قبل أن يتخذ قرارا يا ديستاميو ٠٠ بوسعك ان تكون أول من يضحى بنفسه عندما ينتهى من كلامه ٠٠ اذا أردت ولكن ليس هناك ثمة ضرر من الانصات الى ما لديه ٠٠ فليس لديك بالطبع ما تريد اخفاءه ٠٠ اليس كذلك ٠

وزمجر ديستاميو ولكنه لم يحر جوابا ٠٠ وتخلى عن محاولته فى النهاية وعندئذ قال تمبلار :

ـ هذا افضل ٠٠ الان نستطيع أن نتجاذب اطراف الحديث ٠٠

وتقدم قليلا بحيث أصبحت الزجاجة فى متناوله ثم التقطها وجرع منها جرعة دون أن يحول بصره عن أسراه وهنا ابتدره سيرانو بقوله ٠

ـ كيف جئت الى هنا ٠

ـ لقد اتت بى العضفورة الى هنا ٠ وعلى اية حال اذا كنتم تعتقدون أن حارسكم قد تواطأ معى ٠٠ فاصرفوا هذا الخاطر ٠ كل ما أرجوه انكم اذا وجدتموه حيا ، وهو ما أشك فيه ، الا تضيفوا اهاناتكم الى جراحة ٠

ـ سوف نحاسبه على اهماله على الاقل ٠٠ ولكن حيث انك هنا فماذا تريد ٠

ـ بعض المعلومات عن اليساندرو هذا ٠٠ وفى مقابلها قد استطيع اعطائكم بعض المعلومات ٠

وتدخل ديستاميو فى الحديث قائلا :

ـ انه يحاول كسب الوقت ٠ ماذا يمكن ان يقول لاى منكم عنى ٠٠

وقال سيرانو وقد شمخ بأنفه الكبير كما لو كان كلبا من كلاب الصيد :

ـ هذا ما أريد معرفته ٠

لم يكن سيرانو مغفلا ٠٠ بل كان يعرف ان تمبلار لم يقف للحديث معهم بلا سبب ولكنه فى نفس الوقت لم يكن مستعدا لقبول تفسير ديستاميو للامر ٠٠ لقد كان يبحث عما يمكن ان يرجح كفته على ديستاميو ٠ ولما كان تمبلار متنبها لهذه المنافسة المريرة فقد قامر بحياته على الايقاع بينهم حتى يشغلهم عن حقيقة انهم يستطيعون التغلب عليه متى قرروا أن يدفعوا ثمن ذلك ٠

قال القديس بلهجته المحبوبة ٠

ـ انكم ولا شك تعرفون كل شيء عن حياة ديستاميـــو الاخيرة ٠ لكنني كنت اتكلم عن أيامه الاولى عنـدما كان آل الـذى نعرفه مجرد أفاق ٠٠ وربما كان الـدون بســكوال يعرف ذلك ـ ولكنــه ولا شك يعرف عنكم جميعــا اسرارا احتفظ بهــا لنفسه ٠ بيـد أن آل اكبر منكم جميعا ـ كما أن الكثيرين منكم قـد لا يعيشون حتى يبلغوا سنه ٠٠ ومن هنــا فليس هنــاك كثيرون يستطيعون التعرف عليه بالاسم الـذى كان لـه قبـل أن يذهب الى أمريكا ٠٠

وصاح ديستاميو : انــه مجنون ٠٠ انكم جميعا تعرفون عـــائلتى ٠٠

وقال القديس مصححا : انكم جميعا تعرفون عـــائلة ديستاميو ٠٠ ولا شك ان لهــا مكانة كبيرة عنـد المـافيا ٠٠ كمــا ان هـذه العائلة تشكل خلفيـــة مأمونـــــة لزعيمكم الجـديد ٠ ولكن هل تأمنون فى هـذه الايام المضطربة الى انتخاب زعيم يمكن ان يـدان غـدا بجريمتى سرقه بنك وقتل وهما ثابتتان عليه تماما ٠٠ او يمكن تحت التهـديد بادانته ان يشى بكم لـكى يفلت بجلـده ٠

كان القـديس يعلم انــه على الاقل قـد أحـدث ارتباكا بين صفوفهم فقـد رأى ذلك واضحا فى الطريقة التى كانوا ينظرون بها الى ديستاميو منتظرين رده ٠ ففى مثـل هـذا التسلسل الرئاسى لم يكن من الممكن ان يمر اتهام كهـــذا مهما بـدأ مختلفا ، دون الرد عليه ٠

وصــاح ديستاميو كما لو كان يريـد ان يقنعهم بمجرد الصـــياح ٠

ـ أكاذيب ٠٠ لا شيء سوى اكاذيب ٠٠ انـه يقول أى شيء يخطر على باله ٠٠

ورد عليه تمبلار ٠٠

ـ اذن لماذا ترفع صوتك ٠ أهو احساس بالذنب ٠

وسـأل سيرانو ٠٠

ـ ما هو هـذا الاسم الاخر ٠٠

ـ انـه دينو كارتيللى ٠

ونظر ديستاميو الى وجوه شركائه ، وبدا انه يستمد قـوة من حقيقة ان الاسم لم يكن يعنى شيئا بالنسبة لهم فقـال متهكما ٠

ـ من هـو هـذا الكارتيللى ٠٠ لقـد قلت لكم أن هـذا الرجل يحاول ان يخلق المتاعب بالنسبة لى ٠٠ وأنـا اعتقد انـه يعمل لحساب الحكومة الامريكيه ٠

وقال القديس بهـدوء مخاطبا سيرانو كما لو كان هـذا موضوعا خاصا بينهما :

ـ ان من السهل تماما اثبات هـذا الامر ٠٠ كل مـا عليكم ان تفعلوه هـو أن تأخـذوا بصمات آل وتسـألوا بوليس باليرمو ان يضاهيها ببصمات دينـو كارتيللـى ولا شك ان لـديكم اعوانا يستطيعون القيـام بهـذا العمل وربما كان المـأمور نفسه ٠٠ ومن المفروض ان كارتيللى قـد مات ولسوف يثير اهتمامهم أن يسمعوا عن شـخص حى له نفس البصـمات ٠٠ ولكننى اقترح أن يحجز آل فى مكان مـا بينما تقومون انتم بجمع هـذه المعلومات حتى لا يحاول الفرار ٠

وامتقع وجـه ديستاميو ، ولكنـه استطاع ان يسيطر على اعصابه ٠٠ كان عليـه أن يفعـل ذلك اذا أراد ان يتغلب على الشكوك ويواصـل الصراع على القيـادة ٠٠ قال ديستاميو :

- لسوف ارتب عملية البصمات بنفسى وعندها سوف يعتذر لى كل من راوده الشك فى امرى ٠٠ ولكن ذلك لن يتم فى هاتين الدقيقتين ٠٠ وانا اقول لكم انه يحاول ان يشغلكم لبضع دقائق ، حتى يصل مزيد من الجنود ٠

وتدرحرجت عيناه الضيقتان متجهتان الى نقطة وراء كتفى تمبلار وقد اتسعت حدقتاهما قليلا واستدار تمبلار قليلا لكى ينظر خلفه وهو يدرك تماما مدى ما فى عمله هذا من مخاطرة فلمح على درجات السلم امرأة بدينة ترتدى زيا اسود وقد وقفت تحاول التصويب نحوه بمسدس امسكته بكلتا يديها ٠

وفى لمح البصر استدار القديس الى الحجرة وقد اتجهت أيدى الرجال نحو مسدساتهم وقذف بزجاجة النبيذ التى كان لا يزال ممسكا بها نحو مصباح النور فاصطدمت بالنجفة النحاسية ثم انطفأ النور فى نفس الوقت الذى خطا فيه تمبلار جانبا ٠

وزمجر المسدس العتيق من السلم وردت عليه طلقات من الظلام الدامس الذى ساد الحجرة ، ولكن القديس كان قد خرج الى الصالة دون ان يمسسه أذى ٠٠ واطلق من مسدسه رصاصة صوب باب الحجرة فجاءته أصوات الانين والألم من الداخل ٠٠ وتعمد الا يطلق الرصاصة الاخرى حتى يقعدهم عن محاولة اقتفاء أثره ولو لبعض الوقت اذا علموا انه لا يزال يملك طلقة أخرى ٠ وقفز الى الباب الامامى واجتاز الدرجات الامامية وفى قفزة واحدة عبر الحديقة وهو يجرى فى خط متعرج ٠

وخارج الباب توقف مرة اخرى ، ينصت الى وقع اقدام تتعقبه ولكنه لم يسمع شيئا ٠ كان بوسعه أن يطلق ساقيه للريح حيث لا يستطيع منعهم او رؤيتهم مرة أخرى ٠

وأخذ يفكر فى الامر ٠٠ لو خرج اليه اثنان منهم فسوف يضرب اقربهم اليه بقبضة مسدسه ويأمل أن يتاح

ـه من الوقت ما يكفى لان يطلق الرصاصة الباقية على الاخرين • أما اذا كانوا ثلاثة او اكثر فان الامر سيكون خطيرا حقا •• ومن ناحية أخرى ، اذا خرجوا اليه بسيارة فسوف يطلق الرصاص على السائق على امل الا يكون زجاج السيارة من ذلك النوع الذى لا ينفذ الرصاص منه •

وانتظر متوترا •• بيد انه بدا كما لو أن خصومه قد توقفوا ليلعقوا جراحهم •• أو انهم كانوا يدبرون لامر آخر •••

وعندئذ سمع شيئا مختلفا تماما صوت سيارات بعيدة تقترب منه بسرعه هائلة •• وظهرت السيارة الباجاتى عند المنعطف يقودها بونتى وقد جلس الى جواره الملازم فسكو •• وجرى تمبلار نحوهم وقد رفع كلتا يديه الى أعلا ممسكا بالمسدس فى احداها ، حتى يتجنب أن يطلق عليه احد الجنود النار على اعتبار انه من الاعداء •

وتوقفت السيارة بجواره ونزل بونتى فابتدره القديس قائلا :

ـ لقد استغرقت وقتا طويلا للغاية • ترى هل نسيت ان ادلك على الطريقة التى تقود بها السيارة بأقصى سرعتها •

ـ لقد أصر الملازم فسكو على عدم التخلى عن سيارته وكان لزاما على أن ابطىء فى سيرى حتى تلحق بنا • هل صادفت نجاحا ••

ـ نجاحا هائلا •• وبأكثر من طريقة ، ان هناك ستة منهم على الاقل فى ذلك المنزل خلف الجدار : أربعة من الزعماء وحارس ربما اكون قد قتلته ، وامرأة تصلح اما لبومة •

وقفز فسكو من السيارة وأصدر تعليماته لرجاله :

ـ ابلغوا الماجور بمكاننا وبأننا سنقتحم عليهم وكرهم ثم اتبعونى ··

وقال القديس من المفيد اننا لا نحاول مفاجأتهم ··· ولكنهم يعلمون أنهم فى مأزق ·· انهم فى مأزق ··· والسؤال الوحيد هو ما اذا كانوا سيستسلمون أو يقاتلون ··

ودخلوا من البوابة واجتازوا الممر القصير معا وفى أعقابهم دخل الجنود الثلاثة وأحذيتهم تحدث أصواتا كما لو كانوا عددا كبيرا ·

واخرج بونتى بطاريته وصوب أشعتها نحو الباب الامامى الذى كان تمبلار قد تركه مفتوحا ·· وصاح وقد وقف عند اسفل السلم ·

ـ اخرجوا رافعين ايديكم ·· أو ندخل نحن ونأخذكم ·· ولم يسمعوا ردا ·· ولم يروا على ضوء البطارية أحدا فى الصالة ·

وقال بونتى وهو يزيح تمبلار جانبا ويرتقى درجات السلم هذه مهمتى·

واندفع فسكو وراءه ، أما تمبلار فقد توقف قليلا لكى يستعيد توازنه قبل ان يستطيع اللحاق بهما· ولم تستقبلهم طلقات الرصاص كما توقعوا بل على العكس بدت الصالة والسلم خاليين على ضوء بطارية بونتى ·· وكان هناك ضوء أصفر مرتعش يصدر من باب حجرة الطعام ، وعندما بلغوه راوا رجلين ممدين على الارض وهما يئنان ويتوجعان ، بينما كانت المراة تحاول تضميد جراحهما على ضوء شمعة ·

وكان سيرانو ممددا على الارض ايضا ولكنه لم يكن يتوجع ·· كانت هناك بقعة دم واحدة على قميصه بينما كانت عيناه مفتوحتان لا حياة فيهما ·

وانحنى بونتى فوقه ، ثم نظر الى القديس قائلا :

ــ هل فعلت هــذا ··

وهز تمبلار رأسه نفيـا وقال :

ــ لا · أمـا الاخران فنعم ·· لقـد ضربت مصدر النور وكانوا يتخبطون فى الظلام ·· وربما حـدث هـذا بمحض الصـدفة ·· ولكن هناك شخص غائب ·

ثم التفت ناحيه المراة وصاح بها : اين ديستاميو ··

وحملقت فيه المراة دون ان تجيب ·

وقال القديس لابـد ان هناك طريقا خلفيا ·· والا

ثم استدار ودفع اثنين من الجنود الـــذين كانـــوا يتجمعون عنـد الباب وقال لهم :

ــ اذهبـــا وراقبـــا الجراج ، وليســـد احـدكم الممر بسيارته ، وعبر الصـــالة وفتح بابا فى الجهـــة المقابلة قادعا الى المطبخ الــذى كان مضاءا بمصباح كهربى ضـعيف ·· واجتازه الى باب آخر وجـده مواربـــا ·· وكان بونتى يتبعه ·· ثـم خرجا الى الظلام والهواء الطلق ·

وقال القديس اذا كان آل قـد استخدم هـذا الطريـق فلابـد انـه كان قـد خرج قبـل ان نـدخل والان ·· هل تراه مختفيا فى مكان ما بالقرية ·· ام انـه سيحاول الخروج منها سيرا على الاقـدام ·· اذ وصل اوليفتى وجنـــوده بسرعة ، فربما استطعتم تطويق المنطقة ·

كان مفتش المباحث يـدور ببطاريته فى جميع الاتجاهات فراوا على ضوئها فنـاء ضيقا شاهدوا بئرا فى أحـــــد اركانه وصفائح قمامة عن ركن آخر ، بينما راوا فتحـــا تقود الى شارع صغير فى الركن الثالث · واتجه الضـــوء الى الركن الرابع وسرعان مـا ارتسمت الدهشة وخيبـــة الامـل على وجـه بونتى وقال يخيل الى اننـا قـد تأخرنا بالفعـــل ·

ففى الركن الرابـــع كان هنـــاك ممر قصـير يؤدى الى بابين كبيرين مفتوحين ، وخلفهما كان هناك خلاء تحيط به

جدران وفى نهاية الخلاء بابين كبيرين آخرين كانا مغلقين ٠

وقال القديس محنقا : سحقا له ، انه الجراج ٠٠ لو انه كانت فيه سيارة فان آل يكون قد ابتعد الان بمسافة عشرين كيلو مترا ٠

وعادا الى المنزل ، واجتاز تمبلار الباب الامامى ثم اتجه الى البوابه الخارجية يصحبه بونتى ٠٠ وعندما بلغا الحديقة قال تمبلار وهو يشير بأصبعه ٠

ـ ان الحارس الذى هاجمته موجود هنا تحت هذه الشجيرات ٠٠

وسأله بونتى : الى أين أنت ذاهب الان ٠٠

ـ سوف آخذ سيارتى واعود الى منزلى ، شاكرا لكم هذه الليلة الممتعة ٠٠ فلم يعد لى ما افعله هنا ٠ ولكن اذا حدث والتقيت بآل مرة اخرى فسوف اخطرك ٠٠

ـ اعتقد ان لديك فكرة للبحث عنه ، وانه من واجبى ان امنعك من القيام بشىء لحسابك الخاص ٠٠ ولكن حيث انك ستنكر ذلك فلست أملك الا ان اطلب اليك ان تدعني أراه حيا اذا امكنك ذلك ٠ ان الرجلين اللذين أصبت ساقيها ، أعرفها جيدا وسوف يكون منظرا ممتعا أن يراهما الناس فى قفص الاتهام ٠٠ ولكن المنظر سيزداد امتاعا لو أن ديستاميو كان هناك أيضا ٠٠

ـ سوف أحاول ان اتذكر ذلك ٠ ما هى الطريق الساحل ٠٠

ـ انعطف يمينا فى الشارع الرئيسى ثم انعطف فى الشارع الثانى الى اليسار انه ليس بعيدا من هنا ٠٠ الى اللقاء ٠٠

وانطلق القديس بسيارته لا يلوى على شىء ٠

والواقع ان الطريق الساحلى لم يكن اكثر من عشرة دقائق ٠٠ وبرغم أعصاب تمبلار الفولاذية ٠٠ فان المجهود

الهائل الذى بذله خلال الايام القليلة الماضية وافتقاره الى النوم كانا قد بدأ يأخذان منه كل مأخذ. وبدأ يناضل من جديد ضد الانهاك الذى أوشك ان يحل به . وكان الطريق الساحلى ممهدا مما اغراه بأن يكسر كل قوانين السرعه ومعظم قواعد المرور . ومن حسن الحظ ان الوقت كان مبكرا فلم تتبعه سيارات المرور .

كان ضوء النهار قد بدأ يظهر فى السماء عندما بلغ مشارف باليرمو وبدأ يبطىء سيره وهو يسلك طرقا خلفية كانت قد اصبحت مألوفه لديه . كان هناك دليل واحد ينقصه قبل أن يطوى صفحات هذه المغامرة .. وعندما أوقف سيارته فى النهاية ، كان قد تخطى بقليل أبواب الجبانة التى زراها فى الليلة السابقة.

لم تكن الابواب مغلقة ، ولكن القفل على الباب مقابر عائلة ديستاميو كان قد اعيد الى مكانه مرة أخرى . ولم يكن يملك مفتاحا هذه المرة ولكنه اخذ أجنة من سيارته ادت نفس الغرض .. واستطاع ان يحطم بها القفل

كان يعرف عن يقين خطأ القول الشائع بأن البرق لا يبرق فى المكان الواحد مرتين .. ولكنه مع ذلك استبعد ان يكون هناك من يكمن له .. واعتمادا على هذا الاستنتاج دخل الى المقابر دون تردد أو تأخر متجها الى القبر الذى كان قد أوشك على رؤيته فى الليلة السابقة ..

كان قد فقد بطاريته ولكنه كان يملك صندوقا من الثقاب فى سيارته .. واشعل أحدها فتوهج ضوءه عاليا فى القبو .. وقرب الضوء من شاهد القبر وانحنى الى الامام يدقق النظر فكانت هذه الكلمات :

اليساندرو ليونارد ديستاميو

١٨٩٨ - ١٩٣١

الفصـل الثـامن

كانت البوابة الرئيسية لمنزل ديستاميو مفتوحـة على مصراعيها عنـدما رآها تمبلار مرة أخرى ٠٠ وكانت هـذه هي المرة الاولى التى يراها فيها بهذا الشكل ٠٠ وتسارع نبضه وقـد غمره شعور بالتفـ ـــاؤل ٠٠ ورأى على الممر سيارة صغيرة ولكنها حـديثة جدا ٠ كانت مقدمة السيارة موجهـة نحـو البوابة ، كما لو انها مستعدة للرحيل بأسرع مـا يمكن ٠٠ ولم يكن من الاغراق فى الخيال ن يتصـــور القديس ان هـذه السيارة هى التى استقلها اليسانـــدوز ديستاميو فى هروبه من القرية ٠٠ واستنتج من وضـــع السيارة ان ديستاميو لا ينوى أن يكون هنـا نهاية المطاف ومع ذلك فقـد بـدا ان نهاية القصـة لابـد ان تكون هنا :

سار تمبلار على قـدميه ، بعـد ان أوقف سـيارته على بعـد مائتى ياردة من المنزل ٠٠ واثناء سـيره الحـــذر المتلصص على الممر ، بـدأ يسمع من داخل الفيلا دقـــا وطرقا منتظمين ٠٠ وخامر تمبلار احساس دفـين بأنـه يعرف السبب ، فارتسمت فى عينيه ابتسامة خبيثة ٠

وحتى بينما كان غارقا فى تفكيره وتصـــوراته ، كانت نظرته الثاقبة تتفحص نوافـذ الطـابق الاعـلى ، كانت النوافـذ مظلمة ، ولكن واحـدة منها كانت مفتوحة قليـلا ، بحيث رأى ان النوافـذ لم تكن مغلقة من الداخل ، وان هى الا لحظات حتى كان القديس يتسلق احـد الاعمـدة ويدخل من النـافذة الى احـدى غرف الطابق العلوى ٠

كان هنـــاك صوت تنفس وحركة فى الغرفة عنـدما دخـل اليها ٠ واضيىء نـور الغرفة فكشف عن لوزيو ، وقـــد جلس فى فراشه ٠

وابتسم القـديس له قائلا :

ـ صباح الخير ، لقد أردنا فقط ان نتأكد من انك على ما يرام ·· نم الان حتى نأتى لك بالافطار ·

وافترت شفتا الرجل العجوز عن ابتسامة باهتة ، ثم رقد فى الفراش مرة أخرى ·

وخرج تمبلار مسرعا الى الردهة ، حيث كان ضوء أصفر باهت ينبعث من اسفل السلم · واستمرت اصوات الطرق تأتى من اسفل ، بينما ازداد ارتفاعها حيث كان الان داخل المبنى ·· ولكنه قبل أن يتحرى مصدرها وسببها ·· كان عليه أن يعرف أولا ما اذا كانت جينا فى المنزل ·· لم يكن من المحتمل ان تكون فى هذا الطابق الذى يسهل الهرب منه ·· ولكن السلم كان يقود الى طابق آخر لم يجد فيه سوى اربعة ابواب · واشعل القديس عودا من الثقاب ، لكى يستطيع ان يراها بوضوح أكبر ·· واستقرت نظرته على باب كان به مفتاح من الخارج · واختبر المقبض برفق ، وتأكد من ان الباب كان مغلقا ، واصاخ السمع فسمع شخصا يتحرك بالداخل ··· لم يكن هناك الا تفسير واحد لهذا الشذوذ ·· ودون تردد ادار المفتاح ودخل ··

وفى هذه الحجرة الضيقة العارية من الاثاث ··· والتى كان ضوء النهار المبكر ينساب باهتا من كوة فى أعلاها ·· رأى جينا التى شهقت عندما راته ثم القت بنفسها بين ذراعيه ··

قال القديس : اذن فأنت بخير ·· هذا حسن ·

قالت : لقد اتهمونى أننى ارشدتك الى المقابر حيث امسكوا بك · وقد انكرت بالطبع ، ولكن انكارى لم يجدى · وقد طلب عمى اليساندور من دونا ماريا أن تحبسنى حتى يعرف ما تكون قد عرفته ويتأكد من انك لن تسبب مزيدا من المتاعب ··· لقد تصورت انهم سيصحبونك فى رحلة كما تفعل العصابات فى الافلام ·

– اظن ان هـذه كانت فكرتهم بالفعل ·· ولكن كثـيرين قبلهم كانت لـديهم مثـل هـذه الخطط بيـد انى اخيب ظنهم دائمـا ··

– ولكن كيف افلت منهم ·· وماذا حـدث لك ··

– سوف اقص عليك كل شيء فيما بعـد ، عنـدما نلتقى أنـا وآل للمرة الاخيرة ·

وعلى مضض منـه قاوم اغراء جسدها البض النـاعم المرتعش وقال :

– هيـا بنـا ··

وقادها من يـدها الى الردهة ·· بينمـا كان الطرق لا يزال يصـدر من الطابق الاسفل ··

وهمست قائلة : مـا هـذا ··

واجابها بنفس الهمس : اعتقـد انـه العم آل يحفر قبرا جـديدا · سوف نرى ·

وعندما بلغـا القاعة الخارجية اخرج القديس مسـدسه من جيبه للمرة الاولى منذ دخوله الى المنزل ··

كان باب حجرة الاستقبال مفتوحا على مصراعيـه ، ومن خـلال الباب المفتوح شاهدا الفوضى التى كانت تسود الحجرة · كان الاثاث مكوما فى احـد الاركان · وقـد القى بالسجادة جانبا ، بينما نزعت اخشاب الارضية فكشـفت عن حفرة عميقـة ··· وكانت الحفرة مغطاه بطبقـة كان ديستاميو يحاول اخراجه ·· كان ديستاميو يرتـدى قميصا قـد غطاه التراب ·· بينما شـعره مشعث والعرق يتصبب غزيرا على جبينـه وهو يلهث من فرط الجهـد الذى بـذله ··

كانت دونا ماريا تستنـد باحدى يديها الى ظهر احـد المقاعـد ، بينما استخدمت يـدها الاخرى فى الامسـاك بردائها الـذى كان يغطيها من رقبتها الى اسفل ساقهـا وهى تشاهد مـا يجرى أمامها باعجاب عاجز ·

كانت تقول بالايطالية بلهجة ملؤها الالم :

ـ لقـد وعدتنى بأن شيئا لن يحـدث ٠٠ لقـد وعدتنى أولا بأنك سوف تغادر البـلاد وانك لن تعود أبـــدا ٠٠ وانــك ستوفر ما يكفى من النقود للاسرة ٠

وقال ديستاميو : اننى لـم اعـد لاننى اردت ذلك ٠٠٠ ولكن مـــاذا كان بوســـعى ان افعـــل عندما طردنى الامريكيون ؟

ـ ثم وعدتني بأن كل شيء سوف يسير ، مع ذلـك على ما يرام ٠٠ وانك سوف تبقى بمنأى عنـــا ٠٠ ومع ذلك فقد أقحمنـــا فى كل شيء طوال هـذه الايام الثلاثة الاخيرة ٠٠٠

ـ انها ليست غلطتى ان ذلك الرجل تمبلار جـاء يـدس أنفه فى كل شيء ٠٠ ايها المرأة ٠ ولكن لقـد انتهى الان كـل شيء ٠٠ كل شيء ٠٠

واخيرا اخرج الطبق وهـو يسبب ويلعن ٠ وركـع على ركبته ثـم انحنى على الفجوة التى كشف عنهـــا واخرج حقيبـة رخيصة مغطاة بالتراب والقاذورات ٠٠ ورفعهـــا بعنـــاء ، ثـم انتصب واقفـا على قدميـه من جديد ووضع الحقيبة بلا مبالاة على احدى الموائد ٠٠ ثم قال :

ـ اننى آخـذ ما هو ملكى ٠٠ وفى هـذه المرة لن تـرى وجهى بعـد ذلك ابـدا ٠

لم يعـد تمبلار يطيق الانتظار اكثر من ذلك فـدفع الباب وخطـا الى الداخل بهـدوء قائلا :

ـ يا لــه من حديث عائلى مشوق ٠٠

واستدار راســا اليساندرو ديستاميو ودونا مـــاريا بحركة دائرية عنيفة كما لو كانتا قـد شدتا بخيوط ربطت حول آذانها وعقلت الدهشـة السنتهما للحظة لم تطـــل وسرعان ما امتدت يـد ديستاميو نحو جيبه الخلفى ٠٠

ـ لو كنت مكانك لمـا فعلت ذلك ٠

قال تمبلار ذلك بلطف وهو يلوح بمسدسه لكى يلفت نظره اليه ٠

وترك ديستاميو يده تسقط الى جانبه ، ثم اعتدل فى وقفته ببطء ٠٠ وغاصت عيناه فى محجريهما ، ومن حركتهما ادرك القديس ان جينا قد تبعته الان الى داخل الحجرة ٠

ودون ان يدير راسه ، اعطى تمبلار اشارة بيده اليسرى يدعو بها جينا لكى تدخل وتلقي نظرة على حطام الحجرة والفجوة الموجودة فى ركنها والحقيبة المتربة الموضوعه على المنضدة ٠٠

وشرح لها الموقف قائلا : ان المساله هى السعى وراء الكنز ٠ ولكنى اخشى ان يكون آل يقوم باحدى الاعيبه ، لقد كان يعرف مكانه طول الوقت لانه هو الذى اخفاه بعد ان سرقه من بنك فى باليرمو حيث كان يعمل لفترة طويلة باسم آخر ٠٠

وسألته جينا بصوت رقيق : هل هذا صحيح يا عمى اليساندرو ٠٠

وجاءها رده بنفاذ الصبر : اننى لست عمك ٠٠ ولم اكن ابدا عمك او عم اى شخص ٠٠ وخير لك أن تنسى من هذا ٠٠

قال القديس : ان اسمه الحقيقى هو دينو كارتيللى ٠

ونظر اليه كارتيللى ـ ديستاميو بحقد هائل ثم زمجر بالانجليزية :

ـ حسنا ، ايها الفتى الذكى ٠٠ قل لهم قصة حياتى كما تتصورها فى عقلك ٠٠

ـ حسنا ، طالما انك تطلب الى ذلك ٠٠

كانت جينا قد تحركت الى حيث استطاع ان يشاهدها واستطرد قائلا :

ـ ان دينو ولنضرب الان صفحا عن اسم اليساندرو

ديستاميو ـ رجل متعـدد المواهب ذو مطامع كبيرة · ولقـد بـدا حياته موظفا صغيرا هنـا فى باليرمو · لقـد كان يشغل وظيفة شريفه فى الفرع المحلى لبنك انجليزى ·· ولـكن مستقبله بـدا بطيئا بالنسبة لفتىكان يتعجـل الوصـول ولذلك انضم الى المـافيا ، أو ربما كان عضـوا فيهـا من قبل ـ ان بنورتى المسحورة غير واضحة تماما فى هـذه النقطـة ·· ولكنهـا نقطه غير هامة ·· المهم انـه فـكر فى اكتسابها بعمله ·

ضاقت عينـا كارتيللى ، وادرك القديس انـه كان يفكـر فى طريقة للخروج من هـذا المـأزق الـذى وجـد نفسه فيـه وانـه يحاول الاستفادة من كل الوقت بأن يترك شخصـا غيره يتكلم ·

قال كارتيللى : انها بـداية طيبـة ·· ماذا بعد ··

ـ وسواء أكانت الفكرة فكرة دينو او ان شخصا آخـر جنـده للقيـام بالمهمة ، فمسالة لا استطيع القطع بها ··· بيـد انها لا تهم بـدورها · المهم ان سطوا وقـع على البنك بواسطة اناس اقتحموه بينما كان دينو يقوم بالعمل ذات مسـاء ·· هكذا بـدت المسأله ظاهريا · وقـد بـدا الامر كما لو كان دينو قـد ناضل ببطولة قبل أن يقتل بطلقـة رصاص فى وجهـه وتشوه يـداه بطريقة تجعل من المتعـذر التعرف عليه ، ولكن هل قرات كثيرا من القصص البوليسية لـكى تستنتج ما حـدث حقا ··

وقال كارتيللى : استمر ·· انك الشخص الـذى يروى القصـه ·

واستطرد القديس قائلا :

ـ لقـد كان اللصوص بالطبع من أعوان دينو وقـد سمح لهم بالدخول · وقـد ساعدهم فى نسف الخزانة والفـوز بالغنيمة ، ثـم استبدل ملابسه مع شخص آخر أتى بـه خصيصا لهـذا الغرض · وكان هـذا هو الرجل الـذى قتل

ولكن من ذا الـذى كان يشك فى ان دينو كارتيللى المخلص وحصـــل دينو على قطعـة كبيرة من الكعكـــة فى مقـابل اختفائه ·· واعتقادى ان جزءا كبيرا منــه لا يزال فى هــذه الحقيبة ·· وحصـلت المـافيا على باقى المبلـــغ وكان الجميع سعداء فيما عـدا شركه التأمين التى كان عليها أن تعوض الخسارة · وربما أيضا ذلك الرجل الـذى لا وجـــه لــه · من كان هو يا دينو ··

ورد كارتنيللى بجفاء : لا أحـد ، انه لا أحـد · مجــرد خـائن للمافيا ، لم لا ·· لا تقـل لى انك مهتم بهـــذا الشخص أيضا ··

وقال القديس : ربما لا · فطالمـا أن المـافيا تتخلص من أبنائها المخطئين ، فربما يستحقون جـــائزة على ذلـك · ولكن منــذ بضعة أيام انكشف أمر الجريمة الكاملـــة التى ظن دينو انها قـد دفنت وطواها النسيان · فقــد تعرف انجليزى غبى يـدعى يوستون ـ وكان يعمل فى وقت مـا فى البنك مع دينو ـ تعرف عليه فى أحـد المطــاعم فى نابولى بعـد كل هـذه السنوات · وكان يوستون من الغباء والعناد بحيث لم يقتنع بأنه مخطىء · وهكـذا تخلص منه دينو · وعنــد هـذا بـدأ اهتمامى بالامر · وكل مـا حـدث بعـد ذلك كان منشأه محاولات دينو لشرائى أو تخلص منى ·

وسألت جينـا متحيرة : ولكن عمى ·· ما دخله بكـــل هـــذا ··

وقال القديس بلهجة ملؤها الرثاء : لقـد مات عمك ··· لقـد رزت المقابر قبل أن آتى الى هنـا وأتممت البحث الذى بـدأناه فى الليلة المـــاضية ·· لقـد مـــات اليساندرو ديستاميو فى روما بسبب ذلك المرض فى ســـنة ١٩٣١ · كما كنت تشكين ·· وهنـا تقمص دينو شخصيته ·· أمـا لمـاذا سمحت أسرته بأن ينتحل اسمه فأمر لا يحتمل الا احـد تفســـيرين ··

كان القديس يتكلم الايطالية بهدف ان تفهمه دونا ماريا ·· وعندما بلغ هذا القدر من الكلام رآها تستجيب كما توقع ·· قالت :

ـ سوف اشرح ذلك يا جينا ·· لقد كان عمك رجلا طيبا ولكنه لم يكن يعرف قدر المال ·· فانفق كل ما كان يملك · وكان يحتضر عندما حضر دينو الى وعرض على طريقا للابقاء على منزلنا واسرتنا · وقبلت من أجلنا على اعتبار انه لن يحاول ان يكون معنا هو نفسه ·· ولكنه حدث بهذا الوعد اولا وهو الان سيتركنا معدمين ·

وقال القديس وهو يشير الى الحقيبة ·

ـ كان يجب عليك ان تستأثرى بكنزه بينما كانت الفرصة امامك ··

وبانت على وجه المرأة علائم الكبرياء وقالت :

ـ انني لست لصة ·· ولا اسمح لنفسى بأن المس نقودا مسروقة ··

ـ وهل هناك فارق بين ذلك وبين النقود التى اعتاد ان يرسلها لك من امريكا ·

وقال كارتيللى بازدراء :

ـ انها تنسى ان لوزيو نفسه كان فى يوم من الايام احد قادة المافيا ··

وصاحت دونا ماريا : اسكت :

واستطرد كارتيللى قائلا :

ـ ولم يكن لديها ما تعترض عليه فى تلك الايام ·· وعندما اصيب بالشلل ولم يعد يصلح لشىء عرض عليه الدون باسكوال هذه الصفقة كنوع من المعاش ·· وكان هو سعيدا بقبولها ·

ـ كفى ·· ان لوزيو مريض يحتضر ·· وليس من حقك ان تتكلم عنه بهذا الشكل ·

وقال كارتيللى بجفاء : انني اقول الحقيقة ·

ثم عاد يوجه حديثه الى تمبلار قائلا :

ـ اسمع يا تمبلار ، ان هؤلاء القوم لا يعنوني فى شيء ٠٠ فعندما اضطررت لقتل يوستون وحاولت قتلك أيضا فانما كان ذلك دفاع عن النفس ولا شيء غير ذلك ٠٠ ولكن دعنا الان نتحدث حديثا عمليا ٠٠ لقد البت على البوليس ٠٠ وحتى المافيا لن تساندني بعد كل هذه المتاعب التى سببتها لها ٠٠ فلماذا لا نتفق ٠٠

ورفع القديس غطاء الحقيبة فكشف عن محتوياتها من حزم الاوراق الماليه التى تحمل علامات دول مختلفة ٠ ٠ وسأله :

ـ حول هذا ٠٠

ـ نعم ٠٠ لقد كان يجب ان اتركها على أى حال ٠٠ لقد كنت فى غنى عنها طوال هذه السنين ٠٠ وعندى من الاموال فى أحد بنوك سويسرا ما يكفيني بمجرد ان اغادر ايطاليا ٠٠ فخذ كل شيء واعط منه ما تشاء للمرأة العجوز وجينا واحتفظ لنفسك بالباقى ٠٠ وأظن انه سيعوضك عن كل المتاعب التى قاسيتها ٠٠ فاذا أنت اعطيتنى الفرصة وتركتنى أنصرف فلن يسمع أحد عن هذا الموضوع منى ٠

واسترخى القديس فى وقفته واخذ يعبث بيده الخالية فى أوراق النقد ٠٠ وانقضت بضع ثوان بدا فيها كما لو كان ينتظر صوتا داخليا يرشده ٠

وأخيرا رفع وجهه وقد ارتسمت على شفتيه ابتسامة ٠

ـ اننى اقبل يا دينو ٠٠ واذا كان هذا هو ما تريده فهيا انصرف ٠

وشهقت جينا ٠

ولم يقل كارتيللى شيئا ٠٠ حتى لم يشكره ٠ ودون ما كلمة تناول جاكتته وانصرف ٠

واخذ تمبلار يرقبه لكى يتأكد من انه عندما يغلق الباب

الخارجي سيكون كارتيللى خارجه ولا يعود خلسة لتدبير هجوم مضاد . وانتظر فترة اخرى حتى سمع صوت السيارة الصغيرة وهى تبدأ فى التحرك .

وعاد الى الحجرة لكى يجد دونا ماريا جالسة فى أحد المقاعد وقد دفنت وجهها بين يديها .. بينما كانت جينا تحملق فيه غير مصدقة ..

قالت تتهمه : اتسمح له بالانصراف مقابل الحصول على نقوده المسروقة .

ورد القديس بابتهاج : حسنا .. لقد كان هذا احد الاسباب .

ـ وهل تظن أننى سألمسها ..

ـ أنك تتحدثين كدونا ماريا .. حسنا لا تلمسيها .. ولكننى واثق من أن البنك ، أو شركة التأمين التى يتعامل معها ، سوف يدفع مكافأة سخيه جدا مقابل استرداد أمواله . فهل ترين فى هذا العمل شيئا غير اخلاقى .

ـ ولكن بعد كل ما فعله .. وجرائم القتل .

ومن الخارج تناهت الى اسماعهم فجأة أصوات آلات تهدر ، وفرامل تزمجر وصرخات ، وصوت اصطدام .. ثم طلقات رصاص .. بضع طلقات .. ثم انتهى الضجيج فجأة كما بدأ .

وهمست جينا : ما هذا ..

كان القديس يشعل سيجارة ، باحساس من يرى أن لحظة الاستراحة قد حانت .. قال بهدوء :

ـ اظن أنها كانت نهاية دينو .. فكما قال هو لنا كان ينبغى الا يعود الى هنا .. ولكن .

ثم عاد الى الحديث بالايطالية لكى تفهمه دونا ماريا التى كانت قد رفعت راسها وبانت على وجهها علامات الحيرة والخوف .

ـ اعتقد ان الجشع هو الذى دفـع بـه الى هـذا المصير .. لقد كلفه اخراج نقوده وقتا ثمينا جعلنى الحق به .. ولم يكن على الا ان اكسب مزيدا من الوقت لكى أمكن رجال البوليس والجيش من ان يلقحوا بى .. لقد صادفنا كثيرا من المغامرات منذ الليلة الماضية يجدر بى ان احكي لكم عنها .. ومنذ فترة قصيرة ركبت سيارتى وجئت الى هنا .. ولكن مفتش البوليس ليس غبيا .. وقد كذت أعلم انه سوف يخمن بأننى آت الى هنا .

وقالت دونا ماريا : البوليس ..

ونظر اليها القديس بثبات ثم قال :

ـ ان هذا الرجل ، ماركو بونتى ، ليس كالاخرين . واعتقد اننى أستطيع اقناعه بأن يسمح بدفن دينو كارتيللى باسمه الحقيقى .. على انه قتل أثناء محاولته الهرب بعد اخراج نصيبه من سرقة البنك ، وكان قد دفنه فى منزل أسرة ديستاميو ، حيث كانت الاسرة قد استقبلته كزائر أيام صباه دون أن تعلم شيئا عن صلاته بالمافيا ، ولست اعتقد أنه سيرفض أن يترك لوزيو لقاض لن يطول الوقت حتى يلاقيه .. اعتقد ان ماركو سوف يقبل كل هذا ... اذا وافقت على الا ترغمى جينا على البقاء هنا رغم ارادتها .

وسألت جينا : ولكن الى أين سأذهب أنا ..

ـ الى حيث تشرق الشمس وتستطيعين ان ترقصى . وتلعبى .. وتضحكى ، مثلما تفعل أية فتاة فى سنك .

كانت عيناها الزائغتان مثبتتان عليه وقد ارتسمت فيهما علامات التفكير عندما دق جرس الباب الخارجى معلنا قدوم بونتى ورفاقه .

« تمت »

رقم الايداع ١٩٨٤/٢٦٦٧

القديس يهاجم المافيا

وأحس القديس بضربات قلبه تسرع .. ففى ظل تقدم العلم .. لم تعد هناك حاجة للأدوات التعذيب التى شاع استخدامها فى غرف التعذيب فى العصور الوسطى ولا حتى للأدوات الكهربائية الحديثة .

فهناك عقاقير تدفع المرء إلى أن يبوح بأثمن ما يحتفظ به من أسرار

الناشر :

مكتبة رجب
١٧ شارع البيدق
خلف مطافى القاهرة بالعتبة

Exclusive
For
www.ibtesama.com